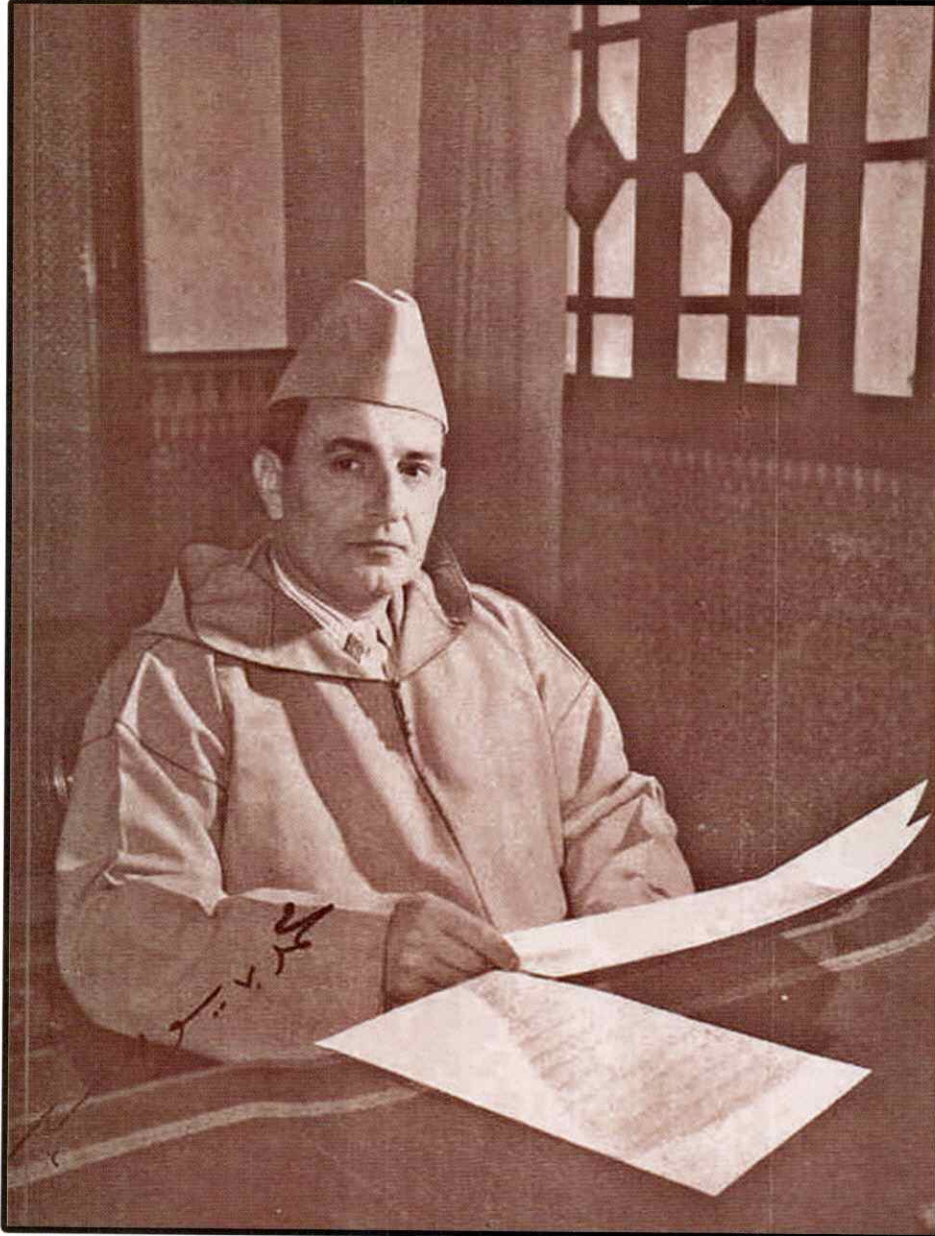


# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالمراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر  
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية



عدد خاص بذكرى ثورة الملك والشعب



السنة التاسعة والخمسون - العدد 423 ذو القعدة 1438 هـ / غشت 2017 م

423





# دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالكراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر  
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة التاسعة والخمسون - العدد 423 ذو القعدة 1438هـ / غشت 2017م



أسسها

جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه  
سنة 1376هـ / 1957م

”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة  
تُعنى بصحة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعالج  
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وكصيد العمل في  
أن يلتفت مولها د عمالة العكر والثقافة والإصلاح في مسنده  
البلد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء،  
وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه  
إلى «مجلة دعوة الحق» بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

في 14 جمادى الأولى 1376هـ / 1957م  
إلى وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الدينية  
الملك محمد الخامس طيب الله ثراه

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhaj.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74

فاكس : 05 37 76 17 21

هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

التوزيع

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ

الخارج : 300 درهم ثمن العدد : 15 دھ

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمانة - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

الأستاذ عبد الحميد العلمي





# مفالات العدد







أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده







صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد حفظه الله







# افتتاحية

يخلف الشعب المغربي هذا السنة الذكرى الرابعة والستين لثورة الملك والشعب. ومعلوم أن الاحتفال بالأنجازات التاريخية ليس من أجل إحياء الذكرى فقط، وإنما أيضا من أجل استحضار المبادئ الرافدة واستلهام القيم السامية ممن ضربوا بسهم وأفرجوا الدفوع عن حوزة الوطن الغالية.

وإذا كانت لهذا الذكرى دلالاتها الوطنية الغائمة على تشبث المغاربة بملكهم والتضحية الصالحة من أجل استقلال ووحدة وطنهم، فإن لها أبعادا حضارية وعبرا إنسانية ألهمت لأول المغرب العربي والغارة الإفريقية مبادئ الدفاع عن الكرامة الوطنية.

ومن تجليات المعاض على تلك الكرامة مواصلة الثورات في كل الفصاعات وعلى كافة المستويات الشبي، الذي حقق للمغرب حضورا مشرفا في كل الفترات بفضل القيادة الرشيدة للأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده الذي اتخذ من هذا الذكرى منطلقا متجددا لمواصلة المنجزات والدفع ببرامج التنمية الوطنية، والحكمة في التعامل مع التجربة البشرية خدمة للمبادئ الإنسانية، فال حبسه الله:

"وقد أهلت هذا السياسة الإنسانية المغرب ليتولى إلى جانب ألمانيا الرئاسة المشتركة سنتي: 2017-2018م للمنتدى العالمي للتجارة والتنمية".

إن ما حققه المغرب من إنجازات وما ربحه من تحديات يعتبر امتدادا لمجموعة من الثورات في مختلف الفصاعات.

هنا، ومن موجبات إخلاصنا لما نقضي به أسلافنا من تضحيات ضرورة مواصلة حمل مشعل تلك الثورات من أجل مغرب الوحدة والتضامن والإصلاحات، وفي ذلك خير ولاء لأرواح أبطال هذا الأمة وفي مفاصلهم جلالة المغفور له محمد الخامس صاحب الله ثراه، وجلالة المشمول بعفو الله الحسن الثاني أكرم الله مثواه، وكافة شهداء الوطن نغمدهم الله جميعا بواسع رحمته آمين، والحمد لله رب العالمين.





## فلسفة الاحتفال بذكرى ثورة الملك والشعب

من أجل تجديد الاحتفالية في حياة الأمة بما يقتضيه مقام الذكرى

د. عبد العزيز انميرات

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

سايس، فاس

ككل سنة يخلد الشعب المغربي ذكرى ثورة الملك والشعب، وهي الذكرى التي تحمل - بتخليدها - الكثير من الدلالات التاريخية والحضارية المهمة التي تجعل من يوم (20 غشت) محطة تاريخية ووطنية لا بد من التعاطي معها بكل مسؤولية وأمانة .

فتخليد أي ذكرى لا يعني أن الأمة في يوم عطلة للاستجمام والراحة، بقدر ما يعني التنبيه والتذكير - في زمن الغفلة وكثرة الالتزامات والمشغل - إلى القيمة التاريخية والحضارية والوطنية التي يحتلها ذلك اليوم في حياة الأمة، الشيء الذي يدفعنا إلى التأكيد على ضرورة إشاعة تقليد تخليد مثل هذه المناسبات التاريخية بكل الوسائل المتاحة وعلى أكبر نطاق ممكن. ولعل روح هذه الفلسفة الوطنية التي نؤكد على ضرورة ترسيخها هي التي أعلن عنها جلالته في الخطاب التاريخي للذكرى 63 لثورة الملك والشعب حينما قال في بداية كلمته يوم السبت 20 غشت 2016م: "إن الاحتفال بالأحداث التاريخية، ليس فقط من أجل الذكرى، وإنما أيضا لاستحضار القيم والمبادئ، التي ألهمت الأجيال السابقة، من أجل بناء الحاضر، والتوجه بكل ثقة نحو المستقبل. وتخليد ثورة الملك والشعب المجيدة، لا يخرج عن هذه القاعدة. فهي ثورة متجددة، يحمل مشعلها جيل عن جيل".

فالأمة التي تهمل تاريخها، أمة - لا محالة - ستفقد هويتها وخصوصيتها، بل وتميزها بمجموع تلك الأحداث التاريخية التي كانت وراء بنائها وتطورها، ناهيك عن استقلالها في حالة تعرضها لحملات الاستعمار.

على هذا الأساس يكون الحديث عن ذكرى (ثورة الملك والشعب) حديثا مهما يحمل بداخله كل معاني الارتباط العاطفي بالهوية المغربية الضاربة في التاريخ، ناهيك عن التميز الثقافي الذي



أسهمت في تكوينه وتحصينه ثلة من الرجال والنساء على حد سواء، لازال التاريخ يحتفظ بإسهاماتهم وبصماتهم في بناء المغرب المعاصر، بل وتميز - وهذا هو الأساس - بتلاحم العرش والشعب، وهو التلاحم الذي كان أحد الأسباب الرئيسة في وحدة البلاد، والوقوف في وجه كل الأطماع الأجنبية، بل والذي حاول الاستعمار جاهدا وبكل الطرق لتقويضه وتفكيكه، لكنه مني بفشل ذريع، تأكد خلالها من قوة الارتباط بين المكونين الأساسيين لوحدة البلاد واستمرارها: (الملك والشعب)، بما شكل لدينا نزعاً لا تزال لحد الآن راسخة في الأمة المغربية، والتي حافظت على المغرب، ووقفت في وجه كل أشكال التجزئة وزرع فتيل الفرقة والنعرات القبلية والإثنية واللغوية.

إنها ثورة القيم النبيلة التي تلخص عهد البيعة والوفاء على العهد والتلاحم القوي بين الملك والشعب، الشيء الذي أثمر النصر التاريخي التي سحقت الاستعمار من جهة، ومكنت المغرب من تبوء المكانة التاريخية التي تليق به، كنظام سياسي له من الخصوصيات ما يكفل له التميز والاستثناء. يقول الراحل الحسن الثاني رحمه الله عليه ملخصاً هذه الصلة الوطيدة بين الملكية والشعب في كتابه (انبعاث أمة - 378/31) : "إن ثورة الملك والشعب لم تكن ثورة الملك وحده، ولم تكن ثورة الشعب وحده، بل كانت ثورتها معا، ويمكن أن نقول أن المغرب كله كان ثائراً".

إن تخليد ذكرى (ثورة الملك والشعب)، كما باقي الذكريات الوطنية الأخرى، مناسبة تتجاوز الفهم الضيق والرؤية غير المبصرة لسنن التدافع الحضاري، تلك التي لا يهتمها من مثل هذه الأحداث التاريخية سوى إغلاق أبواب المؤسسات والإدارات، واستغلال المناسبة كيوم عطلة، لتصل إلى مرحلة مهمة جداً وهي التحسيس بذكرى عظيمة عرفها تاريخ المغرب المعاصر، والتي لا يمكن بأية حال من الأحوال تجاوزها أو نسيانها أو غض الطرف عنها. إنها إحدى الذكريات المؤسسة لهذا التاريخ، لأنها ترتبط أساساً بمرحلة استعادت فيها المغاربة تاريخهم، الذي خطط لكي يسرق من قبل المستعمر ومن معه من الخونة من أبناء هذا الوطن، بل وكانت فرصة تاريخية عبر فيها الشعب المغربي عن حبه لهذا الوطن، وتفانيه من أجل الحفاظ على نظامه السياسي، الذي يضمن له القوة والعزة والتميز، ناهيك عن بذله الغالي والنفيس من أجل استقراره، وهل يوجد أغلى من تقديم الأرواح والنفوس فداء للوطن؟.

وقد لا نغالي إن قلنا مع الكثيرين: إننا بحاجة ماسة إلى إشاعة تقليد الاحتفال بهذه المناسبات بما يقتضيه مقام كل حدث، خاصة وقد أسهمت الكثير من العوامل الذاتية والخارجية في التقليل من حالة الإحساس بهذا الضرب من الاحتفال، لعل من أبرزها تأثير العولمة الثقافية والسياسية التي

أفرغت الكثير من الذهنيات من الفهم الصحيح والإدراك الواسع لمعنى الاحتفالية؛ هذا المعنى الذي أضحي -كما قلنا سابقا- مجرد فرصة للراحة من العمل أو الدراسة، الشيء الذي يستوجب تكثيف مختلف الجهود، ومن قبل كل المؤسسات والجهات المعنية بالأمر، لإعادة هذه الاحتفالية -بشكلها الرمزي والعملي- إلى حياة الأجيال الراهنة والمقبلة -على حد سواء- تلك التي يفتقد أغلبها إلى الكثير من الإحساس بمثل هذه الأحداث الوطنية المهمة جدا، كما هو الشأن بالجيل السابق، سواء الجيل الذي عايش تلك المرحلة بكل تفاصيلها، أو جيلنا الذي تربى على حب الوطن كجزء من حب الذات.

إننا لا نرغب في أن تظل هذه الذكريات الوطنية حبيسة الأرشيف التاريخي، أو لا يكتب عنها إلا في مثل هذه المناسبات؛ ففوة الأمم لا تكمن -فقط- في توفرها على القوة العسكرية أو الاقتصادية، وإنما في امتلاكها للقوة الثقافية والروحية كذلك، ولعل من أهم مكونات هذه القوة الثقافية تاريخها بكل تفاصيله، نشوء وتطورا ومسارا، وتزداد هذه القوة صلابة إذا ما جاهدت بكل ما تملك من ثروات بشرية وطبيعية للحفاظ على هذا المسار التاريخي.

وقد لا نجانب الصواب إن قلنا: إن المغرب واحد من هذه الأمم التي تعرف جيدا معنى الوطنية، بل ويدافع الشرفاء من أبنائه عن هذا المعنى بالغالي والنفيس. فلا وطنية بلا وطن، ولا وطن بلا رجال، ولا رجال بدون هوية تضمن لهم حق التميز في زمن التعدد، والخصوصية في زمن الكونية.

استتباعا يمكن التأكيد مع الكثيرين على أن الاحتفال بذكرى ثورة الملك والشعب جزء من منظومة الاحتفالات الوطنية التي ينبغي ترسيخ تقليدها في أفهام الناس، بما يكون كافيا لتحقيق مطلب الوطنية التي يحاول الكثير من أعداء الأمة الإجهاز عليها بمختلف الوسائل، ذلك أن شعار (الله - الوطن - الملك) الذي يمثل الجدار الذي يصد كل الاختراقات، كان كفيلا بحماية هذا البلد من الكثير من المشاكل والتحديات، لأنه شعار يجمع بين قيم الوحدة الدينية والوحدة الوطنية والوحدة السياسية، بل وكان كفيلا بأن يغرس في النفوس -عبر الأجيال- تلك القيم المرتبطة بالمواطنة الحقيقية.

إن ذكرى ثورة الملك والشعب محطة سنوية تذكرنا بالكثير من المواقف النبيلة، لعل من أبرزها موقف الراحل محمد الخامس (طيب الله ثراه) من الاستعمار، ناهيك عن ثباته على ما تقتضيه روح



الوطنية التي كان يلمسها في تحركات ومواقف الكثير من الرموز السياسية والوطنية ناهيك عن إدراكه العميق للروح العالية لباقي أفراد الشعب المغربي المجاهد. يقول الحسن الثاني رحمه الله عليه في كتابه القيم: (محمد الخامس: فكرة وعقيدة)، معبرا عن هذا الضرب من الإحساس العميق بالروح الوطنية التي كان يتشبع بها الراحل (طيب الله ثراه): "في هذا الموقف الرهيب، أتذكر فترة تاريخية عشتها بجانبك، حينما تكالب علينا الاستعمار، مهددا لجلالتك، متحديا لمهابتك، يساومنا على أن نرضى بالندية في وطننا، ويراودنا على أن نرهن مصير الأمة في عبودية مستمرة، مستعملا لذلك أنواع التهديد... إنك لا تزال أمامي يوم أن طوقت القصر... وقد نظرت إليك نظرة إشفاق فقلت: لا تخف إن الله معنا".

وبنفس المستوى من الإحساس بالروح النضالية التي كان يتمتع بها رحمه الله عليه، أشار جلالة الملك محمد السادس (حفظه الله) في أول خطاب له، بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب عام 1999م، حيث قال: "لقد خاض رضوان الله عليه جهادا متميزا في واجهات متعددة ومتكاملة كانت في طليعتها الواجهة المتمثلة في النضال السياسي الذي بلورته مواقف البطولة التي كانت له في مواجهة أعنف تحديات المرحلة.

أمام هذه المواقف التي لم تكن تزيد إلا ثباتا وشجاعة كلما اشتدت الأزمة لم يجد الاستعمار غير التآمر على الشرعية وطلب من رمز الأمة أن يتنازل عن العرش أو ينفى خارج البلاد.

وبإيمان ثابت أبى أكرم الله مثواه أن يقبل حل التنازل الذي اعتبره خيانة للأمانة التي ائتمنه عليها شعبه الوفي وفضل المنفى فكان أن اقتيد مع أسرته الشريفة إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر من 20 غشت 1953م إلى 16 نونبر 1955م.

وكان الشعب المغربي المخلص على امتداد هذه الفترة مفعما بروح محمد الخامس الجهادية فأجمع على رفض ما أراد الاستعمار إجباره عليه وصمم بإصرار على متابعة نضاله بالتضحية والفداء حتى يرجع ملك البلاد الذي غدا رمزا لجميع القيم الدينية والمبادئ الوطنية.

لقد كان التجاوب عميقا بين الأمة وقائدها المبعد وهو تجاوب قواها لمقاومة المحاولات التي توسل الاستعمار بها لإضفاء المشروعية على مؤامراته. وكان المغاربة يشعرون في يقين بأن محمدا الخامس -وهو في غربته- كان متربعا على عرش قلوبهم كافة".

بالتأسيس على ما سلف نقول: إن الوطنية التي تتضمنها ذكرى ثورة الملك والشعب هي نفسها الوطنية التي تنبني عليها كل المناسبات الوطنية بمختلف توارينها وأحداثها، ولعل ما تضمنه

الخطاب الملكي بمناسبة ذكرى المسيرة الخضراء بتاريخ 6/11/2009، يعكس هذا النوع من الفهم الخاص بروح المواطنة، كما تتجلى في كل المناسبات التاريخية، والذي منه على وجه الخصوص: "وبروح المسؤولية نؤكد أنه لم يعد هناك مجال للغموض أو الخداع، فإما أن يكون المواطن مغرباً أو غير مغربي، وقد انتهى وقت ازدواجية المواقف والتملص من الواجب، ودقت ساعة الوضوح وتحمل الأمانة، فإما أن يكون الشخص وطنياً أو خائناً، إذ لا توجد منزلة وسطى بين الوطنية والخيانة، ولا مجال للتمتع بحقوق المواطنة والتكر لها، بالتآمر مع أعداء الوطن".

إن هذا الضرب من الخطابات الملكية القيمة يؤكد قضية مهمة للغاية، وهي ضرورة استحضار كل التضحيات التي قدمها السابقون لكي يستقر هذا البلد ويلتفت إلى ما هو أهم، ألا وهو بناء الإنسان وتحقيق الورشات الكبرى، وما كان لهذه الورشات أن تكون لولا تلك المحطات التاريخية التي قدم خلالها سلف هذا البلد من السياسيين والعلماء ومختلف الوطنيين، وحتى من العوام الذين أحبوا هذا الوطن، أرواحهم في سبيله؛ فاستقلال الوطن كان خطوة أساسية في هذا المسار العام لتحديث هذا البلد وعصرنته وتقدمه، بل وشرطاً أساسياً كي يمارس المغرب سيادته الوطنية ويتمتع بحقوقه الدولية ويدافع عن اختياراته السياسية والدينية، ولم يكن بإمكان هذا المسار أن يتحقق لولا مجموع تلك المحطات التاريخية التي كانت الفيصل في تاريخنا المعاصر، ومنها على وجه الخصوص ثورة الملك والشعب، وهي فعلاً ثورة بكل المقاييس. فالاستقلال لم يكن هدية أو هبة أو منحة، بقدر ما كان قطيعة مع كل أساليب إفراغ المغاربة من قيم المواطنة المؤسسة على الارتباط العاطفي بين القصر والشعب.

إن مسار الحماية التي فرضت علينا بأشكال مختلفة، لم يكن في صالح المغرب والمغاربة، بقدر ما كان في صالح الاستعمار الذي استنزف الخيرات وقهر الإنسان، والذي أتم مشروعه الاستعماري بنفي المغفور له محمد الخامس إلى جزيرة كورسيكا بالبحر الأبيض المتوسط، تمهيداً لنقله إلى منفى آخر، وذلك بمناسبة عيد الأضحى المبارك، الشيء الذي أثار حفيظة مشاعر المغاربة، الذين كانوا يكونون للسلطان المحبة الكبيرة، ويعتبرونه رمزاً للوحدة السياسية والدينية، الشيء الذي أدى إلى اندلاع كل أشكال المقاومة الشعبية والوطنية.

إن خطوة مس رموز أي بلد من البلدان، لا يمكن السكوت عنها، بقدر ما يتطلب الأمر مواجهتها بكل الوسائل، وهذا من شيم البلدان التي تعزز بتاريخها، الشيء الذي يجعلنا نؤكد على



ما قلناه في سابق الكلام: إن قوة هذا البلد تكمن في إشاعة ثقافة المواطن المغربي الذي يسهم بكل ما يستطيع للحفاظ على هوية هذا البلد، والإبقاء عليه آمناً وموحداً.

إن ثورة الملك والشعب كانت نقطة البداية، إذ لا تنمية ولا تحديث ولا عصرنة بدون حرية المواطن والتراب على حد سواء، الشيء الذي يجعلنا نؤكد على ضرورة إشاعة ثقافة الاحتفال من جديد بين أوساط هذه الأجيال، وبمختلف الوسائل والوسائط، لتتعرف هذه الأخيرة على القيمة الرمزية لهذه الذكرى، التي سطرها الكثير من الأبطال، بأرواحهم وأموالهم، لنعيش نحن في حرية وكرامة وتميز.

فلا يمكن لقبور الشهداء أن يعلوها التراب فقط، وهي التي تحوي بين جنباتها نخبة من الأبطال الذين فجروا ثورة الملك والشعب، وحررونا من السجن الكبير للحماية لينبوا بدله قلعة الاستقرار.

إن الاحتفال بهذه الذكرى مناسبة للتذكير بأن هذا الوطن غالي جداً، وأن استقرارنا اليوم وغداً، كانت تقف وراءه شخصيات عرفت معنى الوطن والوطنية، هذه الأخيرة التي لا يكون لها مذاق إلا بتوفر الارتباط العاطفي بين القصر والشعب.

إننا بحاجة لتجديد هذه المعاني الخالدة في نفوس الأجيال الحاضرة والقادمة ليظل الميثاق قائماً بين الطرفين، إذ لا استقرار لهذا البلد في غيابه، فهو الكفيل بأن يقف في وجه كل أشكال التحريض على الانقسام والتشتيت والفرقة، كما كان حال الاستعمار سابقاً، حينما حاول تنفيذ هذا الضرب من المخططات بزعة القيمة الرمزية للسلطان في نفوس المغاربة، لكنه ارتكب أكبر خطأ في مساره السياسي حينما مس الرمز الوطني في ذلك اليوم العظيم، فكانت الثورة متعددة المسارات: ثورة الاستقلال مع محمد الخامس، ثم ثورة البناء مع الحسن الثاني، طيب الله ثراهما، ثم ثورة الورشات الكبرى مع محمد السادس حفظه الله تعالى.

لقد استطاعت هذه الثورة المتميزة أن تكشف من أسرار الارتباط الروحي بين الملك والشعب الشيء الكثير، لأنها - بكل اختصار - ثورة استطاع الجميع من خلالها الدفاع عن الإرادتين السياسية والشعبية في هذا البلد العزيز، بل وكشفت عن قوتها في مواجهة كل أشكال تفتيت المغرب، وتمزيق خريطته السياسية، وتقويض تاريخه الحضاري، ناهيك عن الوقوف في وجه كل أشكال استغلال الإنسان المغربي وثروات هذا البلد، وخيراته التي لا تعد ولا تحصى.

إن ثورة الملك والشعب - في عمقها - ليست وليدة لحظة تاريخية يتيمة، بقدر ما عبرت عن مسار متجدد للمقاومة المغربية لكل أشكال الدفاع عن الهوية المغربية الضاربة في التاريخ. فهي وإن كانت بحق خلاصة فك الارتباط بالمستعمر، فإنها جاءت بعد سلسلة من الثورات والمحطات النضالية المهمة التي لا يمكن تجاهلها أو القفز عليها، ومنها على وجه الخصوص: معارك الهري بالأطلس المتوسط (1914م) وأنوال بالريف (1921م) وبوغافر بورزازات وجبل بادو بالرشيدية (1933م)، ناهيك عن محطات تاريخية أخرى لا تقل أهمية في هذا المقام، ومنها على وجه الخصوص: تقديم وثيقة الاستقلال يوم 11 يناير 1944م، ثم الزيارة التاريخية التي قام بها جلالة المغفور له محمد الخامس، يوم تاسع أبريل 1947م إلى مدينة طنجة، والتي حملت - من خلال الخطاب التاريخي الذي ألقاه ساعتها - الكثير من المعاني، لعل من أبرزها التعبير عن اللحمة الوطنية الموجودة بين الملك والشعب.

إن ثورة الملك والشعب بقدر ما كانت ثورة ضد كل أشكال الاستعمار الفرنسي، فإنها - كملحمة تاريخية صنعها جيل 20 غشت - شكلت، وكما قال جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، في خطابه الخاص بذكرى ثورة الملك والشعب عام 2003م "مدرسة للوطنية المغربية الحققة للدفاع عن الوحدة الوطنية والترايبية والمذهبية في إطار الالتحام المكين بين الشعب والعرش الذي كان السد المنيع في وجه كل المؤامرات والرافعة القوية لكل التحديات"، والتي أسهمت بشكل كبير في ترسيخ قيم المواطنة الحققة وتأسيس الأرضية الصلبة لبناء المغرب المعاصر، مغرب المؤسسات والورشات الكبرى، إلى جانب الدفاع عن الثوابت المذهبية والروحية والترايبية، وترسيخ ثقافة المواطنة المتميزة.

ولا أجد أسمى ما أختتم به هذه الورقات من كلمات تلخص القيمة التاريخية والحضارية لهذه الذكرى، سوى ما افتتح به جلالة الملك محمد السادس (حفظه الله) خطابه الخاص بذكرى هذه الثورة عام 2000م، حيث قال: "وعلى الرغم من أنه مر على أحداث هذه الثورة نحو نصف قرن فإن وقائعها ما تزال متمثلة في أذهان المغاربة المطبوعين على الوفاء والإخلاص ومرتسمة في قلوبهم يستحضرونها كل عام وسيظلون مستذكرين لها مهما امتدت السنوات والأعوام ومن خلالها يسترجعون صحائف رائعة من التاريخ المجيد الذي كتبه أبناء هذا الوطن بدمائهم الزكية الطاهرة وبأحرف نورانية باهرة .

لقد شكلت هذه الثورة نقطة تحول بين مرحلتين جهاديتين تميزت الأولى بالكفاح الوطني الذي خاضه جدنا - نور الله ضريحه - ضد الاستعمار البغيض من أجل التحرر واستعادة السيادة



مدركا أن بلوغ هذا الهدف مشروط بقيام إصلاح فكري ينطلق من التثبث بالعقيدة ويتخذ التعليم سبيله لتوعية جديدة .

وبهذا أمكن خوض النضال السياسي الذي برز في المواقف البطولية التي كانت لجلالته في مواجهة أعنف التحديات التي كانت تصدر من الاستعمار والتي بلغت مداها بنفيه وأسرته الشريفة بعيدا عن الوطن في تأمر على الشرعية والمشروعية .

وبفضل صموده -أكرم الله مثواه- وما لقي من مساندة قوية بلورها الشعب الأبى في افتداء ملكه وجعل تحرر المغرب رهينا بعودة ملكه الشرعي ورمز سيادته فشلت المؤامرة وعاد الملك المجاهد يحمل بشرى انتهاء عهد الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال والحرية .

وكان بعد هذا أن بلغ الجهاد مرحلته الثانية مرتبطة بالشروع في بناء مغرب حديث لم تلبث بعد وفاة القائد المحرر أن واصلها خلفه ووارث سره والدنا المنعم جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه فبنى وشيد وحدث وجدد وبوأ المغرب على عهده الزاهر الزاخر مكانة مرموقة تدعونا اليوم - وقد حملنا الأمانة- إلى متابعة المسير بإيمان راسخ وخطى ثابتة وبعزم قوي على الإصلاح والتغيير وتحثنا على الدعاء بالمغفرة والرضوان لجدنا ووالدنا المكرمين وجميع شهداء الوطن الأبرار وسائر المقاومين والمجاهدين الذين قدموا تضحيات جسيمة وافتدوا بالنفس والنفيس هذا المغرب الذي ننعم جميعا به في ظل الحرية والعزة والكرامة".

## آراء ومواقف ضد انقلاب الحكومة الفرنسية على السيادة المغربية (1952م-1953م)

ذ. سمير بوزويطة

أستاذ التعليم العالي كلية الآداب  
والعلوم الإنسانية سايس - فاس

والآن...؟ سؤال طرحه شارل أندري جوليان في كتابه "فكر مناهض للاستعمار"<sup>1</sup>، وهو يعالج قضية تحرير الشعوب المستعمرة، ويرى بأن المؤرخين سيعتبرون في المستقبل حدث التحرير من الاستعمار أهم من الثورة الفرنسية والروسية وذلك ما يتمناه.

وإن قبل المستعمر بالأمر واستمتع المستعمر بحريته فليس من المؤكد أنه حدث تغيير عميق في العقليات إذ ما زال هناك الماضي الاستغلالي المؤثر على الشعوب المستعمرة سابقا لم تختف هذه الحقائق بل لا زالت تظهر في صيغ جديدة.

أن يكون العالم شيوعيا أم رأسماليا فهو يطبق سياسة أكثر أنانية من ظاهرة الاستعمار سابقا. لكن صراع الإمبرياليين من أجل السيطرة على الحكومات الإفريقية والآسيوية بواسطة الاستعمار العسكري هو فقط استعمار مقنع إذ لم تتغير الأوضاع بتلك الشعوب حيث الآلاف من الأطفال يموتون كل يوم بسوء التغذية وبسبب لامبالاة الدول المصنعة التي تعيش في الثراء<sup>2</sup>.

إنها أسئلة طرحها شارل أندري جوليان وناقشها وأبدى رأيه فيها في مختلف المنابر السياسية والصحفية والتي سوف نقف عند أهم محطاتها التالية:

1 - Julien Charles André, *Une pensée anti-coloniale, positions 1914 - 1979*, Editions Sindbad, Paris, 1979.

2.- Ibid., p.253.



## 1 - الانعكاسات الدولية للأزمة المغربية

بعد استدعاء المقيم العام Erik Labonne، وبسبب خطاب سيدي محمد بن يوسف في طنجة الذي أغفل الجملة التي تعرب عن الثناء والإجلال لفرنسا، قررت الحكومة نهج سياسة القوة، فعين رئيس الحكومة Paul Ramdier الجنرال Alphonse Juin والذي اقترحه لهذا المنصب وزير الشؤون الخارجية Georges Bidault (14 مايو 1947م)، والذي تلقى تعليمات لم يبلغ عنها لا رئيس الجمهورية ولا الديوان، تسمح له بخلع السلطان سيدي محمد بن يوسف في حالة الضرورة.

وقد أدى الصراع الدائر بين القصر والمقيم العام جوان إلى تنظيم هذا الأخير مسيرة قبائلية ضد القصر من أجل تنصيب سلطان جديد. وقد اضطر سيدي محمد تحت الإكراه إلى التوقيع في 25 يونيو 1951م على بروتوكول يعترف فيه بمحاسن الوصاية الفرنسية وإلى إدانة حزب الاستقلال.

يعترف شارل أندري جوليان أنه أثناء تغطيته لهذا الحدث لم تكن له معرفة عميقة بأحداث الرباط. وكان موقفه موضوع انتقاد حاد وعنيف من طرف غابرييل بيو، Gabriel Puaux.<sup>3</sup>

لقد خلف التوتر الحاصل بين السلطان سيدي محمد بن يوسف والمقيم العام جوان انتقادا من طرف الأنجلوساكسونيين وبعض الدول الإسلامية، ودار النقاش حول طبيعة مؤسسة الحماية، هل المغرب هو محمية أم مستعمرة؟

تناقلت المنابر الصحفية النقاش المحتدم حول مؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب، وترجمت إلى حد كبير قناعة الفرنسيين بأنهم لا يجدون اختلافا بين محمية ومستعمرة. وهذا ما فسر كون أغلبية الجرائد كتبت أنه في حالة صراع خطير يمكن للحكومة خلع السلطان. إلا أن السلطان هو حاكم ذو سلطة دينية نابعة من الله وحده ولا يمكن عزله إلا في حالة تنكره للإسلام حيث يغادر مهامه تلقائيا ويشهد عليه أهل الحل والعقد.

نبه شارل أندري جوليان أن الإقدام على إكراه حاكم على التخلي عن العرش يجعل منه شهيدا كما كان الشأن بالنسبة للييك منصف، وبالتالي يحرم الفرنسيون من توفير كل أشكال التوافق على صيغة مقبولة بين الطرفين.

إن تنازلات السلطان سيدي محمد بن يوسف أساءت إلى كرامة المسلمين الذين اعتبروا أن السلطان تلقى إهانة يجب تقاسمها معه. كما أبدى العديد من المتعاطفين مع المغرب اقتناعا بأن إكراه

3 - Ibid., p.126.

السلطان المغربي على التنازلات يعد تجسيدا على ممارسة القهر من لدن الأنظمة الشمولية. وبما أن الأزمة المغربية طالت واتخذت مظهر صراع محرك للعواطف فقد تهيجت أعصاب المسلمين، وقد لعبت الأخبار الواردة من القاهرة دورا في ذلك<sup>4</sup>.

لقد حصل الشيء نفسه في الصراع بين السلطان والكلاوي الذي اعتبره كل المسلمين مجرد أداة ووكيل ضد ملكه الشرعي. وهنا يتساءل شارل أندري جوليان عن تفسير دلالة الحشد القبلي الذي كان مستعدا للثورة ضد ملكه. وهل أصبحت السلطة المركزية ضعيفة في المغرب إلى حد أنها لم تستطع إيقاف مظاهرات ثورية مؤكدة، مادامت معاهدة 1912م تفرض على فرنسا وجوب حماية السلطان؟

لقد أثارت هذه الأحداث غضب المسلمين من لاهور إلى القاهرة، وسيكون من غير الفطنة الإيمان بأنها لن تحرك مشاعر الشعوب في الجزائر، وفي تونس وحتى في إفريقيا الغربية. أصبحت فرنسا أول قوة تتضمن أكبر عدد من المسلمين في أوروبا منذ أن قررت أنجلترا الموافقة على تحرير باكستان. ومن وجهة نظر سياسية وثقافية، يجب عليها الحفاظ على علاقات ودية مع الدول الإسلامية إن هي أرادت تحقيق مصالحها مع هذه الدول.

يقر شارل أندري جوليان بأن الفرنسيين حكموا خيار الحوار كما أسسه السيد Erik Labonne عوض سياسة السلطة والقوة. ولتجنب الكبرياء الفرنسي للانتقادات الأجنبية اللاذعة كان على الفرنسيين اتخاذ الاحتياطات الضرورية والتحلي بالبصيرة قبل الإقدام على خطوة ما<sup>5</sup>.

نادى جوليان في هذه اللحظة بإعادة الأمور إلى نصابها، والانتباه أثناء المناقشات حول تشكيل الحكومة إلى الأهمية الدولية للقضيتين التونسية والمغربية، وهو مقتنع أن السيد Robert Schuman أحد وزراء الشؤون الخارجية الأكثر تعمقا وإحساسا بهما. وهو مطالب بإحاطة هاتين القضيتين بانتباه دائم. إنها دعوة لتحكيم الواقع خاصة وأن الحكومة الفرنسية حادت تماما عن جادة الصواب، ويعبر جوليان عن ذلك بقوله:

"نظامنا الحكومي سخيّف وغير معقول فلو تقلد رجل سياسة رفيع المستوى مهمة البحث المستمر في أمور الإسلام، لكان من الممكن تجنب الأزمة المؤسفة التي نتخبط فيها الآن".  
(Le Monde 11-12 mars 1951.<sup>6</sup>)

4 - Ibid., p.128.

5 - Ibid., p.129.

6 - Ibid., p.130.

## 2 - اشتراكيو المغرب الفرنسيين ضد الوطنية

أعطى المجلس الوطني للحزب الفرنسي للشغيلة الدولية (SFIO) المنعقد بباريس أيام 12-15 مارس 1951م أهمية واسعة للحوار حول الوضعية في المغرب عبر نشر الخطاب الذي كان يردده شارل أندري جوليان ضد الموقف السياسي لفدرالية المغرب وجواب السيناتور الاشتراكي للمغرب، ليونتي (Leonetti). تمت المناقشة عندما كان الجنرال جوان يمارس ضغطه على السلطان من أجل دفعه إلى استنكار وشجب أعمال حزب الاستقلال. وقد قام ليونتي بانتقاد عنيف للوطنيين وللموقف الذي تبناه جوليان.<sup>7</sup>

إنها لحظة اعتبرها جوليان مفصلية في مستقبل فرنسا بالمغرب، يجب التأمل فيها، والنظر إليها بعناية، لأنها تشكل تهديدا لمصير الفرنسيين بهذا البلد. فالطريقة التي نهجتها وتعاطت بها الحكومة الفرنسية مع قضية عزل السلطان سيدي محمد بن يوسف تساعد على نشر فكر جزيري في المغرب، ليس فقط لدى المستعمرين بل حتى عند النقابيين والاشتراكيين الذين يعيشون في ظروف محلية جد خاصة.

نبه جوليان أن الأمر خطير جدا وأن السياسة الفرنسية بالمغرب ستكون لها عواقب خطيرة. خاصة وأن الفرنسيين يتحدثون عن نظام حماية لم يطبق بالمغرب، وأن نصوص معاهدة 1912م عوضت بإدارة مباشرة. وأن الفرنسيين لم يتوقفوا عن ترديد زيف احترام الحماية، وفي هذا الصدد، يقول جوليان: "عندما يحدثوننا عن احترام الحماية كان من الجدير بهم البدء بإخبارنا بأن هذه الحماية لا وجود لها حقيقة وأن أول شيء يجب القيام به هو احترام التزاماتنا وإحلال حماية فعلية. فمن السهل جدا مهاجمة الأفراد التي تطالب بالاستقلال والقول بأن نظام الحماية كاف".<sup>8</sup>

ينتقد جوليان موقف الاشتراكيين من قضية استقلال المغرب بقوله: "قبل كل شيء بأي حق نستطيع نحن الاشتراكيون القول بأن الناس ليس لهم الحق في المطالبة بالاستقلال كما قامت به فدرالية المغرب؟ أم أننا صدفة نعتبر الاستعمار واقعا دائما وأبديا؟ أو بالأحرى توجهنا الطبيعي هو مناداة الشعوب لتصبح يوما ما مستقلة كما طالب به دائما جوريس Jaurès وليون بلوم Léon Blum؟ ألا يتحقق الاستقلال بين عشية وضحاها وأن يتم ذلك في مراحل، أمر أرغب فيه، ولكن لنطرح المشكل بصدق ووضوح.

وبأي حق يمكننا القول للمغاربة: لن تكونوا مستقلين لأننا نرى أننا نحقق لكم السعادة؟ أي سعادة؟ الإنجازات المادية؟ لكن ليست كل شيء. هل بالفعل حققنا إنجازات اقتصادية؟

7 - Ibid., p.131.

8 - Ibid., p.132.



لا شيء يذكر. لقد تركنا هناك المجال خصبا لنمو إحدى أشكال الرأسمالية الأكثر بشاعة، وهو الاستغلال. لقد تركنا كاهل الشعب مثقلا بصورة لم يعرفها بلد آخر. وتركنا السلطة العسكرية تتحكم في كل دواليب البلد. لا نتحدث عن سلطة المراقبة في المغرب، بل عن مراقبة السلطة".

يشدد جوليان على أن شعارات الحكومة الفرنسية كانت زائفة، ولم يتحقق أي إنجاز اقتصادي ذو طبيعة ديمقراطية منذ 1912م. ويقول: "فعن أي ديمقراطية نتحدث؟ أتأسف كثيرا عندما ألاحظ أن النص الذي صيغ في الرباط قد خصص عمودين من أصل ثلاثة أو أربعة لانتقاد حزب الاستقلال المغربي. كنت أفضل أن يكون هناك عمودين للتنديد باستبداد الجنرال جوان بتجاوزات الرأسمالية. سيكون هذا أكثر اشتراكية من الهجوم على أشخاص لا يفكرون مثلنا، أشخاص بورجوازيون كبورجوازيي 1789م عندما ثاروا. لأن الثورة لم يقم بها العمال بل البورجوازيون". فكيف يمكن أن تقام في المغرب من طرف عامل لا تعليم له؟ كيف تريدون ألا يكون على رأس هذا البلد أناس ليسوا لا وطنيين ولا بورجوازيين؟".

لقد ساهمت سياسة الجنرال جوان في تأزيم الوضع بالمغرب، فاللجوء إلى العنف والقوة لن يخلف إلا ردود فعل عنيفة ومتزايدة. وفي هذا الإطار، يقول جوليان: "أطرح الاختيار الأول، اختيار يكتسي خطورة وجسامة تجعلني لا أقبل كون الزملاء في الحكومة لم يفكروا فيه: واحد من اثنين، إما أن المقيم غير قادر على منع الجيوش من إعلان حالة الاستنفار، على منع الناس من النزول إلى المدن لتهديدها -وهكذا نذكر أنه لا سلطة له- وأما إن كان هو نفسه الذي نظم هذا السادس من فبراير إن كان هو ذاته الذي نظم مسيرة الرباط والدار البيضاء من أجل تهديدنا والضغط على الرأي الفرنسي فإنه بذلك يعتبر مشاغبا مثيرا للاضطرابات يستعمل الأساليب التي استعملها فرنكو Franco قبل حلوله في إسبانيا.

هذا هو الواقع الخطير، وأستغرب كيف أمكن تحميله داخل حكومة منظمة.

Bulletin Intérieur du parti (SFIO) juin 1951<sup>10</sup>.

### 3 - إنذار لرئيس الجمهورية : القضية المغربية في أبريل 1952م

أثمرت الزيارة التي قام بها شارل أندري جوليان إلى المغرب (من 1 إلى 26 أبريل 1952م) باستقباله مرتين من طرف السلطان سيدي محمد بن يوسف الذي خصه بمقابلة صحفية، دامت أكثر

9 - Ibid., p.133.

10 - Ibid., p. 134.

من ساعتين، وكان رفقة الأمير مولاي الحسن. كما أن اتصالات جوليان بكبار الموظفين كانت مفيدة، ومحادثاته مع قدماء تلامذته في المدرسة الإدارية ولقاءاته بأهم ممثلي المعارضة الوطنية كانت أكثر إفادة. وعلى إثر ذلك طلب منه رئيس الجمهورية فانسون أريول Vincent Auriol في 29 أبريل 1952م إعداد تقرير سري سلمه له يوم 20 مايو 1952م عن طريق الكاتب العام. وهو كالتالي:

-1-

باريس في 20 مايو 1952

السيد جان فورجو Jean Forgeot

كاتب عام رئاسة الجمهورية

عزيزي الكاتب العام،

سأكون مضطراً لأطلب منكم تسليم رئيس الجمهورية<sup>11</sup> الرسالة المرفقة بهذا المحضر والتي تترجم ليس فقط تجربتي الأخيرة بالمغرب بل خبرة كبيرة بالممارسة السياسية في إفريقيا الشمالية. إنني أؤمن أنه لا زال هناك دور نلعبه من أجل المصلحة المشتركة لفرنسا والمغرب لكنني متأكد من أن (كي دور صال) ستخسر لأنها عاجزة بيولوجيا عن ربحه ولأن رئيس المجلس حرم نفسه من أجهزة الدراسة التي كانت تسمح له، قبل الحرب ليس فقط بالحكم في النزاعات بل باستيحاء إدارة دائمة للسياسة الإسلامية. العودة الودية إلى المشاورات مع السلطان تمثل المشكل الأول الذي يتعلق حله بشروط على المشاكل الأخرى لكن من المستحيل ترك الحكومة والإدارة تستمران في لامبالتهما وعجزهما تجاه القضية الإسلامية، لو بقي ليون بلوم Leon Blum لأكثر من شهر لأرجع كل الأجهزة التقنية إلى نصابها ولما كنا محتاجين لحل المسألتين التونسية والمغربية بخطب ارتجالية متضاربة. يجب أن تقوم أجهزة مؤهلة بدراسة عميقة للمشاكل المشتركة التي يطرحها الإسلام في إفريقيا الشمالية وللحلول الممكنة. الأحداث تسير بسرعة وتأخذ أبعاداً دولية يطرحها بفعل التحركات التي يقوم بها رجال الدين الجزائريون والتونسيون الذين استطاعوا كسب تأييد العديد من الأقطار.

تفاعلت باكستان والهند مع ذلك فقررا عدم تجديد منح الدراسة في فرنسا. تراقب أمريكا والدول الأنجلوسكسونية ما يجري في إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط بفصول مصلحي ينم عن قلق. إن تغيير الأمور وتحسينها لن يتم بالتصريح بأننا سنترك منظمة الأمم المتحدة. السياسة الفعلية

11 - Ibid., p. 137.

تحدد بالوقائع الملموسة ذات البعد الوطني أو الدولي وليس بتقاليد متجاوزة أو بأزمات الحب الخالص<sup>12</sup>. لا شيء كان يمنعنا من النجاح في تونس كما لا شيء يمنعنا من النجاح في المغرب. المستقبل سيقسم المسؤوليات بوضوح.

-2-

تيقنت من أن الظرفية لم تكن قط أكثر إيجابية لاستئناف المحادثات... وتيقنت من عجز (كي دورصال) وأن فرنسا ستخسر مرة أخرى. لقد تم التخطيط لكل شيء من طرف الإقامة، خصوصا أحداث الشغب التي عرفتها الدار البيضاء في دجنبر 1952م والتي نظمت بعناية للحيلولة دون وقوع تقارب مع القصر، فخسرت فرنسا من جديد.

بالنظر إلى أهمية هذا التقرير نورد مقتطفًا من التقرير المنجز لرئيس الجمهورية:

يجب على أي قرار سياسي لأن يأخذ السلطان بعين الاعتبار. فسياسة القوة التي تبناها الجنرال جوان لديها أنصار لكن لن تكون فعالة إلا إذا كانت الظروف الوطنية والدولية تسمح بها إلى حدها المنطقي:

إسقاط السلطان وتعويضه بحاكم نظامي لن تكون له أية مصداقية داخل البلد، بل سيتم فرضه عن طريق القوات المسلحة، وحكومة الإقامة التي تشدد على نظام الإدارة المباشرة. هذا هو ما يسمى بحل الشيوخ المغاربة رغم أن لا أحد يشك في كون خطوة مماثلة لن تكون مصاحبة بثورات ستجد دعما غير محدود من قبل الجماعات الفدائية القائمة في الإقليم الإسباني.

في انتظار ذلك، تنهج الإقامة سياسة الوخز بالدبابيس لانعدام الأفضل. تفرض على السلطان مساعدين لا يرغب فيهم<sup>13</sup>. تتم إحاطته بحاشية جامدة تتراوح أعمار أفرادها بين 60 و100 سنة. لا يتم إعلامه حتى بالزيارات الأجنبية. نشجع ونشرف أعداءه. إن سياسة الطعنات والمضايقات ليست فقط حقيرة، بل تبدو خطيرة ويظهر استعمالها مبنيا على غرور تام. إنها تنمي عدااء القصر دون أن تحقق في المقابل نتيجة ملموسة، لقد حُرِّفَت الحماية شكلا ومضمونا. إن المأساة هي استحالة تقويم هذه الوضعية المشبوهة. الأشخاص الذين يعتقدون أنه بإمكاننا الرجوع إلى روح الحماية إنما يرتكزون على أوهام، لأنه من غير الممكن تقنيا التخلي عن الإدارة المباشرة في الظروف الحالية... شيء طبيعي أن يعتبر السلطان وابنه التكتل بمثابة الإطار الأفضل لتحقيق الاستقلال الداخلي، لكن

12 -Ibid., p.138.

13 - Ibid., p.139.



لا يمكن أن نرفض حقها في التفكير بهذه الطريقة إذا كنا قد قررنا بإخلاص تطبيق سياسة التحرر التي كان ينويها ليوطي في تعليمات 1922م، حسب ما أعلن عنه بيير فيينو Pierre Viénot والتي تشير إلى ضرورة ترك الأمور تتطور نحو الاستقلال في ظل رئاستنا. غدا يمكن لتضامن الجماهير مع قائد المؤمنين أن يخلق وحدة معارضة ستجعل من رجال الدولة أفرادا متهورين إن هم أغفلوا مداها المحتمل... سيكون من غير الفطنة بأن الوقت يعمل لصالحنا وبأنه سيسهل علينا اكتشاف وصفة سياسية<sup>14</sup>.

#### 4 - أحداث الدار البيضاء (7-8 دجنبر 1952م)

بعد فشل محاولة الجنرال جوان لإسقاط السلطان في فبراير 1951م بسبب معارضة الحكومة، عمد خليفته الجنرال غيوم Guillaume، متكتما في البداية، إلى تقبل فكرة تدخل قوي محتمل تحت تأثير محيطه، خصوصا فليب بونيفاص Philippe Boniface قائد جهة الدار البيضاء، الذي طالما كان هو العقل المدبر لكل المقيمين المتوالين باستثناء إيريك لابون Erik Labonne.

كان المخطط مزدوجا: تحطيم حزب الاستقلال أولا باتهامه بالتحريض على الانقلابات بتواطؤ مع الحزب الشيوعي، ثم تحطيم السلطان تحت الهجمات المقترنة للقوى القديمة للبلاد، والقواد المدفوعين من طرف القائد الكبير للأطلس التهامي الكلاوي والمجامع الدينية، والزوايا بدعوة من الشريف عبد الحفي الكتاني.

لقد سمحت ثورة الدار البيضاء عند سماع مقتل الزعيم النقابي فرحات حشاد في تونس، بقمع حزب الاستقلال وردعه. وكانت مناسبة سانحة لشارل أندري جوليان كي يعبر عن موقفه من أحداث الدار البيضاء من خلال الرسالة التي وجهها إلى جريدة "لوموند" والتي استنسخت ووزعت في سائر أنحاء المغرب<sup>15</sup>.

تعتبر رسالة شارل أندري جوليان (أستاذ بجامعة السوربون، ومستشار الإتحاد الفرنسي) عنصرا من التحقيق أو على الأقل من الملف الذي فتح غداة أحداث الدار البيضاء المأساوية. وفيما يلي أهم ما جاء فيها:

14 - Ibid., p.140.

15 - Ibid., p.141.

سيدي المدير،

لقد كنت حاضرا في النقاش حول مشاكل إفريقيا الشمالية المنظم يوم 26 فبراير من طرف مركز المثقفين الكاثوليك... بعد الإشارة إلى البيانات المنشورة من طرف سلطات كي دورصال والإقامة العامة بالرباط حول عدد الضحايا تابع السيد شارل أندري جولييان قائلاً:

لو لم تكن الحكومة متعودة على خداع الرأي تنظيميا حول المسألة المغاربية، كما أكد على ذلك بقوة السيد متران Mitterrand، وزير سابق، وكاتب تقرير حول القضية التونسية، لما اكتفينا بتهذئة العقول وطمأننتها. لكن لم يعد أحد يثق بالبيانات بدءا من الذين يحررونها<sup>16</sup>. هل ستتجاهل الحكومة هذه المرة سياسة البيانات التكذيبية التي عهدتها ويقوم المقيم وسلطات كي دورصال بوضع حد للقلق المتزايد بالإجابة عن الأسئلة التالية؟

ما هي دعوات التمرد التي استند إليها الجنرال غيوم Guillaume؟ نحن لا نعرف إلا دعوة اتحاد نقابات العمال للشعب المغربي، المنشورة في جريدة "لوموند" يوم 7 دجنبر 1952م، والتي لم نجد فيها أي شيء يبرر مثل هذا الاتهام. كيف يمكننا تفسير كون النقابيين الألف وستائة والمجتمعين يوم الأحد 7 دجنبر صباحا في دار النقابات. والذين التحقوا بمنازلهم، بعد دعوات العصيان، والذين مروا بالمدينة الأوربية دون افتعال أي حادث ولو بترديد عبارات عدائية؟ كيف أمكن وقوع الأحداث الخطيرة الأولى خلال الليلة الموالية فقط في حي الكاريان سنترال وعقب أي تدخلات حصل ذلك؟ وما هما الهجمتان اللتان استعملت فيهما القنابل صباح يوم 7 دجنبر 1952م؟ هل اعتبر الجنرال غيوم تفجير صيدلية بقنبلتين عملاً يدخل في سلسلة التفجيرات؟

هل يمكنك إعطاء توضيحات حول الكمين الذي نصب في دار النقابات؟ هل صحيح أن جهاز الأمن، قد سمح بدخول ألفي نقابي دون عرقلتهم؟ هل قامت قوات حاشدة بتطويق البناية في الحين، فاعتقلت المتظاهرين عند خروجهم، وأشعبت بعضهم ضربا وسلمت آخرين للجماهير الذي باشر في الاقتصاص منهم ومعاقبتهم؟<sup>17</sup> لا يكفي تهديد الأساتذة الثلاثة عشر الذين قدموا شهادتهم فيما وقع، ووضعهم رهن تصرف السلطة الفرنسية.

تتحدث (كي دورصال) عن مقتل أربعة أشخاص في حين يقول الجنرال غيوم إنه تم اغتيال العديد من الأوروبيين العزل. هل يمكننا معرفة مدى القمع وما هي الأسس التي ارتكزت عليها

16 - Ibid., p.142.

17 - Ibid., p.143.

المئات من الاعتقالات التي تمت ولا زالت تتم؟ هل صحيح أن الهدف ليس فقط القضاء على حزب الاستقلال بل على أهل الفكر في المغرب مهما كانت توجهاتهم؟<sup>18</sup>

يروق لكثير من فرنسيي المغرب التردد بضرورة ردع جذري لأحداث الدار البيضاء وذلك لضمان الأمن خمسة وعشرين أو خمسين سنة. أحد كبار ممثليهم تكبد عناء المجيء منذ أيام قليلة، ليعرض علي برنامج إسقاط السلطان، إرسال فيالق مسلحة عديدة لحفظ النظام بحضورها فقط، إزالة العرب لإرجاع المغرب إلى جذوره البربرية.

كثيرة هي المسائل الغامضة التي تنتظر تفسيرات دقيقة. أليس من الأفضل إطلاع الرأي العام بتطورات التحقيق؟ فصل السلط لا يمنع من إعطاء معلومات كافية حول الملاحقات القضائية الناجمة عن الهجمات ضد الفرنسيين. فلنتجنب اللعب بالعدالة كما نفعله بالسلطة والإعلام.

لقد حان الوقت لكي تتوقف تضحية القيم الحقيقية التي يدافع عنها خطباء المركز، في سبيل فهم مغلوطة للمصلحة العليا للدولة.<sup>19</sup> Le Monde 31 Janvier 1953.

## 5 - مساعدة المغرب

لقد فشلت محاولة الإطاحة بسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف، والتي نظمتها الإقامة العامة في فبراير 1951، وقد تحسر لفشلها الفرنسيون المقيمون بالمغرب. أما الرجل الذي خطط لها، فهو Philippe Boniface الذي كان يسيطر على الإدارة وخاصة الشرطة. وقد قام بكل ما في وسعه لإنجاح محاولة ثانية لقلب النظام. وبعد أن أرغم حزب الاستقلال على العمل في الخفاء، نظم معارضة القواد والزوايا للانقلاب على الشرعية وتعويض سيدي محمد سلطان المغرب بسلطان آخر، ثم نفاه.<sup>20</sup>

إن استبدال السلطان لم يكن نتيجة لرأي الشارع، فكل الملاحظين رأوا أن شعبيته سواء في المدن أو القرى شيء لا يقبل الجدل. ولم يقع في حال من الأحوال أي تحرك تلقائي ضد القصر. المبادرة جاءت من أحد قواد الأطلس وهو الإقطاعي الذي اعتمد عليه ليوطي إنه القائد الكلاوي.

وعند دخول القوات الفرنسية إلى القرى والجبال، واستقبلتهم القبائل بحفاوة حيث اعتقدوا أنهم سيضعون حدا للاستغلال الذي كانوا يعانون منه، لكن سرعان ما أصابهم الإحباط.

18 - Ibid., p.144.

19 - Ibid., p.145.

20 - Ibid., p.146.



ولكي تضمن الولاء لها وضعت الإدارة الفرنسية كل السلطة بين يدي القائد الكلاوي الذي لم يتوان عن سلب الأراضي، وسجن المواطنين وضربهم وتعذيبهم ونهب خيراتهم وممتلكاتهم.

وفي الواقع لم يكن من الصعب على الإدارة الفرنسية كسر شوكة الكلاوي إلا أنها كانت تعتبره ورقة رابحة تخرجها عند الحاجة ضد السلطة المركزية المغربية.

إن الفرنسيين الذين كانوا على دراية بمصلحة فرنسا لم يكونوا يعتمدون عليه ولكن بعد مجيء الجنرال juin بدلا من السيد Erick Labonne كان هناك شأن آخر.

فالجنرال جوان الذي نشأ في الجزائر له عقلية باقي المعمرين، لا يؤمن إلا بالطرق العنيفة بدل الحوار وقد أراد الضغط على السلطان عن طريق تعبئة القبائل.

لقد قامت الإدارة الفرنسية بقيادة الجنرال جوان بتعبئة قبائل بربرية بأكملها (قبائل تسودها الأمية) نحو الرباط وفاس سنة 1951م لكن ولأن أمريكا لم تكن تؤيد ذلك تراجعت الحكومة الفرنسية عن استكمال مخططاتها<sup>21</sup>، وهذا لم يرق الكثير من المستوطنين الفرنسيين الذين اعتبروها فرصة ضائعة، صرحوا بضرورة إعادة الكرة في أقرب فرصة.

ولما تبين أن السلطان لا يذعن لمقترحات الجنرال غيوم القاضية بالموافقة على إصلاحات لصالح المستعمر، التجأ هذا الأخير إلى الوسائل العنيفة، ولأنه لا يمكنه أن ينحني السلطان بنفسه التجأ إلى Boniface الذي كان على رأس منطقة الدار البيضاء، والسيد Vallat رئيس الإدارة الترابية بتواطؤ مع الدبلوماسي De la Tour de Pin مستشار القصر.

هذا ما شجع الكلاوي على القيام بمبادرة ضد القصر، انتقاما منه لنفسه وضمانا لمكانه ولأبنائه في مراكز المسؤولية. والشيء ذاته قام به عبد الحفي الكتاني الذي عبأ الزوايا ضد القصر. هذه هي القوى الاجتماعية القديمة التي عبئت وقدمت للرأي العام على أنها تمثل الرأي والشارع المغربيين.

لقد حاول المستعمر أن يجعل من الكلاوي رجلا شريفا ينتمي إلى شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأن ينحي صفة أمير المؤمنين عن السلطان، لكنه لم ينجح<sup>22</sup>.

21 - Ibid., p.147.

22 - Ibid., p.148.

ومن جديد التجأ المستعمر إلى فبركة مسيرة القبائل المنظمة من طرف الكلاوي، وقد وضعت بين يديه وسائل السلطة إلى حد أصبح المستعمر يتفاوض معه كأنه قوة معترف بها. وهذا كان سي جلب الويل لفرنسا التي كانت ستفقد مصداقيتها أمام المنتظم الدولي، والتي كانت تعتقد أنها نجحت في خطتها لأنه تحت تهديد الأسلحة والمدرعات لم يكن بإمكان الشعب أن يقوم بأي تحرك، ونفس الشيء حصل في تونس بعد تنحية الباي منصف. وقد يقع في المغرب ما وقع في تونس من اغتيالات متبوعة بحملات قمعية شرسة الشيء الذي قد يجعل كل حل غير ممكن في تونس.

وإبعاد الباي منصف عن السلطة وكذا إبعاد محمد بن يوسف، لم يكن نتيجة عدائهما لفرنسا ولكن لكونهما يريدان تحقيق الاستقلال لبلديهما.

ونظرا لبعض الظروف (إخفاقات الجامعة العربية وشبه غياب أمريكي) ارتأى القصر أنه من المصلحة نسج علاقات مع فرنسا.<sup>23</sup> Jeune République septembre 1953.

#### 6 - هل ستفقد فرنسا المغرب كما فقدت الهند الصينية؟

بعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف في 20 غشت 1953 إلى كورسيكا ثم مدغشقر، ظن الأوروبيون المقيمون بالمغرب أنهم سيعيشون في أمن واطمئنان في هذا البلد، لكنه لم يكن شيء من ذلك، وقد تبين جليا أن السلطان ابن عرفة الذي نصبته الإقامة العامة بدلا لابن يوسف، يعتبر خائنا والمنفي شهيد في أعين الشعب الذي كان يتهدى للمقاومة.

لقد تنبأت صحيفة لوموند Le Monde الفرنسية في العدد الصادر يوم 26 يوليوز 1954م بأن فرنسا ستكون مضطرة يوما ما إلى استقدام محمد بن يوسف مثله مثل بورقيبة في تونس.<sup>24</sup> هو الشيء الذي تحقق سنة 1955م.

فبعد أن فقد قانون الحماية مصداقيته، تغيرت حالة المغرب من سيء إلى أسوأ، وأصبحت الإدارة الاستعمارية تراقب وتسيطر على كل شيء، إلا أنه رغم ذلك، لم تعد السلطات العمومية قادرة على مراقبة القوى الاقتصادية خاصة بعد تنحية Erick LaBonne عن السلطة سنة 1947، ولم تقدر على كبح جماح الإدارة العليا التي أصبحت سياستها مرتبطة بالمصالح العقارية والبنكية. الشيء الذي حال دون العودة إلى تطبيق<sup>25</sup> مستمر لسياسة الحماية.

23 - Ibid., p.151.

24 - Ibid., p.152.

25 - Ibid., p.153.

إن نفي السلطان خلق وضعية سيئة ما فتئت تتدهور، كما أن اعتقال آلاف الوطنيين ومن بينهم مفكرين وسياسيين أكفاء جعل من المخاطب للإدارة الفرنسية سواء على الصعيد الاقتصادي أو الثقافي حفنة من الأميين والوصوليين.

وأصبحت المقاومة شعار الطبقة العاملة بالدار البيضاء بدل الطبقة البرجوازية، وبات الإرهاب الوسيلة الوحيدة للمقاومة في غياب وسائل أخرى.

وقد وجهت هذه المقاومة ضد كل المقيمين الأوروبيين وضد البرجوازية، وبذلك وصلت السياسة الفرنسية إلى الطريق المسدود، وبات من الضروري التفكير في إعادة السلطان وخاصة وأن كل الشعب أصبح يطالب برجوع عاهله<sup>26</sup>. وكان من الحكمة أن تحذو الحكومة الفرنسية حذو نظيرتها الإنجليزية التي استقدمت نهرو إلى الهند.

وجدت الحكومة الفرنسية نفسها مجبرة أمام هذه الوضعية باتخاذ قرار يضع حدا للحماية على المغرب، ويقيم علاقات جديدة بينها وبين المغرب في إطار اتحاد فرنسي تحكمه قوانين مرنة. وأن يسبق المفاوضات بين المغرب وفرنسا الإفراج عن المعتقلين السياسيين وتعويض الموظفين القدامى بموظفين جدد أكفاء وإقامة حكامه جيدة.

إن قرار إعادة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى عرشه، كان حتمية واقعية فرضها واقع الأحداث التي واكبت عملية النفي، وفي هذا الصدد يتمنى شارل أندري جوليان وهو يبدي موقفه من هذه الأحداث ما يلي:

"نتمنى من الحكومة الجديدة أن تتخذ تدابير صحيحة تراعي مصلحة فرنسا وفي نفس الآن

مصلحة المغرب." <sup>27</sup> Le Monde 26 juillet 1954.

26 - Ibid., p.154.

27 - Ibid., p.156.





## محمد الخامس رائد التحرير والوحدة في إفريقيا

ذ. أحمد بلخيري

باحث في التاريخ المعاصر - فاس

كان محمد الخامس (طيب الله ثراه) إنسانا فذا وشخصية عملاقة، ورغم أنه كتب عنه الكثير بواسطة مغاربة وأجانب، فهو حسب المهدي بنونة: «يستحق أكثر مما كتب عنه»<sup>1</sup>، فليس سهلا على الباحث في تاريخ المغرب السياسي والفكري، أن يحرر سيرة مختصرة للملك المغفور له محمد بن يوسف، أو يكتب عنه ترجمة مركزة، هذه الشخصية الفذة التي غدت علما على العصر<sup>2</sup>، فقد كتب عن حياة هذا البطل الوطني العظيم، بمختلف اللغات عشرات الكتب وآلاف المقالات والاستطلاعات الصحفية، وعقد أكثر من مئتي شرقا وغربا لدراسة مراحل نضاله وتحليل أفكاره، وجرّد منجزاته، تحدث عنه فيها مؤرخون كبار ومحللون سياسيون، لامعون، ونقاد معروفون على الصعيد الدولي بسعة الاطلاع ودقة التحليل وحسن الاستنتاج<sup>3</sup>.

### - مكانة محمد الخامس الدولية

يصعب إيراد الشهادات المعاصرة التي تناولت شخصية محمد الخامس، نظرا لكثرتها وتعدد الزوايا التي لامست من خلالها عن قرب مواقفه سواء خلال فترة الحماية وما عرفه المغرب من أحداث جسام أو فترة الاستقلال التي شهدت العديد من الملاحم البطولية التي جسدها محمد الخامس على الصعيد الوطني والعربي والإفريقي.

وتعتبر الشهادات من بين أهم مصادر المادة العلمية بالنسبة للتاريخ، كما تعد مكملة وموضحة للمعلومات المستخرجة من الكتب والوثائق، وسنورد بعضا من الشهادات التي أدلى بها في مواقف متعددة العديد من الشخصيات السياسية والفكرية التي عرفت المغفور له عن قرب.

1 - المهدي بنونة: المغرب السنوات الحرجة، كتاب الشرق الأوسط، ط. الأولى 1959م، ص. 482.

2 - عباس الجراري: محمد الخامس منهج كفاح للتحرير - ديوان أصدقاء المغرب.

3 - عبد الوهاب بنمنصور، حياة محمد الخامس في المنفى حسب الأرشيف الفرنسي الغميس، أكاديمية المملكة سلسلة الدورات 2004م، ص. 83.

- شهادة فاضل الجمالي، وزير الخارجية العراقي: فهو من الملوك المسلمين العظام الذين يخلد التاريخ ذكراهم على مر العصور والأجيال، ومن القادة البارزين الذين جاهدوا في سبيل الله حق جهاده لتحرير شعوبهم، كان واقعيا حكيما يزن الأمور بميزان العقل والبصيرة، شجاعا غير هيب للمحن<sup>4</sup>.

- الدكتور ناصر الدين الأسد، المفكر والوزير الأردني: «محمد بن يوسف الذي تعددت مواقف جهاده في الداخل والخارج، حتى أصبح رمزا للنضال الوطني لبلاده وللنضال القومي العربي في المشرق والمغرب، وللنضال الإفريقي على امتداد القارة الإفريقية، وقد تجلّى نفاذ بصيرة جلالته وصدق إحساسه وفراسته، في أنه كان يرى أن الأقطار العربية والإفريقية تكون المجال الحيوي للمغرب»<sup>5</sup>.

- الشيخ البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء الجزائريين: فإذا أثينا اليوم على محمد بن يوسف ملك المغرب، فإنما نشني على أعماله الجليلة ومواقفه المشرفة المجيدة. هذا الملك العظيم حقا، واسع الاطلاع على أحوال زمنه يقظان العقل في أسرار السياسة المحيطة به، شجاع الرأي في الجدل المحتدم فيها<sup>6</sup> وتحفل البصائر بمقالات كلها إشادة بشخصية محمد الخامس وتضحياته وصموده في وجه مؤامرات الاستعمار.

- الدكتور حسين مؤنس، المؤرخ المصري الكبير: «وإذا جلست إليه شعرت أنك مع رجل خلق ليقود، ليوجه، ليتزعم، إنه يتحدث في هدوء يخالجه ذلك الحماس الذي يلازم أصحاب الدعوات الكبرى، لقد أدرك بثاقب بصره أن عرشا يسنده الاستعمار لابد أن يتلاشى يوما، وأن عرشا يسنده الشعب لابد أن يكتب له الخلود»<sup>7</sup>.

- الدكتور الطاهر أحمد مكي، المفكر المصري: «والدور الذي اضطلع به محمد الخامس - رحمه الله - يملأ وجدان كل عربي ومسلم بالزهو، فلم يحدث على امتداد التاريخ الوسيط أن اجتمعت في

4 - فاضل الجمالي، جلالته الملك المغفور له محمد الخامس الأب القائد للشعب المغربي، الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الراحل، جمعية رباط الفتح 1988م، ص 86-87.

5 - ناصر الدين الأسد، المكانة العالمية لشخصية محمد الخامس المجاهد وحضورها الدولي، الأكاديمية... مرجع سابق ص. 176.

6 - البصائر 147 مارس 1951م.



فرد واحد صفات الملك والقائد والبطل والمحارب والزعيم والمحرر والمناضل والأب كما اجتمعت فيه»<sup>8</sup>.

- الموسوعة العربية: «تطلع منذ طفولته المبكرة إلى الزعامة والمجد، وكان صلبا في مواقفه لا يعرف التردد، اتصل منذ نشأته برجال الحركة الوطنية والمفكرين، فكان يندد بالاستعمار والمستعمرين ويدعو إلى مقاومتهم، لم يكن يأبه بمظاهر الأبهة، كان متمسكا بالتراث، رافضا الترف المادي، كما كان واقعيا حكيما، يقدر خطورة الموقف، ويزن الأمور بميزان العقل والبصيرة شجاعا غير هيب للمحن والصعاب»<sup>9</sup>.

- محمد فائق، وزير الإعلام المصري السابق: «كان للملك محمد الخامس دور هام وأساسي في تحرير إفريقيا من الاستعمار، ومقاومة السياسات العنصرية، كما كان له دور مشهود في وضع الأسس التي قامت عليها وحدة إفريقيا»<sup>10</sup>.

وينبغي الوقوف عند الرواية التي رواها محمد فائق بعد نفي محمد الخامس والتي تعتبر في الحقيقة شهادة من الزعيم، جمال عبد الناصر في حق المغفور له الملك محمد الخامس: وذهبت لجمال عبد الناصر لأستطلع رأيه في هذا الحدث الخطير -أي نفي محمد الخامس- وكيفية التعامل معه خاصة وأنا كنا قد أسقطنا النظام الملكي في مصر، وهنا قاطعني جمال عبد الناصر قائلا: هذا ملك صالح ومناضل كبير يناضل من أجل شعبه ويقاوم الاحتلال وله مواقف نبيلة وشريفة، استطاع أن يلتحم مع شعبه ويعبر عن أمانيه وقبل التضحية من أجل ذلك. ثم قال بنبرة حاسمة سوف نقف معه ونؤيده بكل قوة إعلاميا وسياسيا وبكل وسيلة ممكنة.

المهدي بنونة، رئيس ومؤسس وكالة المغرب العربي للأنباء: «كان محمد الخامس قائدا سياسيا محنكا، مستقيما، وله روح شفافة، وفي جميع تصرفاته يلتزم الأخلاق الإسلامية ... ولم يقتصر اهتمام

8 - الطاهر أحمد مكي: محمد الخامس وتراث العرب الثقافي، دعوة الحق نوفمبر 1966م، ص. 90.

9 - محمد عامر، مصطفى الخطيب الموسوعة العربية Arab-ency.com/

10- محمد فائق: جلالة الملك محمد الخامس ودوره في تحرير إفريقيا وتحقيق وحدتها، ضمن ندوة: جلالة المغفور له محمد الخامس:

كفاح من أجل الاستقلال ودعم حركات التحرير الإفريقية: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش

التحرير الرباط 2005م، ص 117-119.

الملك محمد الخامس على أحوال المغرب، بل حرص على متابعة ومساندة قضايا الشعوب العربية والإسلامية والإفريقية والعمل من أجلها»<sup>11</sup>.

ونظرا للمكانة التي كان يحظى بها محمد الخامس، فقد أثار حادث نفيه صدى واسعا على الصعيد العالمي. ففي اليوم التالي لخلع السلطان المراكشي طلب مندوبو الدول العربية والآسيوية الأربع عشرة وليبيا اجتماعا طارئا لمجلس الأمن الدولي، واعتبروا خلع السلطان تهديدا للسلام والأمن الدوليين<sup>12</sup> وكلما تقدمت الأعوام وتعاقبت الأيام، إلا وبان أثر السياسة الحكيمة والتخطيط الهادف الذي رسمه محمد الخامس لتحرير وطنه وتوحيده، ولدفع إفريقيا والعالمين العربي والإسلامي للثورة على الاستعمار<sup>13</sup>.

وبالرغم من مرور السنين والأعوام، فلم تنس الأجيال الشابة رموز النضال ضد الاستعمار، فقد كرم مجلس الشباب العربي للتنمية بالقاهرة المغفور له محمد الخامس ضمن رموز الكفاح الوطني، وخصه بالدرع التذكاري تكريما له على كفاحه من أجل تحرير المغرب من ربة الاستعمار وجهوده لنصرة قضايا الأمتين العربية والإفريقية وتحقيق تطلعاتهما إلى الحرية والاستقلال<sup>14</sup>.

وبعد وصول الجنرال دو كول إلى السلطة في فرنسا سنة 1958م بعث رسالة إلى الملك محمد الخامس مما جاء فيها: «وإني أبعث إلى جلالتك بأسمى وأصدق عبارات التقدير الذي أكنه في نفسي لجلالتكم منذ أن كافح المغاربة والفرنسيون معا وجنبا إلى جنب من أجل حريتهما وحرية العالم»<sup>15</sup>.

وفي سنة 1957م تصدرت صورة الملك محمد الخامس غلاف مجلة التايم الشهيرة يحمل

عنوان<sup>16</sup>: The Sultan of Morocco-Sultan Mohamed V.

#### - منهجية محمد الخامس في التصدي للسياسة الاستعمارية

ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية، حتى أصبح الاستقلال هو المطلب الأساسي والوحيد لكل الحركات الوطنية في جميع أنحاء العالم<sup>17</sup> ويتعلق الأمر بجدلية الاحتلال والتحرير، بحيث لا يمكن

11 - المهدي بنونة، المغرب السنوات الحرجة، مرجع سابق، ص. 479-480.

12 - الدكتور علي محافضة: فرنسا والوحدة العربية 1945-2000م، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط. الأولى، 2005م، ص. 237.

13 - يوسف الكتاني: محمد الخامس رائد التحرير، مجلة دعوة الحق، ع 268.

14 - Al 3 Omk.com/2015/11/23.

15 - الحسن الثاني ملك المغرب، التحدي، المطبعة الملكية، ط. الثالثة 1995 ص. 353.

16 - content.Time.com.

17 - عبد الحميد زوزو: تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.

أن يكون هناك احتلال دون مقاومة، فالمقاومة المناوئة للامبريالية انفجرت في أشكال متباينة من الأحزاب والحركات والشخصيات الكبيرة<sup>18</sup> ومن هذه الشخصيات الكبيرة كان محمد الخامس، الذي سلك مختلف طرق النضال للوصول إلى الحرية والاستقلال وتحقيق الوحدة، وإيجاد الحلول للمشكلات المستعصية، فجميع الإمكانيات التي تسيطر على مستقبل العالم، إنما تصدر أساسا على طبيعة الاتصال الإنساني، ويبدو أن هذه الفكرة قد بدأت تأخذ طريقها ولاسيما في خطب سيدي محمد بن يوسف سلطان مراكش، حيث عبر جلالته عن فكرته في إنشاء علاقات جديدة لبلاده مع فرنسا في حدود الاستقلال والتضامن<sup>19</sup>.

وانبثقت مدرسة محمد الخامس المتميزة في سياق الفكر السياسي المغربي، وكذلك الإسلامي والدولي، بمفهومها للسلم ليندرج داخل رؤية متكاملة ووعي بأبعاد هذا المفهوم المؤثر على مختلف جوانب الحياة، بدءا من الموقف ضد الاستعمار إلى طرح القضايا والمشكلات المحلية والعالمية والسعي إلى حلها<sup>20</sup> فقد كان محمد الخامس بطل الكلمة الطيبة، قال في خطاب وجدة 1956م: لقد كنا دائما وسنظل من أنصار حل المشاكل بالطرق السلمية<sup>21</sup>. وسيعترف الزعيم الإفريقي نلسون مانديلا لاحقا أنه استفاد من منهجية محمد الخامس في التحرير.

#### - البعد الإفريقي في سياسة محمد الخامس

على الرغم من قصر الفترة الزمنية الفاصلة بين عودة المغفور له محمد الخامس من المنفى ووفاته المفاجئة سنة 1961م، إلا أن هذه المدة القصيرة كانت مليئة بالأحداث والمواقف التي سجلها التاريخ لمحمد الخامس سواء على الصعيد الوطني أو على الصعيد العربي والإفريقي، فقد جعل المغرب الكفاح المشترك مع دول القارة للتخلص من الاستعمار ونيل الاستقلال أهم أهداف سياسته الخارجية، ولم يكن محمد الخامس رمزا للوطنية المغربية فقط. بل كان أيضا زعيما إفريقيا تستلهم شعوب القارة تجربته في كفاحه ضد الاستعمار، واتسمت السياسة المغربية منذ البداية بدعم الدول الإفريقية لنيل حريتها واستقلالها. يقول الدكتور الخطيب: «عينت وزيرا للدولة مكلفا بالشؤون الإفريقية، وفي هذه الفترة ساعدت الحكومة المغربية جميع المنظمات التحررية في إفريقيا، ومثلت

18 - إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، ط. الرابعة دار الآداب 2014 ص. 287.

19 - مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط. الثانية، بيروت 1971 هامش ص. 59.

20 - عباس الجراري: «ظاهرة الجنوح للسلم في الفكر السياسي المغربي ومدرسة محمد الخامس» دعوة الحق ع. 269، ص. 121.

21 - إبراهيم بوطالب: مجلة الأزمنة الحديثة ع. 10، خريف، 2015 ص. 21.



شخصيا المغرب في ندوة عقدت بنيودلهي تحت رئاسة جواهر لال نهرو، لدراسة مشاكل المستعمرات البرتغالية في إفريقيا»<sup>22</sup>.

ويؤكد الخطيب القول مرة أخرى في أحد الاستجابات: «غير أن الاتجاه الأساسي في السياسة الخارجية المغربية في عهد محمد الخامس كان هو الاتجاه نحو إفريقيا»<sup>23</sup>، وأضحى المغرب مع استقلاله إحدى الدول الفاعلة والمؤثرة في السياسة الإفريقية»<sup>24</sup>.

ولنستمع إلى شهادة الداوي ولد سيدي بابا في الموضوع: «عندما تسلمت أوراق اعتمادني من المغفور له محمد الخامس كسفير لجلالته بغينيا، وجهني رحمة الله عليه بالكلمات المقتضبة الآتية: بلغ تحياتنا لأخيना أحمد سيكوتوري، واعلم أنك ذاهب إلى بلاد تقع في منطقة تربطنا بشعوبها روابط كثيرة منذ عدة قرون، ونحن نسعى إلى تقوية هذه الروابط لأننا نتطلع إلى تحرير إفريقيا واستقلالها ووحدتها، إذ أن استقلال إفريقيا وحريتها ووحدتها جزء من استقلالنا وحریتنا ووحدتنا»<sup>25</sup>.

وخصص محمد الخامس حيزا معتبرا في خطب عيد العرش للقارة الإفريقية وقضاياها كما هو الشأن في خطاب سنة 1959م الذي حمل عنوان الانبعاث الإفريقي، وساهم بلدنا مساهمة فعالة في اجتماعات الكتلة الإفريقية الآسيوية، وحضر بمنروفا مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة، الذي كان مظهرا رائعا لليقظة والانبعاث الجديد، الذي يغمر شعوب القارة الإفريقية... وقد أحسننا بالروح المتوتبة السارية في إفريقيا خلال وقفاتنا لبعض مدنها وقراها يوم قمنا بزيارتنا التذكارية لجزيرة مدغشقر، ويطيب لنا بهذه المناسبة أن نوجه تحياتنا وتهانئنا إلى الشعوب الإفريقية التي ستسجل السنة المقبلة ميلاد تحررها السياسي مؤملين أن نوجه في القريب تحيات وتهاني مماثلة إلى أقطار أخرى يتعزز باستقلالها جانب الحرية والمساواة في المعمور<sup>26</sup> وصدقت فراسة رؤية محمد الخامس، فكانت سنة 1960م سنة إفريقيا، شهدت المرحلة التحررية الثانية وفيها استقلت 17 دولة جديدة<sup>27</sup> وفي رحلة هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا إلى إفريقيا سنة 1960م صرح قائلا:

22 - محمد خليدي، حميد خباش: الدكتور عبد الكريم الخطيب مسار حياة، ط 2، 2001 ص 87.

23 - سعيد الصديقي: أطروحة: صنع السياسة الخارجية المغربية، جامعة محمد الأول وجدة كلية العلوم القانونية، ص. 334.

24 - خالد شكراوي، «السياسة الإفريقية للمغرب في عهد محمد الخامس» مجلة المناهل، ع. 77-78، ص. 193.

25 - الداوي ولد سيدي بابا: «محمد الخامس وإشعاعه على تحرير إفريقيا» الندوة الدولية حول محمد الخامس، مرجع سابق، ص. 361.

26 - مجلة دعوة الحق الثالث دجنبر 1959 ص 6.

27 - جمال حمدان: إفريقيا الجديدة دراسة في الجغرافية السياسية مكتبة مدبولي 1996م، ص 45.

«إن ريح التغيير تهب على هذه القارة»<sup>28</sup> فخلال الستينات اشتدت الحركات التحررية الوطنية وهزت معازل السيطرة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية والبلجيكية.

تمكنت العديد من بلدان القارة الإفريقية من تحقيق الاستقلال، وحرص محمد الخامس خلال هذه المرحلة أن يصل الصوت الإفريقي للمجتمع الدولي وأن تحظى قضايا القارة بالأولوية في المحافل الدولية كالأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز حيث قامت إفريقيا بدور هام داخل هذه المجموعة منذ مؤتمر باندونغ<sup>29</sup>.

#### - دور محمد الخامس في انعقاد المؤتمرات الإفريقية

أدرك الأفارقة أن أقوى سلاح استعمله المستعمر لاستعمارهم هو سلاح التفرقة، لذلك اتجهوا إلى طريق الوحدة لمواجهة السياسات الاستعمارية، فعرفت القارة العديد من المحاولات الوحدوية وأشكال التكتلات، وكان المغرب من السابقين للدعوة إلى عقد مؤتمرات جهوية تضم كافة دول القارة المستقلة، لتنسيق الجهود وبلورة المواقف الموحدة<sup>30</sup>.

حيث حرص محمد الخامس على قيام حركة إفريقية موحدة.

- مؤتمر أكرا 1958م: بعد حصول المغرب على الاستقلال مباشرة أطلق محمد الخامس - رحمه الله - مبادرته الإفريقية الأولى المتمثلة في دعوته إلى عقد أول مؤتمر لقادة الدول الإفريقية المستقلة بهدف البحث فيما يمكن لتلك الدولة أن تقدمه من دعم وتأييد للشعوب التي كانت تخوض المقاومة ضد الاستعمار<sup>31</sup>.

وشاركت في المؤتمر الدول المستقلة آنذاك، وهي غانا وغينيا والمغرب تونس وليبيا وإثيوبيا وليبيا ومصر، وعمل الرئيس نكروما على إشراك العديد من حركات التحرير الإفريقية في المؤتمر.

وكان الشغل الشاغل لأفارقة القارة يتمثل في القضايا التي تمس الوحدة الوطنية والتنمية وتركز جدول أعمال المؤتمر على مكافحة الاستعمار والعنصرية وتقديم المساعدة لحركات التحرير،

28 - نورالدين حاطوم: تاريخ عصرنا منذ 1945م، دار الفكر لبنان 1970 ص 107.

29 - مجلة السياسة الدولية ع 45 يوليوز 1976 م، ص 39.

30 - محمد بناني: الندوة الدولية حول محمد الخامس - مرجع سابق ص 356

31 - أحمد عصمان: جلالته المغفور له محمد الخامس - مرجع سابق ص 83.

وتكوين جبهة موحدة في الأمم المتحدة، ووجه الزعماء الأفارقة نداء إلى الشعوب الإفريقية شددوا فيه، على أن الكفاح من أجل الاستقلال السياسي ليس إلا المرحلة الأولى، والوسيلة إلى التحرر الكامل اقتصاديا وثقافيا ونفسيا. وناشدوا أبناء إفريقيا توحيد الصفوف وتنظيم الجهود في سبيل تحقيق الاستقلال التام<sup>32</sup>.

وانعقد المؤتمر تحت شعار إفريقيا للأفارقة، كما لفت المؤتمر عناية الباحثين إلى توجيه مزيد من العناية للتاريخ الإفريقي وإلى ضرورة إعادة كتابة تاريخ إفريقيا<sup>33</sup> وبرهنت التوصيات التي خرج بها المؤتمر على الدور الذي لعبه المغرب، حيث تضمنت جميع النقاط المدرجة في تدخل وزيره في الخارجية، ومن بينها، التعاون الإفريقي في الميادين الاقتصادية والثقافية، احترام استقلال وسيادة الدول الإفريقية ووحدتها الترابية بالحل السلمي للنزاعات الإفريقية<sup>34</sup>.

- مؤتمر منروfia 1959م: شارك المغرب بوفد هام ترأسه رئيس الوزراء الأستاذ عبد الله إبراهيم، ونظرا للمكانة المرموقة التي كانت تكنها الأقطاب الإفريقية المجتمعة لشخص محمد الخامس كأحد زعماء إفريقيا، أسندت رئاسة جلسة الافتتاح للوفد المغربي.

- يعد مؤتمر الدار البيضاء 1961م النواة الأولى لقيام منظمة الوحدة الإفريقية.

ظروف انعقاد المؤتمر: انعقد المؤتمر في ظل اشتداد التوتر عالميا بين المعسكرين الغربي والشرقي، واستفحال أزمة الكونغو إفريقيا.

وينبغي التنبيه هنا على أن المغرب الحديث الاستقلال، تبنى سياسة الحياد الإيجابي، أي الطريق الثالث بين الكتلة الغربية والشرقية، وهو ما اصطلاح عليه<sup>35</sup>. Ni Est, Ni Ouest.

ولعب المغرب تاريخيا بحكم أسبقية استقلاله، العديد من الأدوار على الصعيد الإفريقي، ومساهمته الفعلية في إنشاء التجمعات الإفريقية، والعمل في جهود الوساطة وحل النزاعات الإفريقية وإرسال تجريدات عسكرية لمناطق النزاع كما هو الشأن في الكونغو<sup>36</sup>.

32 - تاريخ إفريقيا العام: المجلد الثامن منذ عام 1935م اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا اليونسكو، 1998م، ص. 810.

33 - الدكتور زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي 1996م، ص 6.

34 - مذكرات من التراث المغربي، إشراف العربي الصقلي، ج. 7، - 1956م، ص. 215.

35 - zamane Hors-Serie N°5 2016

36 - Sis.gov.Eg



وعقد مؤتمر الدار البيضاء بناء على الدعوة التي وجهها محمد الخامس للزعماء الأفارقة، لتنسيق السبل الكفيلة بحل المشاكل التي تعاني منها القارة، وإيجاد أدوات ووسائل للعمل الإفريقي المشترك، واعتبر المؤتمر نقلة هامة في التاريخ الإفريقي من خلال أهمية القضايا التي بحثها والقرارات والنتائج المترتبة عنه، ونصت ديباجة المؤتمر على تحديد واضح لمفهوم الوحدة حيث جاء في الفقرة الأولى:

نحن رؤساء الدول الإفريقية نعلن تصميمنا على نصره الحرية في جميع أرجاء إفريقيا وتحقيق وحدتها.

#### - خطاب محمد الخامس التوجيهي لمؤتمر الدار البيضاء

يظهر الخطاب إدراكا عميقا للقضايا الدولية، ودور وتأثير القوى الكبرى في شؤون العالم، وفهما لمشاكل وأزمات القارة ومعاناتها مع الاستعمار كما تميز بالصراحة والجرأة العالية في توجيه اللوم إلى الأمم المتحدة والقوى الكبرى لإخلالها في القيام بواجباتها في الحفاظ على السلام العالمي، مذكرا إياها بالآزمات الدولية التي أفضت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وإننا بهذه المناسبة نهيب بالضمير العالمي، ونلفت أنظار رؤساء الدول والقباضين على أزمة السياسة العالمية بالخصوص لينظروا نظرة جديدة في المأزق الحرج الذي توجد فيه المنظمة الآن، ونذكرهم بما آلت إليه جمعية الأمم السابقة، عندما عجزت سنة 1936م عن إيقاف العدوان على الحبشة<sup>37</sup> وشجب الخطاب بأشد العبارات سياسة التمييز العنصري الذي تنهجه جنوب إفريقيا. إن القارة الإفريقية هي الجزء الوحيد في العالم الذي مازال مسرحا للميز العنصري كمذهب ونظام، ذلك الميز الذي هو أفظع مظاهر الاستعمار<sup>38</sup>، وأدان الخطاب التجارب النووية، كما نهيب بالقارة أن تعبئ قواها بغية جعل حد لاستعمال إفريقيا حقلا للتجارب الذرية، وتعرض سلامة سكانها لأخطار محققة، وذكر الخطاب الحاضرين بمقاومة الأفارقة ونضالهم من أجل الحرية والاستقلال، لقد كان من الظواهر الكبرى التي امتاز بها النصف الثاني من القرن العشرين، يقظة إفريقيا ونمو وعيها وبروز شخصيتها وتصميم عزمها على كسر الأغلال واحتلال المكان الجدير بماضيها وموقعها وطاقاتها الإنسانية.

37 - مجلة دعوة الحق، ع. 35 - 1961م.

38 - مجلة دعوة الحق، ع. 35 - 1961م.

## - الميثاق الإفريقي

لعل أهم ما تمخض عنه مؤتمر الدار البيضاء هو صدور الميثاق الإفريقي الذي ستركز عليه منظمة الوحدة الإفريقية عند قيامها سنة 1963م وذكر محمد الخامس الزعماء الأفارقة بأهمية اللحظة التاريخية التي يجتمعون فيها. إن هذه اللحظة التي نجتمع فيها الآن لحظة تاريخية حاسمة في حياة إفريقيا فبعدما عاشت شعوبها سنين طويلة مستعمرة، ها هي ذي طائفة من دولها المستقلة بشرقها وغربها ووسطها تجتمع لتضع ميثاق إفريقيا الجديدة وتبعد سبل التحرر والسعادة لأجيالها الحاضرة والمقبلة وإن هذا المؤتمر لأحسن ما يسنح من الفرص لوضع ذلك الميثاق لتحقيق الأهداف التالية التي نتطلع جميعا إليها:

- القضاء على النظام الاستعماري بتحرير الأجزاء التي ما تزال مستعمرة.
- القضاء على العنصرية بجميع مظاهرها.
- محاربة الاستعمار الجديد بجميع أشكاله ومختلف ألوانه.
- معارضة كل تدخل أجنبي في الشؤون الإفريقية.
- تشييد وحدة إفريقيا.

ويختتم جلالته الخطاب الهام بالتطلعات المستقبلية للقارة: وإننا لتتطلع بمنتهى الأمل إلى اليوم الذي يجتمع فيه المسؤولون عن دول إفريقيا كلها للنظر في شؤون قارتهم، وقد اختفت منها أشباح الاستعمار والعنصرية والانقسام، وأشرقت عليها شمس الحرية والوحدة والرخاء والسلام<sup>39</sup>. ولم يمهل القدر المغفور له محمد الخامس ليرى العديد من هذه التطلعات قد تحققت على أرض الواقع بفضل يقظة الشعوب الإفريقية ونضال العديد من زعاماتها المتنورة.

## - أصداء مؤتمر الدار البيضاء

خلف مؤتمر الدار البيضاء آثارا ونتائج بعيدة المدى وتلخص كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الجلسة الختامية للمؤتمر الجهود التي بذلها محمد الخامس لإنجاح أعمال المؤتمر وإصدار الميثاق الإفريقي: يا صاحب الجلالة لقد عشنا معكم هنا جو إفريقيا الواعية التي أحست بمسؤوليتها تجاه نفسها وتجاه السلام العالمي.

39 - مجلة دعوة الحق، ع. 35 - 1961م.

فقد انهارت في هذا المؤتمر أسطورة الاستعمار في تقسيم القارة... يا صاحب الجلالة إنني أوجه لكم صادق الشكر وعميق التقدير لمبادرتكم الإيجابية إلى دعوة المؤتمر، فقد لمسنا جميعا مدى الجهد المتفاني الذي واجهت به رئاستكم لجلساته، وإننا لنذكر جميعا أن هذا الجهد كان من أهم مقومات نجاح العمل الذي تصدينا له<sup>40</sup>، وفي افتتاح مؤتمر الشعوب الإفريقية المنعقد بالقاهرة سنة 1961 أشاد جمال عبد الناصر بمؤتمر الدار البيضاء قائلا: ولا بد أن أسجل أمامكم أن خطوات كثيرة قد تمت على الطريق الصحيح، وقد كان مؤتمر الدار البيضاء أبرز هذه الخطى، ولقد كان اجتماع هذا المؤتمر رمزا على إيمان القارة بوحدها الطبيعية، وضرورة وحدة كفاحها تبعا لذلك، وبحتمية وحدة مصيرها في نهاية الأمر وقد تجلى الإيمان فيما صدر عن هذا المؤتمر من ميثاق لإفريقيا<sup>41</sup> وحرص الرئيس ألفاكوندي رئيس الاتحاد الإفريقي بقمة أديس أبابا الأخير على الإشادة والتنويه بالدور التاريخي للمغفور له محمد الخامس في إطار مجموعة الدار البيضاء والتي شكلت الأساس لإحداث منظمة الوحدة الإفريقية، فصرح الرئيس كوندي قائلا: «إن روح محمد الخامس ترفرف بمقر المنظمة»<sup>42</sup>.

40 - مجلة دعوة الحق، ع. 35 - 1961 م.

41 - Nasser.Bibalex.org/Data 1961

42 - جريدة الصباح 31 يناير 2017 م.





## محمد الخامس طيب الله ثراه ومسجد أنتسيرايا أيام المنفى ربط الحاضر بالماضي

ذ. مولاي الحسن بلباكري  
عضو المجلس العلمي المحلي  
لإقليم - تاونات

لم يكن خروج السلطان محمد بن يوسف من وطنه العزيز عليه بالأمر الهين، فقد دأبت النفوس على الارتباط بأوطانها، ولكن من منطلق المؤمن بقضاء الله وقدره، فقد تحمل مرارة الصبر على المنفى، بعد أن رفض المساومات الرخيصة التي طالما اقترحها عليه المعمر الفرنسي من أجل التنازل عن عرشه، الذي يمثل رمز السيادة والعزة للوطن، وهو في ذلك يستحضر محنة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم أن أخرجه قومه من مكة، حين قال بعد أن بارح دروبها وشعابها، وأوشك على الانفصال عن جبالها وواديانها وهضابها، فوجه إليها خطابه، وكأنها يناجيها، على مرارة فراق ما فيها ومن فيها، ويقول: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»<sup>1</sup>.

بنفس الإحساس أخرج المغفور له محمد الخامس من وطنه، يقول محمد الرشيد ملين: "بالرغم عن عزمته القعساء، لم يتمالك من شعور بانقباض في روحه، عندما أخذت مناظر المغرب الجميلة تمر تحت بصره، وعندما بدأت سهول وطنه وجباله، تنعكس في عينيه، وكأنها بدورها قامت تحييه وتهتف له نيابة عن رعاياه الأوفياء المخلصين الذين حيل بينهم وبين عاهلهم المحبوب المفدى.

إن المغرب مدنه وقراه، سهوله وجباله... تحييك، وتقسم لك على أن تبقى وفية لعهدك، مخلصه الولاء لك"<sup>2</sup>، يقول المرحوم أبو بكر القادري: «لقد كانت ساعة رهيبة حقا، تلك الساعة التي وقف

1 - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: في فضل مكة، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 2008م، ص. 880.

2 - محمد الخامس، دراسات وشهادات، إعداد وإنجاز عبد الحق الميرني، الطبعة الأولى 1411هـ/1990. ص. 92.

فيها "كيوم" أمام جلالة الملك، ليطلب منه التنازل عن الملك، أو اختيار السجن والمنفى، ولكن الملك العظيم ما كان له أن يختار الدنيا، ولا أن يرضخ للاستعمار ولسان حاله يقول: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾<sup>4,3</sup> كان ذلك يوم 20 غشت سنة 1953م بعد أن نفتته السلطات الفرنسية إلى جزيرة كورسيكا ثم منها إلى جزيرة مدغشقر، حيث كان حلوله بمدينة أنتسيراوي التي قضى بها نحو سنتين.

لقد كان لوقع الغربة والعزلة التي عانى منها جلالته طيب الله ثراه، أثره البالغ على نفسيته، فشكل مسجد أنتسيراوي لديه بلسما لمعاناته، فوجد فيه طمأنينة قلبه، وراحة ضميره، فكان يتردد عليه خلال صلواته الخمس وفي جمعة الأسبوع، امتثالا لقول المولى عز وجل: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)<sup>5</sup> فربط علاقات وطيدة مع الجالية الإسلامية هناك، كان أساسها المحبة والرحمة، كما كسب ود التجار الأوربيين والملغاشيين الذين لم يدخروا جهدا في مدح لطفه وطيوبته.

ومن منطلق إيمانه القوي بربه وواجب تبليغ دعوته إلى الناس، وإيمانا منه بعدالة قضية وطنه وشعبه، فقد حرص طيب الله ثراه على مواصلة جهاده الديني والدنيوي.

وهكذا كرس حياته في منفاه للدفاع بكل إخلاص عن الأمانة العظمى التي تقلدها منذ مبايعته، مدافعا عن حوزة بلاده بكل ما كلفه الأمر، مستشعرا الوفاء النبيل الذي كان يكنه إليه شعبه المخلص، مما جعله يفتتح غالبية خطبه بقوله: «أيها الشعب الوفي».

إن عمق تعلقه رحمه الله بوطنيته وبغيرته على بلاده، والتنسيق بينه وبين حركة المقاومة وجيش التحرير أو الحركة الوطنية التي مثلتها الأطر الشعبية الشابة<sup>6</sup>، في سبيل حصول المغرب على استقلاله، جعلته يتحسر في كثير من الأحيان للظلم والتسلط والعدوان الذي يمكن أن يطال أي قطر من أقطار الدول الإسلامية، فيكون ذلك دافعا إلى أن يثير فيه نخوة وشهامة الرجل العربي

3 - سورة يوسف، الآية: 33.

4 - محمد الخامس، ملامح من حياته، وصور من جهاده، أبو بكر القادري، ص. 145، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، مطبعة النجاح، الدار البيضاء.

5 - سورة التوبة، الآية: 18.

6 - في إشارة إلى القيادة الشابة التي اضطلعت بتقديم عريضة الاستقلال في 11 يناير 1944م، يقول الدكتور محمد عابد الجابري مينا دورها: "إن هذه الأطر الوطنية، الشعبية الشابة، قد وجدت نفسها مضطرة لحمل الأمانة، أمانة القيادة بعد اعتقال القيادة التقليدية، وفي نفس الوقت وجدت نفسها مضطرة كذلك إلى الرد على التحدي، الذي قامت به سلطات الحماية بعزل محمد الخامس الملك الشرعي، بعمل تاريخي يكون في مستوى هذا التحدي" راجع "المغرب المعاصر، الخصوصية والهوية... الحداثة والتنمية"، مؤسسة بشرة للطباعة والنشر الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1988م، ص: 113-114.



المسلم الذي ينتفض غيرة على بلاده أو على أي بلد من بلاد المسلمين، ولا أدل على ذلك ما يحكيه الدكتور محمد عابد الجابري عنه طيب الله ثراه، رواية عن صديق له كان يشتغل بديوان الملك الراحل، يقول: «عندما قام الملك المرحوم بزيارة المشرق عام 1960م، زار القسم الشرقي من القدس الشريف... وعندما صعد هو والوفد المرافق له في إحدى بنايات القسم الغربي من القدس ليطل على القسم الذي احتلته إسرائيل هاله أن يرى الصهاينة يمشون ويمرحون في أمان في شوارع الجزء المحتل من القدس... فاكفهر وجه محمد الخامس وظهر عليه الغضب والاضطراب والتفت إلى من كان حوله وقال بالدارجة المغربية: «فين الزرقطوني دياهم... فين الروداني... فين المقاومة دياهم»<sup>7</sup>.

فهذه شهادة للتاريخ عن عميق الإحساس بالهوان والامتهان الذي كان يستشعره بطل المقاومة والتحرير، وهو يرى القدس الشريف ينتهك وتداس حرمة، فكيف ستكون غيرته على وطنه، وهو رمز وحدته وسيادته، والضامن لأمنه واستقراره؟

إن دور رجال المقاومة والكفاح الذين غطى نضالهم جميع أنحاء المغرب العزيز في سبيل وحدته، والذي أشار المغفور له محمد الخامس إلى بعضهم، سيظل يكتب بهاء من ذهب، لأنهم أبلوا البلاء الحسن وهم يرفضون كل مس بوحدة وطنهم، يقول الأستاذ عبد الكريم غلاب: "المقاومة المسلحة عمت المغرب كله، شاركت فيها المدن والقرى، والجبال والصحراء، فعبرت عن رفض الشعب المغربي جميعه للحماية والاحتلال العسكري، وعن طموحه لتحقيق الاستقلال"<sup>8</sup>.

في خضم هذه الأحداث التي كانت تجري في المغرب، كان قلبه رحمه الله معلقا بوطنه، تجلى ذلك من خلال تتبعه لكل تطورات الأحداث، وهذا أمر لم يكن متيسرا بالشكل الأليق، لقلة وسائل الاتصال وقتئذ، ولكنه استطاع بذكائه وتبصره أن يتابع مجريات الأحداث أول بأول، يقول المرحوم المهدي بنونة: «كان من بين الترتيبات التي اتخذها الملك محمد الخامس لضمان متابعته لتطورات الأوضاع داخل المغرب حرصه على قراءة صحيفة "الأمة"، كنا نرسل الصحيفة بانتظام داخل غلاف مغلق... فيطلع الملك على الأعمال البطولية التي تقوم بها حركة المقاومة وعلى تفاصيل النضال الوطني المرير الذي يخوضه الشعب المغربي في سبيل عودة ملكه الشرعي إلى عرشه»<sup>9</sup>، بالإضافة إلى ذلك فقد شكل المذيع بالنسبة إليه نافذته على العالم، وهي الصورة التي ظلت راسخة

7 - المغرب المعاصر، الخصوصية والهوية... الحداثة والتنمية"، ص: 124.

8 - قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عبد الكريم غلاب، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1426هـ/2005م. 217/3.

9 - محمد الخامس، دراسات وشهادات، إعداد وإنجاز: عبد الحق الميرني، ص: 94.

في أذهان المغاربة، هذا إلى جانب الصحف الفرنسية: "لوموند" و"لوبسرافاتور" و"لوفغارو" وغيرها، والتي كانت تأتيه كل صباح.

إن الجهاد الذي قام به محمد الخامس طيب الله ثراه في منفاه في سبيل تحرير وطنه، ورفع الضيم عنه، والرجوع إليه مظفرا بعد بزوغ فجر الحرية والاستقلال، جعلت الدكتور محمد عابد الجابري يشيد به، إلى درجة أن اعتبر بأن الحديث عن المقاومة المغربية، مقاومة 1953-1956م، سيبقى ناقصا إذا لم يبرز فيه اسم محمد الخامس رحمه الله وهو الذي اتخذت المقاومة من عودته هدفا أساسيا لها<sup>10</sup>.

ولم تفته طيب الله ثراه وهو في المنفى، أن يغتنمها فرصة مواتية لشرح تعاليم دينه الحنيف بين صفوف المصلين بإحساس المؤمن الصادق، القوي الثقة بربه، الموقن بنصره، ونصر عدالة قضية وطنه، وحتى لا ينصرم الوقت من بين يديه، وقد كان يعده ثمينا غاليا، فقد حرص على الارتباط بالمسجد، فغدا ظهوره بجلبابه وطربوشه يوم الجمعة أمرا مألوفا عند الناس وهو يتوجه إلى مسجد أنتسيرايا قبل حلول وقت الصلاة لكي يتلو القرآن بالعربية ويتولى شرحه أمام الحاضرين بالفرنسية<sup>11</sup>، ولطالما أم الناس في صلواتهم، أو أدى خطبة الجمعة على المنبر بين أظهرهم<sup>12</sup>.

وقد سجل التاريخ ذلك التواضع الفريد، والخلق الفاضل الذي تميز به الملك محمد الخامس، حتى وصف بالشخصية الهادئة المتزنة، فاحترم الجميع صمته، كما احترموه فيه الرجل الذي يعرف كيف يواجه المواقف المختلفة، بحسب ما تقتضيه من ليونة أو صلابة، أو مراجعة أو إصرار، فحظي بالحب من لدن شعبه، كما حظي بالتقدير من لدن الجميع.

ولئن كانت يومية (L'Aurore)، الباريسية 24 غشت 1953م، قد استبعدت نبأ ظهور السلطان محمد بن يوسف على القمر، حيث علقت على الخبر بقولها: «بالمدينة القديمة بالدار البيضاء، انتشرت شائعات تزعم أن سيدنا - ويتعلق الأمر هنا بلقب خاص يطلق على السلطان المعزول ابن يوسف - قد شوهده على سطح القمر. ومن باب المزايدة الخارجة عن إطار المراقبة بطبيعة الحال، أكد بعض المغاربة أنهم عاينوا السلطان بالفعل وهو "يخط" على سطح القمر. ومساء أمس أخذت جموع الأهالي تتطلع إلى رؤية القمر، والأدهى من هذا أن جلهم شاهدوا السلطان المذكور، أو هكذا تهبأ

10 - المغرب المعاصر، الخصوصية والهوية... الحداثة والتنمية"، ص. 124.

11 - مجلة "الآن"، يوميات المنفى، ص. 26 بتصرف، العدد: 51، 28 مارس 2013م.

12 - انظر مجلة "دعوة الحق"، العدد: 299 صفر 1414هـ/ غشت 1993م، نموذجا لخطبة الجمعة التي ألقاها جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه بمسجد أنتسيرايا بجزيرة مدغشقر يوم: 19 شعبان 1378هـ قبل عودته المظفرة من منفاه السحيق إلى الوطن العزيز.

لهم...<sup>13</sup> فإنه وأيا كان هذا الخبر، حقيقيا أو وهميا، مقبولا أو مردودا، فهذا يبين مدى التعلق الكبير، والارتباط القوي للمغاربة بملكهم، إلى الدرجة التي بات شخصه عالقا بأذهانهم، مما يجسد ذلكم التلاحم المتين بين العرش والشعب.

إنها ثورة الغضب، حين هب الشعب المغربي عن بكرة أبيه ليعلمها ثورة عارمة، حين شعر بأن حريته قد اغتصبت وأن كرامته قد أهدرت وأن حرمانه قد انتهكت، فخرج إلى ميدان الكفاح والمقاومة المسلحة في حشود كبيرة استرخصت أرواحها في سبيل المشروع التي أكدها رباط البيعة، لا تقبل بخصوص ذلك مساومة، سوى رجوع الملك المفدى إلى عرشه عزيزا كريما مهاب الجانب، ولا أدل على ذلك ما قام به الشهيد علال بن عبد الله رحمه الله في أول محاولة لاغتيال السلطان المزعوم، ابن عرفة، الذي نصبته الإقامة العامة خلفا للسلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف، وهو في طريقه لأداء صلاة الجمعة رسمية في العاصمة الرباط يوم 11 شتنبر 1953م، حيث رام طعنه بسكين، لكن باءت محاولته بالفشل، فاستشهد رحمه الله.

والجدير بالملاحظة أن السلطان المزعوم ابن عرفة لم يكتب له أن ينسب إلى أشرف العلويين، فلم يعترف المغاربة الأحرار بتوليته وظلوا يعتبرونه سلطان الفرنسيين، يوقع الظهائر التي تحيلها عليه الإقامة العامة، ليصبح سلطانا مزيفا بدون سلطات، فظل موضعاً للسخرية، وهذا المآل الذي لا يجسد عليه والذي آل إليه، يؤكد بأنه من يهن يسهل الهوان عليه، وكما قال مالك بن نبي رحمه الله: «إن القضية عندنا منوطة أولا بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر»<sup>14</sup>.

ويظل هذا الحدث البارز - محاولة الشهيد علال بن عبد الله اغتيال ابن عرفة - يشد إليه شباب الأمة المغربية الذين يسمعون بثورة الملك والشعب ولم يعيشوا أحداثها كلما حل يوم 16 نونبر من كل سنة، والذي يخلد لذكرى رجوع المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه من المنفى يوم 16 نونبر 1955م متوجا بتاج الحرية والاستقلال.

إنه بظهور السبب يبطل العجب، فكيف لا يسلك المقاومون الأشاوس سبيل التضحية والفداء في سبيل الوطن؟ وخطاب طنجة التاريخي لجلالة المغفور له محمد الخامس يوم 09 أبريل

13 - كرونولوجيا تاريخ المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين، إشراف وتقديم: محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط 2012م، ص: 200.

14 - شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، 1434هـ/2013م، ص: 158.



1947م، قد ألهب فيهم الحماس للمطالبة بحقوقهم وعدم السكوت عنه، قال قدس الله روحه: «ثم إذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه، فما ضاع حق من ورائه طالب، إن حق الأمة المغربية لا يضيع ولن يضيع، فنحن - بعون الله وفضله - على حفاظ كيان البلاد ساهرون، ولضمان مستقبلها الزاهر المجيد عاملون، ولتحقيق تلك الأمنية التي تنعش قلب كل مغربي سائرون، فما علينا إلا أن لا نني في الجدل وراء ما يجب للوطن من السعي الحميد، ولا نزال دائبين لإدراك ما نطمح إليه من حفظ مجدنا القديم وتحصيل الجديد».

إن الاضطرابات والمظاهرات التي اندلعت في كافة أنحاء المغرب، وهي تعبر عن سخطها وتمرداها على القرار الهجين الذي اتخذته الإقامة العامة وهي تبعد السلطان عن العرش وتنفيه خارج بلاده، وما رافق ذلك من كفاح مسلح، تسبب في تعميق الأزمة في كل التراب المغربي، اضطرت بسببه الحكومة الفرنسية إلى أن تدخل في مفاوضات، ومن ذلك اتفاقية "إيكس ليان"، جاء في مذكرات من التراث المغربي: «فكانت مفاوضات "إيكس ليان" التي جمعت إلى جانب الحكومة الفرنسية والأوساط الاستعمارية، جميع التيارات السياسية في المغرب، في أول لقاء مغربي فرنسي رسمي، منذ اندلاع الأزمة، وكان من الجانب المغربي ممثلون عن حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال، ثم شخصيات قريبة من ابن عرفة، وتم في 28 غشت 1955م الاتفاق على النقاط التالية:

- تخلي ابن عرفة عن العرش.

- تأسيس مجلس العرش.

- تأسيس حكومة وطنية.

- إسناد مهمة التفاوض مع فرنسا لهذه الحكومة.

- ضرورة استشارة الملك محمد الخامس ونقله إلى فرنسا»<sup>15</sup>

وهكذا جاءت اتفاقية أنتسيرايا، لتفرج الأزمة، وتعترف للسلطان محمد الخامس باستقلال بلاده، جاء في مذكرات من التراث المغربي: «ارتأت فرنسا أن تدخل في مفاوضات مباشرة مع الملك محمد الخامس، الذي تجلّى دوره في حل الأزمة المغربية، وأسندت هذه المهمة إلى الجنرال "كترو"، الذي كان يعرف الملك شخصيا، وإلى "إيريسو" مدير ديوان وزير الخارجية اللذين اتجها إلى أنتسيرايا، مقر إقامة الملك وعائلته في مدغشقر، للاستشارة معه، وتعهدت فرنسا إثر هذه

15 - مذكرات من التراث المغربي، مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي: 100/7، تاريخ الطبع 1986م.

المحادثات، بأن تعترف باستقلال المغرب، وتعهد الملك بدوره بتأسيس حكومة مغربية، تمثل فيها جميع التيارات السياسية، يُسند إليها تسيير شؤون الدولة والتفاوض من أجل صياغة اتفاقيات جديدة»<sup>16</sup>.

إن الإقامة العامة الفرنسية أصبحت تدرك بعد اتفاقية إيكس ليبان نضج حوار الحركة الوطنية التي كانت في تنسيق تام مع ملكها في المشاورات التي يمكن أن تدفع بالقضية الوطنية إلى الأمام، يقول سطيغان برنار ترجمة حسان المعروف: «وإذا كانت محادثات أنتسيرا قد اقتصرت من بعض الوجوه على تعزيز محادثات إيكس ليبان، فإن المنعطف الذي رسمت إيكس ملامحه الأولى قد ازداد وضوحا في مدغشقر. ففي إيكس ليبان تغلبت الحكومة على آخر حاجز فقط وهي تعترف بجدارة الوطنيين المغاربة في محاورتها وقت كان لا يزال كل شيء معلقا. أما في أنتسيرا، فإن، توجه السياسة الفرنسية نحو عودة محمد بن يوسف ونحو استقلال المغرب صار على العكس توجهها لا رجعة فيه»<sup>17</sup>، ويبين الدكتور محمد عابد الجابري دور الغليان الشعبي وتسارع الأحداث في فرض الأمر الواقع بمنح المغرب استقلاله، يقول: «ومع تراحم الأحداث وتداخلها في إطار الهيجان الشعبي والمد العالمي التحرري، قررت فرنسا القبول بعودة محمد الخامس، ومبدأ استقلال المغرب»<sup>18</sup>.

إن الاستقلال الذي ننعم به اليوم والحمد لله لم يأت من طريق مفروش بالورود، ولم يكن تحقيقه أمرا سهلا، بل شكل ملحمة كبرى، حافلة بفصول مشرقة وبطولات خالدة، لذلك تظل ذكرى ثورة الملك والشعب حدثا عظيما في قلوب المغاربة، ومفخرة لهم، إذ تجسدت فيها انتصارات الوطنية الصادقة، من خلال معاني الوفاء والإخلاص في تعلق الشعب بعرشه.

واليوم التاريخ يعيد نفسه، فها هو جلالة الملك محمد السادس يزور مسجد أنتسيرا، بعد أن أعاد ترميمه وتجديده، وتفضل بإطلاق اسم جده المغفور له محمد الخامس عليه بدلا من مسجد أنتسيرا، وفاء لروح جده وعرفانا بما أسداه لشعبه في منفاه، حيث كان مسجد أنتسيرا الملاذ المفضل لديه لمناجاة ربه والتضرع إليه بأن ينصر قضيته، ويعيده إلى عرشه وشعبه، منصورا بنصره ومعززا بتأييده، وهو يدرك رحمه الله الحيز العظيم الذي شغله المسجد في القرآن الكريم، والمكانة الرفيعة التي

16 - المصدر السابق، 100/7.

17 - تاريخ الصراع الفرنسي- المغربي 1943-1956م، سطيغان برنار، ترجمة حسان المعروف، مطابع أفريقيا الشرق 2014م، الدار البيضاء ص. 361.

18 - "مواقف"، إضاءات وشهادات، ملفات من الذاكرة السياسية، الطبعة الأولى مايو 2002م. العدد 3.

تبوأها في الإسلام باعتباره المؤسسة الدينية والاجتماعية والحضارية للأمة التي منها انطلقت نهضتها في تأسيس حضارتها، وهي المؤسسة التي يمكن أن تعود من خلالها إلى الريادة والخيرية.

إن التأكيد على ضرورة استعادة المسجد لدوره التنموي والحضاري في حاضر الأمة، بات هدفا رئيسا حرص جلاله الملك محمد السادس نصره الله، على تفعيله - وهو يسير على نهج أسلافه المنعمين - ليأخذ موقعه ضمن مسلسل التنمية الشاملة، وهذا ما جعل توجيهات جلالته من خلال خطبه تتجه إلى إعطاء الأمر بفتح أبواب المساجد لدروس محو الأمية الأبجدية والدينية والوطنية، وفق برنامج محكم مضبوط، تكفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالسهر على تنفيذه، على أساس توفير مستلزماته المادية والمعنوية، وقد رافق هذا الإصلاح، إصلاح قطاع "التعليم العتيق"، جاء في خطاب جلاله الملك محمد السادس حفظه الله يوم 30 أبريل 2004م

ما يلي: «وفي هذا السياق، حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة، وصيانة وحفظ القرآن الكريم، وتحسينها من كل استغلال أو انحراف يمس بالهوية المغربية، مع توفير مسالك وبرامج للتكوين، تدمج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية، وتجنب الفكر المغلق، وتشجيع الانفتاح على الثقافات».

إن هذا التوجه الجديد سيجعل من المسجد قاطرة للتنمية، من حيث إنه بالإضافة إلى دوره في إشاعة الأمن الروحي في الأمة، سوف لن تحتزل وظائفه في القيام بالشعائر التعبدية فحسب، بل سيضطلع بأدواره الحقيقية، حيث سيسهم في المشروع النهضوي للأمة على مختلف المستويات وفي كافة المجالات.

وقد أعقب هذه التوجيهات السامية لجلالته سلسلة من الإصلاحات التي همت الشأن الديني برمته، وارتبطت بالمسجد أساسا، كان من أهمها وأبرزها، الإعلان عن "ميثاق العلماء"<sup>19</sup>، الذي أعلن عنه جلالته أثناء ترؤسه لافتتاح الدورة السابعة للمجلس العلمي الأعلى في ليلة 27 رمضان 1429هـ الموافق لـ 28 شتنبر 2008م بتطوان، وتوسعة شبكة المجالس العلمية التي انتقلت من 30 مجلسا إلى 69 مجلسا، لتشهد في سنة 2010م إضافة 13 مجلسا علميا جديدا، ليصبح عدد المجالس العلمية المحلية 82 مجلسا، تحقيقا لسياسة القرب في معالجة قضايا واهتمامات وانشغالات المواطنين، انسجاما مع سرعة حركية المجتمع من جهة، وحفاظا على الوسطية والاعتدال التي تميز بها ديننا الحنيف في ظل الثوابت الدينية والوطنية للأمة المغربية، المتمثلة في: إماراة المؤمنين والعقيدة الأشعرية

19 - للمزيد من التفصيل والإيضاح، راجع "تفعيل ميثاق العلماء" مجلة "المجلس" التي يصدرها المجلس العلمي الأعلى بالمملكة المغربية، العدد: 07 رجب 1430هـ/ يوليوز 2009م، ص. 10.



والمذهب المالكي والتصوف السني، إمارة المؤمنين هذه التي تعتبر الخيط الناظم لهذه الثوابت، كما تم إحداث المجلس العلمي المغربي لأوروبا بموجب ظهير شريف بتاريخ: 20 أكتوبر 2008م.

ومما لا ينكره أحد، أن تشبث المغاربة بها - أي الثوابت الدينية والوطنية - قد كان له أثره الحسن، والوقع الطيب في الحفاظ على استقرار بلادنا، مما جعلها تنعم بالأمن والأمان والطمأنينة والوئام، في ظل تقلبات وتغيرات إقليمية، عصفت بكثير من البلدان في ما سمي بالربيع العربي، الذي لم يكن في حقيقته سوى خريفا أسودا، لازالت المجتمعات التي اكتوت بنيرانه وويلاته تجر خيبة الأمل وتحمل وصمة العار في الجبين، فشكل مغربنا الحبيب بحمد الله استثناء، جعله يحظى بثقة المنتظم الدولي، الأمر الذي عزز سبل التعاون بينه وبين الدول الصديقة والشقيقة، فأصبح قبلة للسياح الأجانب، ومهد الطريق أمامهم للاستثمار.

وفي سياق الإصلاح، دشّن جلّالته "معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات"، وكان ذلك يوم 27 مارس 2015م، وهو يبتغي به الحفاظ على حماية الملة والدين باعتباره أميرا للمؤمنين، والضامن للقيم الدينية للأمة المغربية، وهذا ما فتح الباب أمام دول صديقة لتطلب من المغرب تكوين أئمة مساجدها، للاستفادة من تجربته في تدبير الحقل الديني، وقد أصبح نموذجا يحتذى به، وهي بذلك تبتغي تبني نهج وسطي من خلال نموذج التدين المغربي الذي يوصف بالوسطية والاعتدال والتسامح، ويركز على حرية المعتقد، وينبذ ويحارب كل أشكال التطرف والغلو التي أصبحت تقض مضجع الكثير من الدول، وقد انعكست هذه الإصلاحات إيجابا على القيمين الدينيين، الذين أصبحوا ينعمون، في ظل القيادة الرشيدة لأمير المؤمنين، بالكرامة ويتمتعون بمجموعة من الحقوق والمكتسبات.

إن المغاربة وهم يحيون اليوم ذكرى ثورة الملك والشعب ويربطون الحاضر بالماضي، وهم يستحضرون ذاكرة المنفى، من خلال الجهاد المير الذي بذله أب الأمة، جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، بطل التحرير في سبيل استقلال بلاده، وارتباطه الروحي بمسجد أنتسيرايا، وما يقوم به حفيده من مواصلة الجهاد في سبيل بناء الدولة الحديثة، وما يرافق ذلك من إصلاح للشأن الديني، ليحق لهم أن يفتخروا حقا بالمنجزات الكبرى والمشاريع العظمى التي ما فتئ يقوم بها جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره، بما يعزز مكانة المغرب في المشهد الحضاري.



## هبة الملك من بواعث نجاح ثورة "الملك والشعب"

ذ. عبد الرحمن بوعلي  
العيون، الصحراء المغربية

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:  
يقول الله تعالى: "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين"<sup>1</sup>، وقال أيضاً: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم"<sup>2</sup>.

من سنن الله في كل زمان ومكان أن لكل أمة ذكريات تاريخية وأحداثاً مجيدة وقعت فيها انتصارات وبطولات سطر ملاحمها رجال ونساء لم يثنهم عن بلوغ الهدف مانع أو إكراه من الإكراهات الدنيوية.

والأصل في إحياء الذكريات والأعجاد التاريخية هو استنباط العظات واستثمار العبر والدروس والحكم لتكون نبراساً يقتدى به في رسم معالم وملامح المستقبل، قال تعالى: "وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور"<sup>3</sup>.

جاء في تفسير قوله تعالى: "وذكرهم بأيام الله": ينبغي تذكير الناس بالأحداث التي عرفت بها بلادهم وبنعم الله عليهم فيها، لأن ذلك أقرب وأبلغ في الاتعاظ، وكان ذلك شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربطه الحوادث الدينية بالأزمنة والتاريخ.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصاموه قال: "أنا أحق بموسى منهم"<sup>4</sup> فصامه وأمر بصيامه.

1 - الآية 46 من سورة الروم.

2 - الآية 173 و174 من سورة آل عمران.

3 - الآية 07 من سورة إبراهيم.

4 - مسند الإمام أحمد، مطبعة الرسالة، رقم الحديث: 2830.



وقد اقتضت السياسة الشرعية أن تكون آليات المنهج الدعوي المؤطر لعلاقة الملك بشعبه مرهونة بشخصية الملك وخصاله ومهابته، ذلك أن الرهانات المادية كثيرا ما تسوقها وتحكمها رهانات معنوية، خاصة إذا تعلق الأمر بمقتضيات السياسة الشرعية والحرية في الإسلام.

وبين أيدينا مرجعيات أصيلة مثبتة لهذه الحقيقة، سواء تعلق الأمر بالجانب النظري من المسألة، أم تعلق بجانبها العملي.

### ➤ فأما على المستوى النظري:

فقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قلنا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، ولينزعن الله في قلوبكم الوهن، قلنا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت"<sup>5</sup>.

سقت هذا الحديث لبيان أن هبة المؤمن ورقة عظيمة في زعزعة قوى العدو، المادية منها والمعنوية، ولو في الأحوال العادية، فما بالك إن تعلق الأمر بهيبة ملك كهذا الذي نحن بصدد، محمد الخامس طيب الله ثراه، الشخصية التي زرعت الرعب في أركان القوى الغاشمة، وأجبرتها على مراجعة مواقفها تجاه الثورة العظيمة والصامدة من وراء، وبين يدي هذا الملك الهام.

ثورة شخصت ببسالتها وتعلقها بالعرش العلوي وقائع الحديبية من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث تعلق الصحابة بشخص رسول الله تعلقا أنبهرت له جيوش المشركين وانهارت فرائس أقطاب الشرك القرشيين آنذاك، مما اضطرهم - حفظا لماء الوجه وخوفا من الهزيمة النكراء - أن يلجأوا إلى عقد الصلح مجبرين لا مخيرين...

هكذا شأن رجال ثورة الملك والشعب في استماتتهم وتعلقهم بعاهلهم المفدى جلاله الملك المغفور له محمد الخامس.

ملك زرع الله هيبته ومهابته في الأوساط الحربية للعدو هلعاً منه وخوفاً، كما زرع الله مهابته في قلوب المؤمنين من الثوار فصارت محبة وتفانياً.

5 - مسند الإمام أحمد مخرجا، والحديث جاء تحت رقم 22397، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م

6 - أوردت معظم كتب السيرة أن الصحابة الحاضرين في الحديبية كان يتسابقون - تبركا - إلى فضل ماء وضوئه، بل قطرات الوضوء من أطرافه صلى الله عليه وسلم مما لاحظته المشركون فولد فيهم خوفا من الهزيمة، فهرعوا إلى الصلح مرغمين.

## ➤ وأما على المستوى العملي:

ففي مقدمات فتح مكة حيث أمر صلى الله عليه وسلم صحابته بالكشف على أذرعهم، والمشي هرولة إعلانا للقوة الدامغة في أعين الأعداء من جموع القرشيين الذين خرجوا عن بكرة أبيهم في وجه محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته ...

- إن الظهور بمظهر القوة ليشكل في السياسة الحربية أمرا حاسما ومصيريا في غالب الأحوال. ولذلك نجد في السياسة الحربية المولوية أثناء إدارة الثورة رهانات واعدة، كانت من وراء نجاح الثورة، ثورة الملك والشعب، أذكر من هذه الرهانات الملموسة:

أ - ملازمة الملك للهندام، أو الزي الرسمي "اللباس" الوطني أو القومي، وهو هنا: جلباب وقبعة الملك هذا اللباس الذي صار به ملكنا علما فذا في المغرب وخارجه، يمثل - من حيث المظهر - رمزا للثقة والرزانة والنضج الفكري، وثبات الرأي والمواقف، والشخصية الكاملة ... لدى كل مغربي نظر إلى هيئة ملكه أو إلى مجرد صورته وحتى الآن.

أيضا جلباب هو جهاز المقاتلين الثوار، سواء كان مجال الحرب داخل الوطن أو خارجه. بل الجلباب هذه هي اللباس الدبلوماسي للملك بامتياز، ظهر به في جل المناسبات الوطنية وفي المحافل الدولية، وكذا الأحوال الحرجة التي عاشها وهو في تحرير البلاد من ربقة الاستعمار. كما أنه - وعلى مستوى المفاهيم التربوية الحديثة - يمثل هذا الهندام ذلك الوقار الذي تشرّب إلى رؤيته وتقلده كل الأعناق، أعناق الوطنيين الأحرار الذين يعجبون بكل مظهر يميز المغربي عن غيره.

ب - النبوة الشرعية العميقة في خطابات الملك تجاه أسرته الصغيرة والكبيرة، وإلى رجال الثورة خاصة، ولذلك يحدث كل خطاب ملكي وقعا كبيرا وأثرا عميقا في نفوس الثوار، إذ يجدد فيهم إرادة واندفاعا إلى الثورة على المحتل، ويزرع فيهم الحقد والكراهية للعدو، ورفضهم للوضع الذي يفرضه الاحتلال.



ج - انفتاح الملك على العالم من حوله للتعريف بقضيته، حيث إنه - رحمه الله - لم يقبع في قصره وفي أسرته ينتظر<sup>7</sup> نتائج الثورة ليعلن نفسه ملكا ؟ بل كان واحدا من الثوار ممن طرخوا جميع أساليب الثورة، حتى إنه كان عرضة للمنفى، ووقعت على بدنه يد المستعمر بالنفي، حينما اختار السلطان الامتناع عن توقيع الظهائر والمصادقة على قرارات الإقامة العامة واتجاهه العلني نحو اتخاذ موقف مساند لسياسة حزب الاستقلال، قررت سلطات الحماية تنحيته وتنصيب مكانه سلطانا مصطنعا.



بعد زوال يوم 20 غشت 1953م طوقت الإقامة العامة القصر الملكي بالرباط بقواتها العسكرية تنفيذا لأمر أقرته الحكومة الفرنسية يقضي بخلع جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، ونفيه إلى جزيرة كورسيكا بالبحر الأبيض المتوسط تمهيدا لنقله إلى منفى آخر.

7 - لسان حاله يحكي قوله القوم لموسى عليه السلام "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون..."



حدث هذا أثناء عيد الأضحى المبارك فأثار استياء واشمئزازا عند جميع المغاربة.  
كان خلع جلالته الملك محمد الخامس يعني في نظر الاستعمار خلع السيادة المغربية خلعا نهائيا.



غير أن جلالته كان ملكا محبوبا ووطنيا خالصا، واكب الحركة الوطنية منذ نشوئها في مطلع  
الثلاثينات، وشجعها، ورعاها، وعطف عليها، وتعاون مع زعمائها ومسؤوليها، تعاونوا لم يرق الاستعمار.



كان يمثل السيادة المغربية تمثيلا حقيقيا، فصار رمزا لها، حتى إن نفيه كان بدوره خادما لقضيته  
الوطنية بامتياز، كما حدث في محنة الإمام مالك التي بها اشتهر، وصار في العالم الإسلامي قدوة  
منشودة<sup>8</sup>.

د - تربيته لأهله على منهاج السنة والدين شد إليه قلوب المواطن المغربي الذي يرى فيه - قبل  
أن يراه ملكا - أبا رؤوفا ووليا صادقا لأمر هذه الأمة يأتمنه على أهله وعشيرته، بل يتمثلون فيه

8 - أثناء الطواف به في محنته عبر أطراف المدينة المنورة، محمولا على الدابة مسودا وجهه، كان يردد قوله: "من عرفني فقد عرفني،  
ومن لا يعرفني فأنا مالك بن أنس: طلاق المكره حرام".

قول الله تعالى : "وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا".

فقد كان في تربية أبنائه يستند فيهم إلى شرع الله فيقول في خطابه التربوي الرائع مخاطبا صاحب الجلالة الحسن الثاني طيب الله ثراه: "يا بني لقد اخترت لك من الأسماء الحسن؛ لأربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد، ليكون لك في جدك المولى الحسن خير أسوة..."<sup>9</sup>.

وفي نفس السياق التربوي والعلمي يقول لجلالته: "لم أعتن بتثقيفك فحسب، بل كنت أدربك على تعاليم الإسلام، واحترام أوامره، وإقامة شعائره، كما كنت ألقنك كيف يجب أن تعامل أبائك وأسرتك وشعبك والناس أجمعين، وهكذا أنشئت يا بني للكبير محترما، وللنظير أنيسا وملاطفا، وعلى الصغير رؤوفا حنوناً، تصل الرحم، وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر"<sup>10</sup>.

من يا ترى سيقراً هذه العبارات دون أن يتأثر وجدانيا وعاطفيا وروحيا؟؟ ... من يا ترى يقرأها ولم يستحضر احتضان خديجة أم المؤمنين لبنينا وهو في منتهى الهلع والخوف من رؤيته جبريل أول مرة في الغار؟ خديجة أول من عانق الإسلام بين يدي محمد صلى الله عليه وسلم على الإطلاق ... ترسل هذه الخصال والمبادئ التربوية في شخص محمد صلى الله عليه وسلم.

يلتقطها ويستحضرها أمير المؤمنين محمد الخامس ويستحضر رؤيتها التربوية، ثم يثبها في نجله آنذاك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وجعلهما في أعلى عليين، ومن خلال نجله إلى أفراد شعبه الوفي الأغر.

كيف لا يهاب هذا الملك الأب، هذا الملك المومن، هذا الملك الرحيم بصغار الشعب وقبل كبارهم؟؟؟

ولما كان هذا التوجيه التربوي في الخطاب المولوي من الروعة بمكان، وكان الرهان الأعظم في تعلق شعبه به رحمه الله، أسوق فقرة أخرى لما تحمله من دلالات تربوية لا تصدر إلا عن كبار المفكرين التربويين من نظائر محمد الخامس ملك المربين ومربي الملوك:

يقول رحمه الله "يا بني اخترت بقاءك تحت سماء المغرب ليتم تكوينك الثقافي في بيئة مغربية، فبنيت لك مدرسة خارج القصر ليتربى فيك الاعتماد على النفس، فحرمتك من مجاملة الخادما،

9 - مجلة: المقاومة وجيش التحرير - سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال - يوليو- غشت 1959م، نشر: المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. الوثيقة السابعة. ص: 53.

10 - ص: 53 من المرجع السابق.

وحنان المربيات حتى تزدهر شخصيتك، وتصبح عصاميا بارزا قبل أن تكون أميرا، ثم أحطتكم برفقاء من مختلف طبقات الشعب، لأنني كنت أريد أن أعدك إعدادا منتزعا من بيئة بلادك..."

خطاب حافل بالإشارات التربوية، مؤسس للمبادئ الكبرى في الفكر التربوي الإسلامي، بل مؤصل للثوابت من النظريات البيداغوجية المعاصرة ولم لا؟؟ .

وعلى هذا من المفيد جدا اليوم الرجوع إلى المخزون الفكري والتربوي الذي تحمله إلينا خطابات ملوك العلويين ببلادنا عموما، وخطابات العاهلين بالأخص، محمد الخامس والحسن الثاني طيب الله ثراهما، وجعلهما في أعلى عليين من رضوانه سبحانه.

وكنت أحرص أن يعاملك رفاؤك كباقي إخوانك التلاميذ، تقارعهم الحجة بالحجة، فلا يخضعون لك إلا بقدر ما تبديه من تفوق، ومعرفة، وهذا ما كنت أرجوه من المدرسة المولوية: انغزال عن القصر، واعتماد على النفس، وخوض معترك الحياة<sup>11</sup>.

هكذا كان المربي محمد الخامس مؤطرا للأسرة المغربية أخلاقا وعلما، كما كان مؤطرا لرجال المقاومة آنذاك.

وقد برهنت هذه الثورة المجيدة عن دفاع المغاربة المستميت ملكا وشعباً على سيادة وطنهم ضد الاستعمار الغاشم الذي يصبو إلى إذلال المغاربة عبر نفي ملكهم، لكنه نسي أن في المغرب رجالا ونساء دافعوا ونافحوا عن أرضهم وسلطانهم بدمائهم وأموالهم... إنها ذكرى عظيمة ومشقة في صفحات تاريخ المغرب الحديث يجب استحضارها بكل تجلياتها وأبعادها واستلهاهم كل تلك التضحيات منها في سبيل عز الوطن.

وإن من أسرار نجاح هذه الثورة المباركة المصنوعة على عين الله والمكلوءة برحمة الله هو الولاء والوفاء، والإخلاص العميق، والتلاحم والتجانس بين العرش والشعب، فالمغاربة بعد نفي سلطانهم لم يرق لهم، بال ولم تهدأ لهم نفس، ولم يستلذوا راحة حتى يعود رمز السيادة الذي تربطه بشعبه ببيعة شرعية على هدى ونور من الله.

11 - المرجع نفسه ص . 50.





## الشيخ ماء العينين حلقة وصل بين شمال المغرب وجنوبه

ذ. سعيد المغناوي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

اسمه ونسبه

هو أبو الأنوار أو أبو عبد الله، محمد مصطفى بن محمد فاضل بن مامين بن الطالب أخيار، ابن محمد أبي الأنوار بن الجية المختار بن محمد الحبيب بن محمد أعلى بن محمد يحيى الصغير بن عال بن شمس الدين بن يحيى الكبير، القلقمي الشنقيطي الإدريسي الحسني، الملقب بـ (ماء العينين)<sup>1</sup>.

مولده

ولد في الحوض بالقبلة جنوبي إقليم شنقيط (جمهورية موريتانيا حاليا)، يوم الثلاثاء 27 شعبان عام 1246 هـ الموافق 8 فبراير 1831 م<sup>2</sup>. وقيل عام 1236 هـ الموافق 1821 م<sup>3</sup>.

شيوخه

لازم والده الشيخ محمد فاضل ملازمة المريد لشيخه<sup>4</sup>، فأخذ عنه رواية ودراية<sup>5</sup>.

1 - الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، (راجع عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة المغربية، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413 هـ/1993 م)، 7/ 171؛ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، (تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني)، 490/3، الترجمة 1881؛ الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، أيار/ مايو 2002 م)، 7/ 243؛ معجم الشيوخ، عبد الحفيظ الفاسي، (صححه وخرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ/2003 م)، 2/ 168؛ إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام ابن سودة، (تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ/1997 م)، 1/ 385.

2 - المعسول، محمد المختار السوسي، (مطبعة فضالة، المحمدية، 1380 هـ/1960 م)، 4/ 96؛ الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، السملالي، هامش 171/7.

3 - معجم الشيوخ، 2/ 170.

4 - المعسول، 4/ 96.

5 - معجم الشيوخ، 2/ 170.

وروى كذلك عن الشيخ مصطفى الكيحل، وهو عن العلامة الأصولي المحقق أبي سالم عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي صاحب كتاب (نشر البنود على مراقبي السعود)، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني (محشي الزرقاني) بأسانيده المذكورة في فهرسته<sup>6</sup>.

وأخذ عن والده أيضا عن آبائه إلى محمد يحيى الصغير الطريقة الشاذلية ومرويات أخرى، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد زروق<sup>7</sup>.

وأخذ كذلك عن والده عن آبائه إلى محمد يحيى الصغير الطريقة القادرية ومرويات أخرى، وهو عن والده علي عن والده شمس الدين محمد عن الإمام جلال الدين السيوطي<sup>8</sup>.

كما أخذ عن والده محمد فاضل الطريقة الناصرية، وهو عن شيخه محمد الأغظف بن رحمة الله عن شيخه زين العابدين بن عبد الله عن الشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر<sup>9</sup>.

#### رحلته إلى الديار المقدسة

غادر الشيخ ماء العينين زاوية والده يوم الخميس 12 جمادى الأولى 1274 هـ لأداء مناسك الحج، وكان له من العمر آنذاك ثمان وعشرون عاما. فخرج من الحوض، ومر بشنقيط وأدرار ووادي نون، فالصويرة، ثم مراكش حيث ولي العهد الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمن فلاقاه وأكرمه. ثم دخل مكناس ليلة السابع والعشرين من رمضان، فتلقيه السلطان مولاي عبد الرحمن بكل إجلال، وأمره أن يركب من طنجة. ومن هناك أركبه عاملها في سفينة متوجهة إلى المشرق، بعدما بالغ في إكرامه<sup>10</sup>.

فوصل إلى مكة يوم الأحد 22 من ذي القعدة، وخرج منها يوم الخميس 18 ذي الحجة. ثم دخل المدينة المنورة يوم الأحد 5 محرم 1275 هـ، وغادرها يوم الأربعاء 8 محرم. وبعد ذلك توجه إلى مصر، وركب البحر إلى طنجة، فدخلها في 24 من شعبان 1275 هـ. ثم مر بمكناس، حيث أمر الملك

6 - معجم الشيوخ، 170/2.

7 - نفسه، 170/2.

8 - نفسه، 170/2.

9 - نفسه، 170/2.

10 - المعسول، 96/4.



أن يكرم غاية الإكرام، وأن يُكترى له ولمن معه إلى مراكش بعد ما لبث في مكناس خمسة أيام. ولما دخل مراكش يوم الاثنين 28 من رمضان، رحّب به ولي العهد وصلى معه صلاة العيد. ثم غادر مراكش في 12 من ذي القعدة 1275هـ، ودخل الصحراء فمر بمدينة تيندوف، حيث لقي عالمها الشهير الشيخ محمد المختار الجاكاني، وطالع من خزانته<sup>11</sup>.

### تنقلاته داخل الصحراء

- في شوال من عام 1276هـ كان في وادي نون<sup>12</sup>.
  - وفي رجب من عام 1277هـ فارق تاجاكنت، وزار أدرار، كما زار الرئيس أحمد بن عايدة<sup>13</sup>.
  - وفي شعبان من عام 1277هـ زار أحمد بن علي في آل الفاغ الخطاط، وتزوج منهم والدته ابنة مربيته ربه<sup>14</sup>.
  - وفي ذي القعدة من عام 1277هـ مر بالسيد محمد الكنتي<sup>15</sup>.
  - وفي ذي الحجة من عام 1277هـ قدم على العروسيين بالساقية الحمراء، فأسكنوه وشاركوه في أموالهم، وتزوج منهم<sup>16</sup>.
  - وفي عام 1281هـ زار أباه، ثم ودعه بعد ليلتين ورجع إلى الساقية الحمراء<sup>17</sup>.
  - وفي عام 1286هـ توفي والده<sup>18</sup>.
  - وفي رمضان من عام 1294هـ ولد له أحمد الهيبة، وزار والدته ثم رجع إلى تيرس<sup>19</sup>.
- مكانته المرموقة في خدمة العلم وتحصيله ونشره

11 - المعسول، 97/4.

12 - نفسه، 97/4.

13 - نفسه، 97/4.

14 - نفسه، 97/4.

15 - نفسه، 97/4.

16 - نفسه، 97/4.

17 - نفسه، 97/4.

18 - نفسه، 97/4.

19 - نفسه، 97/4.

أمضى حياته كلها في خدمة العلم وفي تدريسه والتأليف فيه، وكان له نهم غريب في تحصيل الكتب، وتخرج به فطاحل عظام من الصحراويين، وتجمعت له أعظم خزانة صحراوية. فكان مثواه المتنقل في الصحراء مدرسة حافلة، وزاوية متنقلة<sup>20</sup>.

وكان رحمه الله متفننا في أنواع شتى من المعارف والعلوم، كاللغة والنحو والأدب والشعر والبيان والمنطق والأصول والفقه، وعني بتدريسها سواء بمسجده أو بيته. ولهذا قال أحمد بن الأمين الشنقيطي، أنه كان "له معرفة بعلوم الشرائع من الحديث والتفسير والفقه، وغير ذلك"<sup>21</sup>. وقال عبد الحفيظ الفاسي، أنه كان "مشاركا في التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والسير والتصوف وغيرها... وألف المؤلفات الكثيرة في كل تلك الفنون"<sup>22</sup>. وقال محمد المختار السوسي: "أنه أدرك من المشاركة في العلوم إدراكا عظيما، تدل عليه تأليفه التي ما غادرت علما من العلوم إلا اقتبست منه، حديثا وتفسيرا وعربية وأصولا وبيانا"<sup>23</sup>.

كما اشتهر بمعرفة علم خواص الأسماء والجداول والدوائر والأوقاف وسر الحرف والدعوات<sup>24</sup>، وقصده الناس لهذا<sup>25</sup>. وقد نقل محمد المختار السوسي عن شيخه سيدي سعيد التناي أنه قال: "لم يكن في عصر الشيخ ماء العينين من له مثل تصرفه في الأرواح، فإن له يدا طولى، ويوجد من بين كتبه - مثل (نعت البدايات) - ما يدل على أنه أتقن أيضا ما يسمى بسر الحرف"<sup>26</sup>.

أضف إلى ذلك، أنه كان شيخا من شيوخ الصوفية الذين لهم يد عليا في ذلك الفن علما وعملا، ولا أدل على ذلك - كما قال محمد المختار السوسي - من ذلك الجهم الغفير الذين تتلمذوا له من فطاحل الصوفية والعلماء الكبار من الصحراويين<sup>27</sup>.

20 - المعسول، 84/4 - 85.

21 - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا أو تخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، محمد بن الأمين الشنقيطي، (المطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، 1339هـ/1921م)، ص 360.

22 - معجم الشيوخ، 168/2.

23 - المعسول، 83/4.

24 - نفسه، 83/4.

25 - الأعلام، 243/7.

26 - المعسول، 91/4.

27 - نفسه، 83/4.

## مؤلفاته

قدّر بعضهم عدد مؤلفاته، بثلاثمائة كتاب، منها<sup>28</sup>:

- دليل الرفاق على شمس الاتفاق،
  - نعت البدايات وتوصيف النهايات،
  - فاتق الرتق على راتق الفتق (وهو شرح قصيدة من نظمه غريبة المباني، كما وصفها)،
  - تبين الغموض على النظم المسمى (نعت العروض)،
  - حزب البسملة،
  - حزب الخير الجسيم،
  - المقاصد النورانية،
  - مفيد الحاضرة والبادية،
  - مظهر الدلالات،
  - المرافق على الموافق (شرح لموافقات الشاطبي)،
  - هداية من حار في أمر النصارى،
  - مفيد النساء والرجال،
  - مفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والمتميم،
  - هداية المبتدئين في النحو،
  - اللؤلؤ المحوز الجامع ما في الجامع الصغير والراموز،
  - صلة المترحم على صلة الرحم (جمع فيه ما يقارب خمسمائة حديث في صلة الرحم)،
  - منظومة فيما يطلب من معرفة الذات والمعاني والأفعال.
  - شرح كتاب راموز الحديث على ترتيب الجامع الصغير تأليف ضياء الدين الكمشخاني
- الإسلامبولي،

28 - الأعلام، 7/ 243-244؛ معجم الشيوخ، ص 169-170.



- مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع،
- مبصر المتشوف،
- مذهب المخوف على دعوات الحروف،
- قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين،
- الإيضاح لبعض الاصطلاح،
- ما يتعلق بمسائل التيمم،
- سهل المرتقى في الحث على التقى.

#### تلاميذه

- تخرج على يديه الآلاف من جل أنحاء المغرب، منهم:
- أبو عبد الله سيدي محمد العتيك الشنقيطي الحوضي المتوفى عام 1328هـ/1910م: أخذ عنه العلم وغيره من الأدعية والأوراد، وبه تربى وتأدب وتخلق وتهذب<sup>29</sup>.
- ابنه أحمد الهيبة المتوفى عام 1337 هـ /1919م: كان يلزمه في تنقله<sup>30</sup>.
- المهدي بن محمد الوزاني الحسني المتوفى 1342 هـ / 1922م: أخذ عنه بالإجازة<sup>31</sup>.
- أبو العباس سيدي أحمد بن الشمس الحاجي المتوفى 1342 هـ / 1924م<sup>32</sup>.
- محمد بابا الصحراوي المتوفى عام 1342 هـ / 1924م: كان ناسخا لمؤلفاته<sup>33</sup>.
- عبد الحفيظ بن الطاهر الكبير الفاسي الفهري المتوفى 1383 هـ / 1964م: استدعى منه الإجازة لما وصل إلى فاس، فأجازه لفظا<sup>34</sup>.

29 - سلوة الأنفاس، 3/ 489-490.

30 - الأعلام، 1/ 265.

31 - الإعلام بمن حل مراكز وأغيات من الأعلام، 7/ 175.

32 - النفحة الأحمديّة في بيان الأوقات المحمدية، (المطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، 1330هـ)، 2/ 174.

33 - الأعلام، 6/ 47.

34 - معجم الشيوخ، 2/ 170.

- الحاج بلقاسم الإلغي: اتصل به في الصحراء، وهو شيخه في التصوف<sup>35</sup>.

### الاستقرار بالساقية الحمراء وبناء السمارة

كان له الفضل في تعمير الساقية الحمراء وبناء مدينة السمارة، ويشهد لذلك:

(1) ما ذكره أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط)، قال: "وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين وبنى فيها الدور وغرس النخل. فسهلت المواصلات بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية، أعني التابعة للمخزن؛ وهي في الأصل للركيات، قبيلة أصلهم من الزوايا"<sup>36</sup>.

(2) ما رواه محمد المختار السوسي في كتابه (المعسول) عن الحاجب السيد محمد بن إدريس بن يعيش، أنه قال: "إن الشيخ لم ينزل من الساقية الحمراء في السمارة إلا في عهد مولاي الحسن. ثم أحدث في 1316 هـ دورا في السمارة، فأرسل إليه مولاي عبد العزيز حين كان يبنها ما يحتاج إليه البناء. وأما ما قبل ذلك، فلم يكن يسكن إلا في الخيام، يوم كان في الساقية الحمراء"<sup>37</sup>.

وما ورد أيضا في هامش الصفحة 171 من الجزء السابع من كتاب (الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمت من الأعلام) لقاضي مراكش العباس بن إبراهيم السملالي، أن الشيخ ماء العينين هو الذي بنى السمارة، وأن الشروع في بنائها كان بإعانة السلطان مولاي عبد العزيز عام 1316 هـ (1898م).

### بيعته لملوك الدولة العلوية وزياراته المتكررة لحضرتهم

لم ينقطع اتصاله بملوك الدولة العلوية المغربية، بل استمر في التواصل معهم وتقديم البيعة لهم طيلة حياته.

وقد تعددت زياراته لسلطين المملكة، وازدادت وتيرتها بشكل ملحوظ في فترات دون أخرى:

### (1) في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام

قلنا قبل قليل، بأنه بعد مغادرته زاوية والده يوم الخميس 12 جمادى الأولى 1274 هـ لأداء مناسك الحج، مر بمراكش حيث ولي العهد الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمن فلاقاه وأكرمه. ثم

35 - المعسول، 91/4.

36 - الوسيط، ص 424.

37 - المعسول، 93/4.

دخل مكناس ليلة 27 رمضان 1274هـ، فتلقيه السلطان مولاي عبد الرحمن بكل إجلال، وأمره أن يركب من طنجة<sup>38</sup>.

وبعد أدائه لفريضة الحج، ركب البحر إلى طنجة، فدخلها في 24 من شعبان 1275هـ. ثم مر بمكناس، حيث أمر الملك أن يكرم غاية الإكرام، وأن يُكترى له ولمن معه إلى مراكش بعد ما لبث في مكناس خمسة أيام. ولما دخل مراكش يوم الاثنين 28 من رمضان 1275هـ، رحّب به ولي العهد وصلى معه صلاة العيد. ثم غادر مراكش في 12 من ذي القعدة.

### 2) في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن

أشار محمد المختار السوسي في كتابه (المعسول) إلى أن الشيخ ماء العينين قد وفد على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن مرة واحدة على الأقل، فقال: "اتصل من قديم بملوك المغرب، فكان يفد عليهم بأصحابه من الصحراء. فقد وفد على مولاي عبد الرحمن سنة 1274هـ في طريقه إلى الحج، فمولاي محمد بن عبد الرحمن، فمولاي الحسن، فمولاي عبد العزيز، فمولاي عبد الحفيظ أخيرا"<sup>39</sup>.

أما أحمد بن الأمين الشنقيطي فقد أشار إلى ترده عليه، فقال: "حج في أيام السلطان مولاي عبد الرحمن - رحمه الله - وتردد على السلطان مولاي سيدي محمد. وكان حظه في أيام السلطان مولاي الحسن، أحسن منه في أيام أبيه وجده. وهو في أيام مولاي عبد العزيز، أحسن من أيام مولاي الحسن"<sup>40</sup>.

كما أن تلميذه الشيخ أبو العباس أحمد بن الشمس، قد أشار إلى زيارته لمراكش في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وذلك أثناء حديثه عن كراماته في كتابه (النفحة الأحمدية)، فقال: "سمعت شيخنا - أدام الله عزه - يقول: أنه لما أتى مراكش زمن إمارة سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمن رحمهما الله، أتته أرواح الأولياء المدفونين فيه رحمهم الله..."<sup>41</sup>.

### 3) في عهد السلطان مولاي الحسن

في عام 1296هـ عيّنه السلطان مولاي الحسن نائبا عنه على الجنوب المغربي، بظهير جاء فيه ما يلي: "يعلم من كتابنا هذا أسماؤه الله وأعز قدره وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا استولينا بحول الله وقوته

38 - المعسول، 96/4.

39 - نفسه، 84/4.

40 - الوسيط، ص 360.

41 - النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية، 174/2.



وشامل يمنه ومنتته لحامله الفقيه السيد محمد بن فاضل ماء العينين السوسي الصحراوي تولية تامة شاملة على بلاد بني بعمران بسوس الأقصى ومن ورائهم بني جرار ومن فوقهم من الجزوليين، قبيلة بعد قبيلة من الأعرابيين بالصحراء، كلهم من بني بعمران إلى وادي نون إلى الساقية الحمراء للطرفاية إلى منتهى العمارة من إيالتنا لتلكم البلاد نائبها أمر الله بأمرنا المعتز بالله أن يكونوا عند السمع والطاعة لكلمتنا حيث بانث لهم وينصتوا لما فيها من الأمر والنهي. وإن الفقيه الشريف المذكور استوليناه عليهم ليكون نائباً عنا عليهم، تولية شاملة شرعية بحمد الله، وعليه في ذلك بحسن السيرة وتقوى الله العظيم في السر والإعلان، وبذلك صير الإعلام في 12 ربيع الثاني عام 1296هـ<sup>42</sup>.

وحين كان مولاي الحسن في وادي نون (كلميم) عام 1303هـ، استدعاه إليه، فكان من جملة ما كتب له في رسالة بعث بها إليه، ما يلي<sup>43</sup>:

وابرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

ومنها<sup>44</sup>:

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكلم

وفي سنة 1304هـ ذهب إلى مراكش، فتلقيه السلطان مولاي الحسن بالإجلال والترحيب، وحين جالسه قال له الشيخ ماء العينين: إني زرت جدك مولاي عبد الرحمن فجعلني إبناً، وأباك فجعلني أخاً. فقال له مولاي الحسن: وأنا أجعلك أبا<sup>45</sup>.

وأثناء هذه الزيارة، التي كانت هي زيارته الأولى للسلطان مولاي الحسن، أخذ عنه القائد إدريس بن يعيش والوزير أحمد بن موسى<sup>46</sup>.

42 - مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، نور الدين بلحداد، أشغال الندوة التي نظمها المجلس البلدي لمدينة تيزنيت يومي 28-29 أبريل سنة 2000م تحت عنوان: "الشيخ ماء العينين فكر وجهاد"، دار النجاة الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م، ص 73-74؛ وانظر أيضاً: التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية، نور الدين بلحداد، (د د ع)، السنة 1993-1994 - كلية الآداب - الرباط. وصدر سنة 2008 عن منشورات معهد الدراسات الإفريقية ضمن سلسلة أطروحات كتاب - دراسة، ص 269.

43 - المعسول، 93/4، 97-98.

44 - المعسول، 98/4.

45 - نفسه، 98/4.

46 - نفسه، 93/4.

وقد نقل محمد المختار السوسي عن الحاجب محمد بن إدريس بن يعيش، أن أمه كانت حاملا به حين وفد الشيخ ماء العينين وفدته عام 1304هـ، فسأله والده كيف يصنع بعد أن خاف عليها أن يأخذها الطلق في أثناء الطريق إلى مكناس، والملك إذ ذاك متهيء للسفر إليها، فأشار إليه بأن يصحبها معه، فسلمها الله فولدت بعد دخولهم مكناس بليتين، فسماه والده محمدا الحسن، اقتداء بالشيخ ماء العينين، حين سمى أحد أولاده بهذا الاسم<sup>47</sup>.

وفي عام 1311هـ تأهب لزيارة السلطان مولاي الحسن، وخرج من الساقية الحمراء ليفد عليه. وبعد أن سار ليلتين، أمر بالرجوع. فتعجب من معه، ولم يقدروا أن يسألوه عن سبب ذلك، هيبة له. ثم ظهر أن الملك قد توفي، وانتقل إلى عفو الله ورحمته<sup>48</sup>.

#### (4) في عهد السلطان مولاي عبد العزيز

تكررت وفادات الشيخ ماء العينين على مولاي عبد العزيز: ثلاث في عهد الوزير أحمد بن موسى، والرابعة بعد موته (عام 1318هـ/1900م) قبل أن يتوجه الملك إلى فاس؛ ثم ثلاث مرات وهو في فاس<sup>49</sup>. ولهذا قال محمد المختار السوسي: "وعدة أسفار الشيخ إلى الحكومة في العهد العزيري سبعة: أربعة إلى مراكش، وثلاثة إلى فاس"<sup>50</sup>.

ففي عام 1314هـ وفد على السلطان مولاي عبد العزيز، فنزل في دار القائد إدريس بن يعيش في القنارية (بمراكش) بإذن منه. ثم اتصلت المواصلات بينهما بالهدايا والمؤن بكل أنواعها، دقيقا وحبوبا وسكرا. يرسل ذلك على القوافل من الصويرة إلى الساقية الحمراء. ثم لما تهيأت الطرفية للسفن، بعد ما أخرج منها الإنجليزي الذي كان بنى فيها دارا، أنزل مولاي عبد العزيز فيها القائد حميدة الديلمي الشراذي ومعه جند، وأمين يسمى الطاهر بن عبد الملك (الطاهر الخطية). فإذ ذاك صارت السفن تحمل من الصويرة رأس كل ستة أشهر هذه المؤونة إلى الشيخ، وإلى من هناك من الجند. ومن هناك تنقل على جمال الشيخ إلى الساقية الحمراء<sup>51</sup>.

47 - نفسه، 94/4.

48 - نفسه، 93/4 و98.

49 - المعسول، 93/4.

50 - نفسه، 98/4.

51 - نفسه، 93/4.

ثم لما استقر مولاي عبد العزيز بمراكش مرجعه من فاس عام 1314هـ، اهتبل به اهتبلا، واتخذة شيخا، وتلقن منه ورده بإيعاز من الوزير أحمد بن موسى، وأمر ببناء زاويتين له في فاس ومراكش<sup>52</sup>.

وفي عام 1314هـ كذلك، زار مراكش، فتلقيه المولى عبد العزيز وأحمد بن موسى بكل إجلال، كما كانت القبائل تتلقاه في الطريق من وادي نون إلى مراكش. وقد قُدر ما أجازه به الملك هو ومن معه بمليون درهم قديم، زيادة على المؤونة الدائمة التي تصله إلى الصحراء<sup>53</sup>.

وفي حوالي هذا العام أيضا، أي عام 1314هـ، نزل أمام المدرسة البونعمانية (ضواحي ترنيت)، فأخذ عنه العلامة ابن مسعود السملالي (المتوفى 1330 هـ)؛ ولكنه أعرض عن ورده بعد حين، قائلا: لم أجد فيه ما أطلبه من الذوق الصوفي العالي، إلا ما كان من القناعة بأقل طعام<sup>54</sup>.

وفي عام 1316هـ أرسل إليه السلطان مولاي عبد العزيز ما يحتاج إليه في بناء السامرة<sup>55</sup>.

ولما ضاق بالشيخ ماء العينين وبكل ما هنالك الفضاء على اتساعه، بديب الاحتلال إليهم من الجنوب، صاروا يتطلبون السلاح من مولاي عبد العزيز في حياة الوزير أحمد بن موسى. فنوى الملك أن يرسله ليتسلح به رجال القبائل. فحذره الفرنسيون من مهاجمتهم بالسلاح إن زود به الصحراويين، وبأنهم سيعتبرون ذلك إعلانا للحرب مع المغرب. عندئذ صار الوزير أحمد بن موسى يماطل أهل الصحراء، مع إلحاح الشيخ ماء العينين عليه في ذلك. ثم لما مات الوزير أحمد بن موسى، وتولى محمد المفضل غريط، تجاذب عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية مع القنصل الفرنسي في فاس أمر الصحراء، فادعى هذا القنصل أن قبائل الصحراء لا يد للمغرب عليها، فأرادت الحكومة أن تكذبه، فكاتبت الشيخ ماء العينين، فأعلن رحمه الله أن جميع قبائل الصحراء إلى ما وراء شنقيط قد بايعت الملك مولاي عبد العزيز، وأنه لا بد أن يأتيهم الآن خليفة السلطان مع ظهائر القواد الذين يتكلمون عن القبائل الكبرى. عند ذلك ذهب مولاي إدريس بن عبد الرحمن حفيد مولاي سليمان في عام 1323هـ، ومعه الفقيه الغري وزيراً والمدني الصحراوي كاتباً، ومعهم السيد محمد الحسن بن إدريس بن يعيش وفي يده سرا خمسمائة بندقية بذخيرتها في باخرة إسبانية ركبوها من الصويرة إلى

52 - نفسه، 93/4.

53 - نفسه، 98/4.

54 - نفسه، 86/4.

55 - نفسه، 93/4.



طرفاية، ثم من هناك إلى السمارة ركوبا على الخيول والجمال. ولما وصلوا منزل الشيخ ماء العينين، واجتمعوا بكبار القبائل وسلموهم ظهائرهم، طلب منهم الشيخ أن يدفعوا ما في ذمتهم من الزكاة لخليفة السلطان، فاجتمع من ذلك أحد عشر مائة من الإبل، فأرسلت إلى أندر (سان لوي السينغالية) فبيعت هناك. وإذ ذاك توقف الفرنسيون عن مهاجمة تلك القبائل الصحراوية، بعدما أبلغوا رسميا طاعة تلك الجهة لخليفة السلطان<sup>56</sup>.

وفي إحدى وفاداته على مولاي عبد العزيز بمراكش، كان ينزل في رياض الوزير أحمد بن موسى<sup>57</sup>.

وفي إحدى وفاداته على مولاي عبد العزيز أيضا بمراكش، نقل محمد المختار السوسي عن الباشا إدريس منو، أنه لقي "بترحيب عظيم، وإكرام نادر. وقد أهدى إليه كل من يجول في الحكومة، من أصغر عون إلى السلطان الأعلى، كل بمقداره؛ لأن للناس فيه من الاعتقاد ما لا يُكيّف. ومن لم يقدر إلا على الحمالة التي يتقلد بها، فإنه ينزعها من عاتقه فيزور بها منه. والأعراب أصحابه ينشرون بلا حد كرامات، كنا إذ ذاك نصدقها كلها، فيزداد الشيخ في أعيننا تقديسا". وفي تلك المرة شفّع في الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، فسُرح من الحمراء إلى فاس، بعد نكبته<sup>58</sup>. وفي تلك المرة أيضا، تعرض له في الطريق رؤساء القبيلة السباعية، فاستشفّعوا به أن يطلق الوزير أحمد بن موسى أخاهم الفقيه محمد بن إبراهيم السباعي الذي كان في السجن، فشفع فيه، غير أنه لم يُطلق سراحه إلا بعد سفره؛ لأن الوزير أحمد بن موسى قال للشيخ ماء العينين: إن من السياسة تأخير إطلاقه إلى أن تذهب، وإلا فإن الناس سيكّبون عليك في الاستشفاع حتى يتجاوزوا الحد<sup>59</sup>.

ثم رجع الشيخ ماء العينين مرة أخرى إلى مراكش، حين كان هناك مولاي عبد الحفيظ خليفة أخيه مولاي عبد العزيز، فوجدهم قد هبت عليهم نسائم من الحياة العصرية، وتزلزل اعتقادهم فيه وفي أمثاله، وتتبعوا آثاره بالانتقاد. ومن جملة ما أثاروه، أنه كان يصلي قبل غروب الشفق. ثم لقي السلطان في تلك المرة ورجع<sup>60</sup>.

56 - المعسول، 95/4 - 96.

57 - نفسه، 94/4.

58 - المعسول، 85/4.

59 - نفسه، 86/4.

60 - نفسه، 86/4.

وقد كان مولاي عبد العزيز أشار على الشيخ، لما ضاقت به الصحراء واتسع فيها الخرق على الراقع، أن ينتقل إلى ترزيت، فأقطعه دار المخزن هناك<sup>61</sup>.

وفي آخر عهد السلطان مولاي عبد العزيز، كان آتيا ليزوره ومعه كبار الصحراء من بين القبائل، فإذا بمولاي عبد الحفيظ يُباع، فرجع وقد أكرمه الأمير الجديد غاية الإكرام<sup>62</sup>.

#### 5) في عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ

التقى الشيخ ماء العينين بمولاي عبد الحفيظ في مراکش أول ما بويع، فأكرمه غاية الإكرام<sup>63</sup>. وكان ذلك صدفة من غير ميعاد، على ما يبدو من الفقرة التي ذكرها محمد المختار السوسي في (المعسول) نقلا عن محمد الحسن بن إدريس بن يعيش، والتي جاء فيها ما يلي: "وقد صادف الحال الشيخ آتيا ليزور مولاي عبد العزيز ومعه كبار الصحراء من بين القبائل، فإذا بمولاي عبد الحفيظ يباع. فأرسل مولاي عبد العزيز محمدا الفاضل بن يعيش - أخا هذا الحاكي - إلى الشيخ أن يمر بمولاي عبد الحفيظ، لعله يرجع عما ادعاه وله الأمن. ولكن، لما وصل الشيخ إلى هذا، وجد الأمر قد تم... فرجع وقد أكرمه الأمير الجديد غاية الإكرام"<sup>64</sup>.

وبعد أن تمكّن مولاي عبد الحفيظ ودخل فاسا<sup>65</sup>، أرسل إليه الشيخ ماء العينين ابنه أحمد الهيبة عام 1327هـ<sup>66</sup>.

ثم نفذ الشيخ إشارة مولاي عبد العزيز، فتحول إلى ترزيت، فدخلها أوائل ربيع الأول عام 1328هـ، وذلك بإذن الحكومة<sup>67</sup>.

ثم تابع سفره يقصد فاسا، فسار محاذيا سفح الأطلس؛ لأنه لا يأمن في السهول. فأرسل الفرنسيون إلى الملك بفاس ينذرونه بأنهم يعدّون كل من يمد يده إلى ماء العينين عدوا لهم يعلنون

61 - نفسه، 94/4.

62 - نفسه، 94/4.

63 - المعسول، 98/4.

64 - المعسول، 94/4.

65 - نفسه، 96/4.

66 - نفسه، 98/4.

67 - نفسه، 98/4.

عليه الحرب. فإما أن يُعتقل في فاس إن جاء إليها، وإما أن يُرد على عقبه. فأوعز الملك إلى عبد الله بن يعيش بأن يتلقى الشيخ في الطريق برسالة ليرجع عن فاس. ثم لما وصل الشيخ تادلة، أراد الفرنسيون أن يتسربوا إليه ليلا ليستحوذوا عليه، ولكن الله حفظه منهم. فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة وبين الفرنسيين، اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور. ثم رجع الشيخ للأطلس، فطلع من آيت عتاب، إلى أن نزل على رأس الوادي بسوس، فحط رحله في تزيت<sup>68</sup>.

وقد بات عند القائد حميدة عام 1328هـ، مرجعه من تادلة مردودا عن فاس، حيث نزل على داره من قمم الأطلس الكبير<sup>69</sup>.

### مقاومته للاستعمار الفرنسي والإسباني

بدأت أطماع الاستعمار الأجنبي التوسعية في بلاد شنقيط والصحراء المغربية تظهر في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، ولقطع الطريق عليهم وتعزيز سلطته في تلك الأنحاء، بادر إلى تعيين الشيخ ماء العينين خليفة له بالصحراء المغربية، وبعث إليه ظهير توليته الذي جاء فيه ما يلي: "يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز قدره وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا استولينا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنتته لحامله الفقيه محمد بن فاضل ماء العينين الصحراوي، تولية تامة شاملة على بلاد بني باعمران بسوس الأقصى، ومن وراءهم بني جرار، وفوقهم من الجزوليين، قبيلة بعد قبيلة، مع الأعرابيين بالصحراء..."<sup>70</sup>.

وقد حاولت إسبانيا استمالة الشيخ ماء العينين، فأرسلت بعثة بقيادة مترجم يهودي من الشام يدعى (سبير) إلى ساحل طرفاية سنة 1892م، وكلّفته بربط علاقات تجارية معه؛ لكنه رفض الاستجابة لطلب سبير، وبعث رسالة إلى السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1892 يخبره فيها بهذا المخطط الاستعماري، فقال: "وليكن في كريم علم أمير المؤمنين أن رجلا كان من النصاري يقال له أصبير، وهو يسمى نفسه محمد الصابر، يدّعي الإسلام... وكان في براواته أنه يريد مني أن يكون خبر مرصّة الطرفاية بيدي، وامتنعت له أولا... وما أمرتوني به معه أفعله بحول الله وقوته"<sup>71</sup>.

68 - نفسه، 85/4، 96، 98.

69 - نفسه، 89/4، 99.

70 - مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، ص 73-74.

71 - نفسه، ص 76-77.



ثم أمرت الحكومة الإسبانية ممثلها في ساحل وادي الذهب بإجراء مفاوضات مباشرة مع الشيخ ماء العينين، لإقناعه بربط علاقات تجارية معها، فكتب إليه قائلاً: "وأؤكد أيضاً بأنني حاضر لأفعل كل ما يرضيك وتحب... ثم أخبرك وأثبت لك أن تجارة إسبانيا كلها بيدك وتحت أمرك في كل مكان وزمان"<sup>72</sup>، غير أن الشيخ ماء العينين لم يلتفت لهذه الإغراءات، وبقي متمسكا ببيعته للسلطان مولاي الحسن<sup>73</sup>.

وفي عهد السلطان مولاي عبد العزيز ازداد التواصل بين الشيخ ماء العينين والحكومة المغربية، وأصبح يحصل منها على الأسلحة والمؤونة بشكل مستمر لمواجهة المستعمر<sup>74</sup>.

وفي نفس الوقت كان يزودها بأخبار عن تحركات ومخططات المستعمرين، ولذلك بعث الشيخ أحمد بن شمس خليفة الشيخ ماء العينين بزاوية فاس، رسالة إلى السلطان مولاي عبد العزيز، يخبره فيها بأن المحتل الإسباني قد شرع في البناء في الداخلة، فقال: "فليكن في علم سيدنا أن النصاري إسبانيول اشتغلوا في البناء في الداخلة، موضع يكون بينه مع الطرفاية مسيرة سبعة أيام، ينبغي أن تكونوا من ذلك على بال"<sup>75</sup>.

كما أرسل الشيخ ماء العينين رسالة إلى الصدر الأعظم أحمد بن موسى (باحمد) يخبره فيها بعزم الجيوش الفرنسية على احتلال منطقة أدرار والاستعداد لذلك، فقال: "إن نصاري أهل أندر... ثبت عندنا بالتواتر أنهم مشتغلون بشراء الجمال والقرب، ويريدون بذلك النهوض لأدرار، وبقي من في البلاد متحيراً فيمن يدخل معهم؛ فالبعض يقول نحن في بيعة مولاي الحسن وابنه عبد العزيز، ولا نقدر على فعل شيء، حتى يخلف لنا مولاي عبد العزيز فيما نفعل"<sup>76</sup>.

وقد حاول الفرنسيون إغراء الشيخ ماء العينين كما فعل الإسبان، فكلفوا الشيخ سعد بوه الذي سقط في حبالهم، بالتوسط لصالحهم عند أخيه الشيخ ماء العينين، لإقناعه بربط علاقات تجارية مع مراكزهم الموجودة في السينغال. فرفض هذا الإغراء، وبعث رسالة إلى باحمد يحيطه فيها

72 - نفسه، ص 77.

73 - نفسه، ص 77.

74 - نفسه، ص 77.

75 - مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، ص 77-78.

76 - نفسه، ص 78.

علما بما يطالبونه به: فقال: "وليكن في كريم علمكم أنهم... كثيرا ما يطالبونني بالعهد معهم، وأنا أمتنع من ذلك، إلا إذا كان على أيديكم"<sup>77</sup>.

وعندما توغل الفرنسيون في بلاد شنقيط بقيادة كوبولاني، بعث الطالب أخيار رسالة إلى والده الشيخ ماء العينين حثه فيها على ضرورة إبلاغ المخزن بنواياهم التوسعية، وأن يطلب منه كميات من الأسلحة لمساعدة القبائل الصحراوية على التصدي لهم. كما تصدى الشريف ولد مولاي الزين - أحد أتباع الشيخ ماء العينين - لكوبولاني، وقتله يوم 12 ماي 1905م بتجكجة<sup>78</sup>.

وفي 11 يونيو 1905م وصل وفد مخزني برئاسة الشريف مولاي إدريس ابن عم السلطان مولاي عبد العزيز إلى مرسى طرفاية، حاملا معه كميات من السلاح والذخيرة وظهائر تولية أربعة عشر قائدا عيّنهم السلطان على رأس القبائل. ولما وصل الوفد إلى مدينة السمارة، ألقى الشيخ ماء العينين خطابا أمام شيوخ القبائل، دعاهم فيه إلى تجديد بيعتهم للسلطان ودفع ما ترتب عليهم من زكاة<sup>79</sup>.

قال أحمد بن الأمين الشنقيطي في (الوسيط) معرفا بالشريف مولاي إدريس، الذي بعثه السلطان لمساندة المقاومة في الأقاليم الجنوبية: "وكان ذلك الشريف حازما مدبرا، فوقعت بينه أيام مع الفرنسيين، انتصر في بعضها، وخذل في بعض، فلولا قلة الفرنسيين، وكثرة الصحاري والجبال لقهروهم في أول وهلة، ولولا رداءة سلاح أهل الصحراء، وعدم انتظامهم في أنفسهم، لدفعوهم سنين كثيرة. على أنهم ما دخلوا أدرار، منذ دخلوا تيججك، إلا بعد سنين، وهما كالشيء الواحد، ولولا ما يعدمهم الشيخ ماء العينين به من إنجاد السلطان، لسلموا لهم أيضا، فطال الروغان، فلما علم الشريف بعدم الفائدة، رجع إلى فاس. لأن العرب لما طال عليهم الأمر، فنت مواشيهم، وكابدوا كثيرا من الشدائد، فصاروا يهربون إلى افرانس ويصالحونهم"<sup>80</sup>.

وفي سنة 1907م جاء وفد من قبائل الصحراء برئاسة الشيخ ماء العينين إلى مدينة مراكش، فجددوا البيعة للسلطان مولاي عبد الحفيظ، وطلبوا منه تزويدهم بكميات من الأسلحة لمواجهة المحتلين<sup>81</sup>.

77 - نفسه، ص 79.

78 - نفسه، ص 80.

79 - نفسه، ص 81.

80 - الوسيط، ص 361.

81 - مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، ص 83.

وفي سنة 1908م هاجم أتباع الشيخ ماء العينين المركز الفرنسي بأكجوجت، وقتلوا حاكمه وحوالي سبعة عشر جندياً آخر<sup>82</sup>.

وفي سنة 1909م تمكنت فرنسا من احتلال أدرار، فاشتد الحناق على الشيخ ماء العينين، فانتقل من مدينة السمارة إلى مدينة تزنيت<sup>83</sup>.

وعن هذا الحدث يقول صاحب (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط): "ثم بقيت تلاميذ الشيخ ماء العينين، وما انضم إليهم من شذاذ الناس وصعاليكهم، يناوشون الفرنسيين حتى احتلوا مدن أدرار، فتركوا محاربتهم ولجأ الشيخ إلى تزنيت من أرض سوس"<sup>84</sup>.

ثم تابع سفره يريد فاسا، فمُنِع من وصولها على طريق تادلة، فرجع على طريق الأطلس إلى أن نزل في سوس<sup>85</sup>. والسبب في ذلك - كما يقول صاحب المعسول - أن الفرنسيين أرسلوا إلى الملك بفاس "ينذرونه بأنهم يعدّون كل من يمد يده إلى ماء العينين عدوا لهم يعلنون عليه الحرب... فأوعز الملك إلى عبد الله بن يعيش... بأن يتلقى الشيخ في الطريق برسالة من الملك ليرجع عن فاس. ثم لما وصل الشيخ تادلة، أراد الفرنسيون أن يتسربوا إليه ليلا ليستحوذوا عليه، ولكن الله حفظه منهم. فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة وبين الفرنسيين... ثم رجع الشيخ متوقفاً للأطلس، فطلع من آيت عتاب إلى أن نزل على رأس الوادي بسوس، فحط رحله في تزنيت حيث لفظ نفسه الأخير"<sup>86</sup>.

قال أحمد بن الأمين الشنقيطي في (الوسيط) بعد حديثه عن مبايعة الشيخ ماء العينين للسلطان مولاي عبد الحفيظ: "أما أمره له بالرجوع عن فاس؛ فإنه لم يكن عن نية سيئة، بل لأن السلطان، كان محتاجاً إلى أن يستنجد بافرانس، وهم يعادون الشيخ المذكور، وكان السلطان يتوقع مجيئهم، فلو دخلوا فاس، وقع السلطان بين أمرين، إما أن يتركهم وشأنهم به، فإن السلطان لا تسمح له مروءته بذلك، وإما أن يحدث ذلك ضغائن بينهم وبينه. فذلك مما يضر بصالحه، فأمره بالرجوع"<sup>87</sup>.

82 - نفسه، ص 83.

83 - مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، ص 83.

84 - الوسيط، ص 361.

85 - المعسول، 99-98/4.

86 - المعسول، 96/4.

87 - الوسيط، ص 362.



ونختم بهذه الكلمات النفيسة التي شهد بها محمد المختار السوسي في حق الشيخ ماء العينين، فقال: "وأعظم ما سيعرفه به المستقبل، أنفته الإسلامية من الانضواء إلى الأجانب. فكان هو الرقم الأول في أعاديهم في الصحراء، وطالما حاول مقاومتهم هناك على يد مولاي عبد العزيز"<sup>88</sup>.

### طريقته الصوفية

قال محمد المختار السوسي في كتابه (المعسول) بأن نزعة الشيخ ماء العينين في الطرق، هي المزج ما بينها والمؤاخاة بين أصحابها، وأنه قد سار على هذا النهج لما رأى تشاكس أصحابها وتطاحنهم وتفاجرهم فيما بينهم. فكان يلقن أذكار كل الطرق قاطبة، حتى الأحمدية المعروفة بأنها وحيدة لا تقبل الشريك<sup>89</sup>.

### شهادات في حقه

- قال تلميذه الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشمس في كتابه (النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية)، متحدثا عن كراماته وتواضعه: "أما تصرفه فأمر مشهور ومعلوم عند الخاص والعام، وتقدم التنبيه على بعضه والمراد الإعلام لا الإتمام؛ لأن المعجزة إن وقعت في شيء واحد مرة تكفي، والكرامة كذلك، كما وقع لبعض الأنبياء والأولياء. وإن تعددت المعجزة في أشياء بلا تكرار في جنس واحد تكفي، والتكرار يزيد التقوية... وقد وقع لشيخنا - أدام الله عزه وعمره في العافية - من الكرامات ما لا يُحصر... وأما تواضعه فهو أمر مشهور أيضا، ومنه جلوسه في موضع مصلاه، سواء في بادية أو غيرها، وتأتيه الناس أفواجا فلا يُرد عنه أحد..."<sup>90</sup>.

- وقال أحمد بن الأمين الشنقيطي في (الوسيط): "هو العلامة الوحيد... وما جاء بعد الشيخ سيدي مثله في إقبال الناس عليه وإنفاقه"<sup>91</sup>. ثم قال: "وكان هذا الشيخ فاضلا كريما، لا يوجد أحسن منه أخلاقا. وقد اجتمعت به حين خروجي من مدينة شنقيط إلى مراكش في توجهي إلى الحجاز، ورأيت منه ما حيرني؛ لأنني أقدر من معه في وادي اسمار من الساقية الحمراء بعشرة آلاف

88 - المعسول، 92/4.

89 - نفسه، 91/4.

90 - النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية، 175/2 - 177.

91 - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 360.

شخص، ما بين أرملة ومزمن وصحيح البنية، وكل أصناف الناس. وكل هؤلاء في أرغد عيشة، كاسيا من ذلك الشيخ. ويزوج الشخص، ويدفع المهر من عنده، ويجهز المرأة من عنده، مع حسن معاشرته لهم، لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه. ولا يمضي عليه يوم إلا وقد بعث قافلة تأتيه بالميرة، أو قدمت إليه أخرى تحملها. ومتى بلغ الإنسان قريبا منه، يسمع دوي مريديه يذكرون الله وينشدون الأدعية. ورأيت في تلك الأيام التي أقمت عنده، لا تقوته صلاة الجماعة في أول الوقت، مع كبر سنه وضعف جسمه<sup>92</sup>.

- وأثنى عليه محمد بن جعفر الكتاني في (سلوة الأنفاس) فقال: "الشيخ الشهير، القدوة الكبير، من ظهر في هذا الوقت ظهور شمس الظهيرة، وانتشرت أياديه انتشار الكواكب المستنيرة، العلامة المشارك، الذي لا يدركه في علومه من أهل العصر متدارك، ذي التأليف الكثيرة، والكرامات العديدة الكبيرة"<sup>93</sup>.

- ومدحه عبد الحفيظ الفاسي في (معجم الشيوخ) فقال: "الإمام الكبير الشأن المعمر رحمه الله... من أشهر علماء عصره، وأعظم أئمة التصوف به، جليل القدر، كبير الشأن، متقدما على أهل عصره علما وفضلا... واشتهر أمره في كافة الأقطار، وأقبل الناس عليه وقصدوه من كافة الجهات وافتخروا بالأخذ عنه، وأدرك الجاه العريض والحظوة التامة عند الملوك والأمراء والوزراء، ونال من الدنيا ما لم ينله غيره مع الجود والبذل والعطاء، ولم يظهر من حاله في كل أطواره إلا الاستقامة التامة. فدلّت تصرفاته كلها، على أنه كان ملحوظا بعين العناية الربانية. وأخباره في العلم والطريق والسياسة واسعة طويلة الذيل، تحتاج إلى مؤلف خاص"<sup>94</sup>.

- وقال عبد السلام ابن سودة في (إتحاف المطالع) معرفا به: "الشيخ الشهير، والمربي الكبير. له أتباع في جل أنحاء المغرب في وقته، وتبرك به الناس وأخذوا عنه واستفادوا من علمه وكتبه. وكانت له رحلات، ومدحه الشعراء، وألف تأليف عديدة في فنون مختلفة، جلّها طُبع، وله أشعار وأنظام"<sup>95</sup>.

92 - نفسه، ص 360.

93 - سلوة الأنفاس، 3/490.

94 - معجم الشيوخ، 2/168.

95 - إتحاف المطالع، 1/385.

## وفاته

توفي الشيخ ماء العينين رحمه الله بتزيت ليلة الجمعة 17 أو 21 أو 24 شوال عام 1328هـ الموافق 25 أو 29 أكتوبر أو فاتح نونبر 1910م.<sup>96</sup>

## مصادر ترجمته والدراسات حول شخصيته وتراثه

اهتم عدد كبير من العلماء بسيرته، وأفاضوا في الحديث عن مناقبه، منهم:

- (1) ابنه الشيخ مرييه ربه في كتابه (قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين)<sup>97</sup>.
- (2) ابنه الشيخ النعمة في كتابه (الأبحر المعينية في بعض المدائح الماعينية)، الذي جمع فيه ما في الشيخ ماء العينين من الشعر<sup>98</sup>.
- (3) ابنه الشيخ النعمة أيضا في كتابه (الفواكه)، الذي جمع فيه كلامه الذي سمعه منه<sup>99</sup>.
- (4) حفيده ماء العينين بن العتيق في كتابه (سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان)<sup>100</sup>.
- (5) الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشمس في خاتمة كتابه (النفحة الأحمدية).
- (6) محمد العاقب بن الشيخ سيدي عبد الله المايابي في كتابه (مجمع البحرين في مناقب ماء العينين)<sup>101</sup>.
- (7) أحمد التكرور اليعقوبي في كتاب جمع فيه نبذة من فوائده<sup>102</sup>.
- (8) أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط).

96 - الوسيط، ص 361؛ المعسول، 99/4 - 100؛ معجم الشيوخ، 170/2.

97 - المعسول، 305/4.

98 - نفسه، 305/4.

99 - نفسه، 305/4.

100 - المعسول، 305/4.

101 - نفسه، 305/4.

102 - نفسه، 305/4.



- (9) المختار السوسي في الجزء الرابع من كتابه (المعسول).
- (10) محمد بن جعفر الكتاني في الجزء الثالث من كتابه (سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس).
- (11) العباس بن إبراهيم السملالي في الجزء السابع من كتابه (الإعلام بمن حل بمراكش وأغमत من الأعلام).
- (12) عبد السلام ابن سودة في الجزء الأول من كتابه (إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع).
- (13) عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي في الجزء الثاني من كتابه (معجم الشيوخ).
- (14) الزركلي في الجزء السابع من كتابه (الأعلام).
- (15) المختار بن حامد في موسوعته (حياة موريتانيا).



## النقد الأدبي في ركاب شعر العرشيات في عهد محمد الخامس

نقد محمد المختار السوسي لعرشية عبد القادر حسن

ذة. آمنة الراضي  
كلية الآداب، أكادير.

مقدمة:

إن لكل أمة مناسبات تحرص على استرجاع ذكرياتها، وأعيادا تفخر بالاحتفال بها، تذكرها لأجداد أسلافها، واستحضارا لمفاخرها، واعتزازا بإنجازاتها.

ولما كان المغرب بلدا ذا تاريخ عريق، وحضارة ماجدة أصيلة، زينت جبينها لآلئ إنجازات وبطولات الأجداد الخالدة، فقد خلد المغاربة بمداد الفخار منجزاتهم التاريخية على صفحات تاريخهم الوضاء، بأن اتخذوا من تواريخ هذه الإنجازات أعيادا سنوية خصصوها بمواعيد معلومة، يحتفون فيها بمناسباتهم الدينية الدالة على انتمائهم العقدي والروحي والفكري لأمة الإسلام، وأعيادهم الوطنية المؤرخة للأحداث البارزة في تاريخهم، التي أسهمت في بناء الأمة المغربية وحماية كيانها الحضاري من قبيل عيد المطالبة بالاستقلال في 11 يناير، وعيد الاستقلال في 18 نونبر، وعيد المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر، وذكرى ثورة الملك والشعب يوم 21 غشت وغيرها.

وإلى ذلك، يعد عيد العرش المجيد الذي نحتفل في هذه الأيام بالذكرى السابعة عشر لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس - نصره الله وأيده - عرش أسلافه المنعمين، أحد أهم الأعياد الوطنية المغربية التي توثق لبداية رحلة التوافق والتلاحم بين عرش المغرب وشعبه لبناء الوطن وتطويره في كافة المجالات، كما يتم فيها تجديد العهد كل عام بين الشعب والعرش، بما يقوي الأواصر بينهما ويذكرهما بتاريخ كفاحهما المشترك، ويزودهما بالطاقة اللازمة لمواصلة الكفاح، ومتابعة السير الحثيث لبناء الوطن وضمان استقراره وطمأنينته.

هذا، وترجع بداية الاحتفال بعيد العرش إلى مرحلة الاحتلال في عهد المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، حينما اكتمل وعي النخبة الوطنية المغربية - إثر صدور الظهير البربري في



16 ماي 1930 م<sup>1</sup> - بمخططات المحتلين الرامية إلى طمس معالم الهوية الوطنية<sup>2</sup>، والتفرقة بين مكونات المجتمع المغربي من جهة، وبين عموم الشعب المغربي وبين ملكه الشاب محمد الخامس من جهة أخرى، وفق سياسة فرق تسد<sup>3</sup>، فانتفض المغاربة ضد هذه المكائد، وبدأت الدعوة إلى الاحتفاء بيوم جلوس محمد الخامس على عرش المغرب يوم 18 نونبر 1927 م، والندب إلى اتخاذه عيداً وطنياً، يعبر فيه عن الالتحام بين العرش والشعب، ضداً على مطامح ومطامع المحتلين. فكان الوطني الشاب محمد حصار<sup>4</sup> أول<sup>5</sup> من دعا عبر منبر مجلة "المغرب" إلى جعل يوم جلوس السلطان محمد الخامس عيداً وطنياً رسمياً، تقام فيه مظاهر الاحتفال، وتعلن الفرحة بهذا اليوم السعيد حين قال: "كما نطلب منها [أي من الحكومة] أيضاً بمناسبة هذا الموضوع، أن تصدر قراراً باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش المغربي عيداً وطنياً، يتاح فيه للأمة المغربية كل سنة - زيادة على الأعياد الشرعية، إظهار دوام تمسكها بعرش الأشراف العلويين، وإبداء ما تحمله القلوب من عواطف الإخلاص والتفاني نحو ملكها المفدى دام عزه"<sup>6</sup>.

- 1 - انظر ظروف إصدار هذا الظهير ودلالاته ونتائجه في: سنة 1930 م في المغرب، أو المغاربة واستعادة الثقة في النفس، للأستاذ مصطفى الشابي ضمن مجلة المناهل السنة 31، العدد 89-90، يونيو 2011 م، ص: 23.
- 2 - صرح بذلك المستشرق لوي ماسينيون louis massignon قائلاً: "حاصري [...] الأب دوفوكو كتابة ومشاهدة، لاحاً علي بأن أتفرغ وأن أحب حياتي بعده إلى هذه الحركة المصيرية [أي السياسة البربرية] التي سوف تعمل على إقصاء الإسلام واللغة العربية من إفريقيا الشمالية لفائدة اللغة الفرنسية والديانة المسيحية، وذلك على مرحلتين [...] تنصب الجهود في ثانيهما على إدماج الأهالي بواسطة لغة وقوانين رفيعة، فرنسية ومسيحية". نقلاً عن: سنة 1930 م في المغرب، أو المغاربة واستعادة الثقة في النفس، ص: 25-26.
- 3 - البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933 م، أبو بكر القادري، دعوة الحق السنة 24، العدد 227، مارس 1983 م، ص: 12. وفيه: "لقد وعت الحركة الوطنية في بدايتها بمسؤوليتها، وأدركت بتوفيق من الله أن التآمر الاستعماري لا يقاوم إلا بوحدة ملتحمية بين الشعب والعرش [...] فهو [أي الاحتلال] يريد أن يفرق بين الملك وشعبه، وهو يريد أن يفرق بين الشعب بعضه بعضاً".
- 4 - صحفي ووطني مغربي عرف بشجاعته، كان من الرعيل الأول للجماعة الوطنية التي نشأت بسلا، توفي سنة 1936 م. انظر ترجمته في معلمي المغرب، 10/3450.
- 5 - نبه أبو بكر القادري إلى سبق محمد حصار إلى الدعوة في الصحافة الوطنية إلى اتخاذ يوم الجلوس على العرش عيداً وطنياً، فقال في مقاله: فكرة الاحتفال بعيد العرش انبثقت من صميم الشعب المغربي، ضمن دعوة الحق، السنة 22، العدد 1، مارس 1981 م، ص: 61: "لقد كان الشعور الوطني بضرورة تشخيص هذا التلاحم بين العرش والشعب شعوراً عاماً، وذلك بجعل يوم جلوس جلالة الملك محمد الخامس على عرش أسلافه، عيداً وطنياً يتجلى فيه هذا التلاحم وهذا التحاب. وكان الشباب الوطني يتحدث بضرورة تحقيق هذه الأمنية، وتطبيق هذه الرغبة، ولكن أول من كتب في الصحافة داعياً إلى اعتبار يوم عيد جلوس الملك محمد الخامس عيداً وطنياً بإصدار قرار في الموضوع هو - فيما أعلم - المرحوم محمد حصار". ثم أعاد تأكيد كلامه في مقاله: البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933 م، دعوة الحق، ص: 14، وفيه: "لقد كان أول من كتب في هذا الموضوع الذي يشغل الأفكار حسب علمي، المرحوم محمد حصار، ففي مقال كتبه بمجلة المغرب [...]، طالب علينا في ختام مقاله باتخاذ يوم جلوس الملك على عرش أسلافه عيداً". كما أكد الأستاذ قاسم الزهيري ذلك، في مادة عيد العرش بمعلمي المغرب، 18/6039، فقال: "أول من فكر في ذلك أحد أبناء سلا المناضلين المرحوم محمد حصار، وكان من ألمع شباب جيله [...] دعا إلى الاحتفال بعيد تنويع محمد الخامس في مقال نشر بمجلة المغرب لصاحبها محمد صالح ميسة. وكان عنوان المقال: الأعياد الإسلامية".
- 6 - الأعياد الإسلامية، مجلة المغرب، العدد 11، ربيع النوي، 1352 هـ/ يوليو 1933 م.

وبذلك احتُفل لأول مرة في المغرب احتفالا شعبيا بعيد العرش في 18 نونبر 1933م، في كل من سلا والرباط وفاس<sup>7</sup>، مما كان سببا مباشرا في إصدار قرار وزيري، باتخاذ الثامن عشر من نونبر عيدا رسميا للعرش في المغرب، في 16 رجب 1353هـ/ 26 أكتوبر 1934م. وبذلك ترسخ الاحتفال الرسمي بهذا العيد الوطني في بلدنا منذ سنة 1934م<sup>8</sup>.

لقد كانت النخبة الوطنية المغربية، بل الشعب المغربي كله، موقفا أيما توفيق، حين تفتقت المعية عن جعل يوم جلوس عاهله على عرش أسلافه عيدا وطنيا، يحتفل فيه - كل عام - بما يجمعه به من وشائج الالتحام ومشاعر الولاء. لقد تفجرت بمناسبة هذا العيد الوطني وما ينطوي عليه من دلالات وحدة الصف المغربي، مشاعرُ الوطنية الجياشة الراسخة في أعماق كل مغربي، فانطلقت بفضلها الذات المغربية من عقالها، وتنوعت مظاهر الاحتفال بهذا العرس الوطني، فكان للأدب عامة وللشعر خاصة، اللذين سارا في ركاب العمل الوطني في عهد الاحتلال، حضور قوي وفعال في المجتمع المغربي، وكان له دور حاسم في إعلان الاغتيال بهذا العيد، والتعبير عن تجاوب المغاربة الروحي والوجداني معه، ومن تم الإفصاح عما يكنه أبناء الشعب المغربي للملكهم من حب واحترام وتقدير، ولهذه الذكرى الغالية من تعظيم وإجلال.

لقد سالت قرائح الأدباء والشعراء الناطقين باسم الشعب المغربي، من خلال تعبيرهم عن هموم عامة المغاربة<sup>9</sup>، والمعبرين عن مشاعرهم وتطلعاتهم، وفرحتهم العارمة بهذه الذكرى الغالية، بنصوص أدبية عالية، وقصائد رائقة، وأناشيد شائقة، وخطب بالعاطفة الجياشة دافقة، فصار عيد العرش "موسما أدبيا تنجز فيه أعمال أدبية رائعة، فمن مقالات في تاريخ الدولة المغربية وعظمة العرش المغربي، إلى خطب في تمجيد الوطنية وجمع المواطنين [...] إلى قصائد في مدح الجالس على العرش، والتنويه بمشاريعه الإصلاحية"<sup>10</sup>. وكان من بركات عيد العرش العلوي المجيد في عهد محمد الخامس، نشأة لون شعري متميز هو شعر العرشيات الذي واكب الاحتفاء بعيد العرش، حتى

7 - البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933م، ص: 14. وانظر أيضا وصفا للاحتفالات التي أقيمت بسلا في: من وثائق الاحتفال بعيد العرش، مسألة الأسبقية في الاحتفال بالعيد المجيد، ذ. أحمد إيشرخان وذ. حسن مومني، دعوة الحق، السنة 55، العدد 402، رمضان 1433هـ/ يوليوز 2012م، ص: 54.

8 - البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933م، ص: 16.

9 - المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الإلغية بسوس نموذجاً، ذ. المهدي السعيد، ص: 426، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1427هـ/ 2006م.

10 - أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، عبد الله كنون، ص: 84، دار الثقافة، الدار البيضاء.



صار من أهم ملامح الاحتفالات بهذا اليوم، بل أصبح الشعراء يترقبون موعد هذا العيد، ويجهزون في إعداد ما يشنفون به الأسماع، وإن لم يكونوا ممن يقول في غيره من المناسبات<sup>11</sup>.

## 1 - شعر العرشيات والاحتفال بعيد العرش:

### أ - مفهوم العرشيات:

يرتبط تحديد مفهوم شعر العرشيات بعيد العرش العلوي المجيد، الذي ألهب حماس الشعراء، وحرك مشاعرهم، وخلق لديهم دواعي القول الشعري، واستدر بدلالاته الوطنية، قدراتهم الشعرية، وطاقتهم الإبداعية، حين قدم للمغاربة عموما وللأدباء الناطقين باسمهم بوجه خاص، وللشعراء بصورة أخص، الفرصة التي طالما انتظروها ليعبروا على الملأ على مرأى ومسمع من الجميع - بلغة عربية فصيحة ناطقة بانتمائهم الديني والفكري لأمة الإسلام - عن ولائهم التام والدائم لمن ارتضوه لهم ملكا، وعن تجندهم جميعا خلفه للدفاع عن شرعية العرش العلوي، وعن مقدساتهم الدينية والوطنية، وعن حقهم المشروع في الافتكاك من ربة الاحتلال والتسربل في حلل الاستقلال.

وتبعاً لذلك، يقصد بالعرشيات القصائد الشعرية التي قيلت بمناسبة عيد العرش المؤرخ لذكرى جلوس ملك البلاد على عرش المغرب، والتي تنبض بالوطنية الحقة، وتنطق بمشاعر الارتباط الدائم بالعرش العلوي المجيد، والمحبة الراسخة للجالس عليه، وتعبر عن آمال الأمة وتطلعاتها إلى حياة كريمة هائلة تحت القيادة الرشيدة لملكها. يقول عادل بنمنصر في تعريفها:

"وتبقى العرشيات - في نظري - كمصطلح دقيق، كل قصيدة نظمت أولا وقبل كل شيء، بمناسبة عيد العرش - أي من وحي هذا العيد - فخلدت ذكراه، وارتبطت بشخص السلطان لتشيد بخصاله وأعماله، ولتنوه بمواقفه ومجتهاداته في إطار رؤية وطنية ذات أبعاد متجددة مرتبطة بكيان الأمة ومصيرها وتاريخها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري والديني، مما يجعلها في تفاعل مستمر مع واقع الحياة"<sup>12</sup>.

11 - نفسه، ص: 153.

12 - مفهوم العرشيات، عادل بنمنصر، دعوة الحق، العدد 342، ذو الحجة 1419هـ/أبريل، ص: 66.



## ب - نشأة شعر العرشيات:

إذا كان الدارسون يجمعون على أهمية شعر العرشيات في تأثيث ساحة احتفال الشعب المغربي بعيد تربع ملوكهم على عرشه، فإنهم اختلفوا حول أولية هذا اللون الشعري المتميز، وانقسمت آراؤهم بشأنه إلى ثلاثة آراء<sup>13</sup> هي:

- الرأي الأول، يربط بداية شعر العرشيات بتولي محمد الخامس عرش أسلافه سنة 1927م، ويرى فيها قيل في تهنة السلطان بذكرى تربعه على عرش أسلافه بداية لشعر العرشيات، بالنظر إلى ما تزخر به تلك الأشعار من معاني الوطنية، وما تعبر عنه من احتفاء عظيم بحدث جلوس الملك على عرشه، وإظهار لما يكنه الشعراء للعرش العلوي، ولشخص الملك الجالس عليه وهو المغفور له محمد الخامس في تلك المرحلة.

ويمثل هذا الاتجاه الدكتور عباس الجراري الذي ألمح إلى إمكانية جعل القصيدة التي هنا بها الشاعر محمد البضاوي الشنكيطي<sup>14</sup> الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، معبرة عن بدايات أولى شعر العرشيات في قوله: "فهذه القصيدة الطويلة التي مدح بها الملك المنعم أو هنا يوم اعتلاء العرش، تكتسي في الحقيقة أهمية بالغة، لأننا ألفنا أن نتحدث عن شعر العرش ابتداء من سنة الاحتفال بعيده سنة ثلاث وثلاثين بشكل خاص، وفي عام أربعة وثلاثين وتسعمائة وألف بصفة رسمية، ولكننا قبل ذلك لا نجد نصوصا تسعفنا في التعرف إلى بدايات هذا الشعر أو ما يمكن أن يعتبر بدايات هذا الشعر"<sup>15</sup>.

وقد بين عادل بنمنصر موقف الأستاذ الجراري فقال: "فهو [أي الجراري] لا يكتفي بالهمس في آذاننا بأن شعر العرش مرتبط بسنة 1927م، بل يدعونا - من خلال موقفه - إلى البحث وإلى إيجاد نصوص من شأنها أن تدعم هذا الرأي"<sup>16</sup>.

- الرأي الثاني، يربط نشأة العرشيات بمفهومها المتداول اليوم في الدراسات الأدبية المغربية بسنة 1933م، حين رافق هذا اللون الشعري أولى الاحتفالات الشعبية العلنية بالذكرى السادسة

13 - انظر تفصيل الكلام فيها في: مفهوم العرشيات، ص: 58 فما بعد.

14 - أديب وشاعر مغربي متمكن، ولد ببلاد شنكيط سنة 1892م، وتولى مناصب عديدة في فترة الاحتلال، منها عضوية مجلس الاستئناف بالرباط، كان آخرها باشوية تارودانت من 1932م إلى حين وفاته سنة 1945م، ودفن بمقبرة باب أغمت بمراكش. معلمة المغرب، 5422/16.

15 - شعر الصحراء، دعوة الحق، السنة 30، العدد 273، مارس 1989م، ص: 120.

16 - مفهوم العرشيات، ص: 60.

لاعتلاء المغفور له محمد الخامس عرش المغرب سنة 1927م. ويمثل هذا الاتجاه الأستاذ عادل بنمنصر الذي قصر أولية العرشيات على سنة 1933م، مصنفا ما قيل في تهنة السلطان وقت تنويجه على العرش العلوي ضمن شعر المديح السلطاني، يقول: "ونظرا لعدم توفرنا على نص جديد وصريح يمكن أن نطمئن إليه غاية الاطمئنان، ويمكن أن نجد فيه ذات شعر العرش واضحة وجلية، محققة تواصلها واستمراريتها، فإن العرشيات تبقى وليدة سنة 1933م، وتبقى القصائد التي ارتبطت بحدث تنويج محمد الخامس، عبارة عن مدح تقليدي مزج بين التهنة والثناء، في شكل جسد مظهرا من مظاهر المديح السلطاني"<sup>17</sup>. وقال أيضا: "كان من الممكن أن يحفل [النص الذي واكب حدث تنويج جلالة المغفور له محمد الخامس] بالشيء الكثير ليقدم إرهابات شاملة وواضحة عن خطورة المرحلة ودقتها، وما يكتنفها من عظيم الأحداث، غير أن استمراريتها تعطلت، والتذبذب والغموض في الموقف الفكري والوطني ساداه، فلم يكشف عن هويته الشعرية والتاريخية في عمقها إلا مع أواخر سنة 1933م التي فجرت بنية حدثه، وكشفت عن احتضان الساحة الأدبية لنص جسد قضايا وهموم الفترة في نطاق تجربة شعرية، ذات بعد جماعي وذات بعد وطني جديد، حمل رؤى وسمات متميزة"<sup>18</sup>. وقال كذلك متحدثا عن مصطلح العرشيات: "لقد عرف انطلاقته وصورته الحقيقية مع سنة 1933م التي عرفت أول احتفال، وعرفت - وهذا هو الأهم - أول نص شعري عبر عن هموم القصيدة العرشية، وسطر أكبر ملمح من ملامحها"<sup>19</sup>.

- الرأي الثالث، يرجع بداية فن العرشيات إلى سنة 1934م، حين تقرر - بظهير وزيري وقعه الصدر الأعظم محمد المقرئ بتاريخ 16 رجب 1353هـ/ 26 أكتوبر 1934م - جعل اليوم الثامن عشر من نونبر عيداً وطنياً رسمياً للعرش، تعلن فيه الفرحة، وتقام فيه مختلف مظاهر الاحتفالات. فتم بذلك الاحتفال رسمياً بعيد العرش في المغرب يوم 18 نونبر 1934م.

وقد رفع لواء هذا الاتجاه الأستاذ عبد الجواد السقاط الذي قال: "والحديث عن هذا الفن في إبداعنا المغربي، يدعونا في البداية للتذكير بالفترة التي نشأ فيها كشعر يقال خصيصاً بمناسبة الاحتفال بعيد العرش المجيد. فإن تاريخ هذه البداية ترجع إلى عام 1934م"<sup>20</sup>.

17 - مفهوم العرشيات، دعوة الحق، ص: 66.

18 - نفسه.

19 - نفسه، ص: 59.

20 - فن العرشيات في الشعر المغربي، دعوة الحق، السنة 29، العدد 268، مارس 1988م، ص: 218.

وإذا كانت نشأة شعر العرشيات ترتبط في الحقيقة بدرجات متفاوتة بهذه السنوات الثلاث من تاريخنا الحديث، أي 1927 و 1933 و 1934م، فإن الذي يبدو، أن ما قيل في تهنئة المغفور له الملك محمد الخامس بجلوسه على العرش، لا يرتقي - بحسب النصوص الموجودة حالياً - إلى درجة عده بداية لهذا اللون الشعري الجديد الذي له بناء محدد، ومعان معلومة تعبق بمشاعر الوطنية والارتباط المتجدد بين العرش والشعب.

كما أن اشتراك القصائد التي قيلت سنة 1927م، في بعض معانيها الوطنية، مع ما قيل في التهنة بذكرى الجلوس على العرش - وهو ما صار يعرف منذ 1933م بعيد العرش - لا يعني أن نجعل مما نُظّم أواخر سنوات العشرين من القرن العشرين، بداية للعرشيات، لثلاثة أمور: أولها أنه شتان بين الاحتفال بحدث الجلوس على العرش زمن وقوعه، وبين الاحتفال المتجدد في موعد ثابت كل عام بذكرى هذا الجلوس.

أما ثاني هذه الأمور فهو أن قصيدة الاحتفال بالعرش وصاحبه بالصورة التي نجدها ماثلة في العرشيات، لم تكن حاضرة في أذهان الشعراء آنذاك، لأن النظر إلى يوم جلوس السلطان على العرش بوصفه عيداً وطنياً، تتجدد فيه البيعة الشرعية لعاهل البلاد كل عام، إنما جاء نتيجة تطور طبعي في مسار النضال الوطني المشترك بين العرش والشعب ضد الاحتلال، وهذا ما لم يتحقق إلا سنة 1933م، حينما نضجت فكرة الوطنية في أذهان الوطنيين، واتضحت رؤيتهم لواقعهم ومستقبلهم، بعد أن كشف المحتلون عن أنيابهم، وفغروا للأمة المغربية أفواههم، بإصدار الظهير البربري سنة 1930م<sup>21</sup> فظهرت للعيان الحبال التي كانوا يحكيونها للوطن وأهله، وبدت للمغاربة مخططات المحتلين الرامية إلى محو معالم شخصيتهم الحضارية بكل مقوماتها الدينية واللغوية والفكرية والسياسية وغيرها، وإلى إذهاب ريحهم بزرع بذور الفرقة والشقاق بين مكونات المجتمع، وبين الشعب والعرش<sup>22</sup>.

وثالثها، كيف يُبحث عن بداية لشعر العرشيات قبل السنة التي بدأ فيها الاحتفال بعيد العرش؟ خاصة أن مفهوم العرشيات تستمد تسميتها أولاً ومعناها وروحها من الاحتفال بهذا العيد الذي يتفق الجميع بأن بداية الاحتفال به كانت سنة 1933م؟

21 - علقّت جريدة الطان الفرنسية في مقال نشر يوم 27 ماي 1930م على حدث صدور الظهير البربري بقولها: "إنه عمل عظيم جدير أن تهناً عليه فرنسا، فلقد تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الإسلامية. وإنه بصدور هذا الظهير تم للسلطة الفرنسية إبعاد الشرع الإسلامي، وطرد السلطة المخزنية من التحكم بالبلاد." عن: البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933م، أبو بكر القادري، ص: 11.

22 - البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933م، أبو بكر القادري، ص: 12.



لقد كانت الاحتفالات الشعبية بعيد العرش لأول مرة سنة 1933م، ثمرة النضال المشترك للشعب والعرش، واستماتتهما في الدفاع عن حقهما في العيش بحرية وإباء، في ظل العرش العلوي وتحت قيادته، رغما عن المحتلين، لذلك يمكن القول إن ما قيل سنة 1927م في تهنئة المغفور له محمد الخامس لا يعدو أن يكون إرهابات أولية، لم تتضح صورتها وتكتمل فكرتها، إلا مع ما قيل في 1933م، ثم نضجت العرشيات مع 1934م، فصارت لونا شعريا قائما بذاته له خصوصية تميزه عن شعر المديح وعن غيره معجما وبناء، ومعاني وصورا.

ولما كانت العرشيات التي نُظمت في عهد محمد الخامس طيب الله ثراه كثيرة، فيكتفى في هذا المقام بالنماذج التالية لتكون مثالا لغيرها، أولها للشاعر محمد بن اليميني الناصري، قيلت سنة 1933م وفيها<sup>23</sup>:

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| فلتحي يا ملك البلاد مؤيدا | بالله ملكك دائما جذلان      |
| وولي عهدك في ابتهاج دائم  | وكمال أخلاق به تزدان        |
| وليحي شعبك في شرف كامل    | ووجود مولانا لذاك ضمان      |
| وليهن مولانا بعيد جلوسه   | في العرش حيث سما به الإيوان |
| ولتهن أمته وصدر صدوره     | ومن ازدهى بنظامه الديوان    |

ومنها قول الشاعر محمد الحلوي ضمن عرشية له<sup>24</sup>:

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| أبا النصر تم مابدأت فما بقي | لفوزك إلا قاب قوسين أو شبر   |
| فحقق أمانني أمة ضاق ذرعها   | وأرهبها الحامي وأثقلها الأمر |
| تريد حياة تحت تاجك حرة      | وتطلب حقا ليس عن نيله صبر    |
| ستبذل في آمالها كل ما اجتنت | قواها فإن عزت فأرواحها مهر   |

وقول الشاعر محمد العثماني<sup>25</sup>:

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| يا من تبوأ بالجدارة والحجى | عرشا عليه من الجلال لواء |
| جنباته شرع الكتاب وهديه    | وحلاه وحدة أمة وإخاء     |
| ملكته باسم الحق لما شيدت   | أركانـه الأجداد والآباء  |
| وبنت قوائمه على أسس الهدى  | بالمشرفي بناته البسلاء   |

23 - مجلة المغرب، العدد 14، 2 نونبر 1933م، ص: 18. انظر: مفهوم العرشيات عادل بنمنصر، دعوة الحق، السنة 40، العدد 342، ص: 62.

24 - أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص: 155.

25 - نفسه، ص: 156.

## 2 - نقد محمد المختار السوسي<sup>26</sup> لعرشية عبد القادر حسن<sup>27</sup>:

إذا كان الشعر المغربي قد أسهم إسهاما عظيما في إذكاء شعلة النهضة الأدبية المغربية في سنوات الثلاثين من القرن العشرين، وكان لشعر العرشيات المحتفي بذكرى البيعة الشرعية للمغفور له محمد الخامس عند توليه قيادة المغرب في 18 نونبر 1927م، النصيب الأوفر في إغناء المشهد الشعري المغربي بقصائد عديدة، فإن هذا الشعر ما كان له أن يسمو وينمو حتى يتحصل من مجموع نصوصه لون شعري قائم بذاته، يترجم الخصوصية الفكرية والتاريخية المغربية، لولا مواكبة حركة نقدية هادفة له<sup>28</sup>، ألحّت عليه بالتوجيه حتى صار على الصورة التي بلغنا عليها.

وتبعا لذلك، يعد النقادة الأديب محمد المختار السوسي أحد هؤلاء النقاد المغاربة الغير، الذين وجّهوا عنايتهم إلى شعر العرشيات، وسخّروا لنقدها مهاراتهم النقدية، وقدراتهم الوصفية والتحليلية، فخصوا بعضا من نصوصه بنظراتهم النقدية الفاحصة، وتدقيقاتهم العلمية الواضحة الناصحة. لقد أعمل النقادة السوسي نظره النقدي في عرشية الشاعر عبد القادر حسن التي أنشأها على وزن الكامل، احتفالا بعيد عرش سنة 1950م<sup>29</sup>، ومطلعها:

تَفْدِيكُمْ أَرْوَاحُنَا إِجْلَالًا      يَا مَنْ مَلَأَتْ قُلُوبَنَا آمَالًا

26 - علامة وأديب وناقد ومؤرخ سوسي، من أعلام الوطنية البارزين بالمغرب في العصر الحديث، ولد بقرية دوكاير إلغ سنة 1318هـ/1900م، تلقى تعليمه بسوس وبحوز بمراكش وبمدن مراكش وفاس والرباط. نفي مرتين بسبب عمله الوطني، تقلد عدة مناصب سامية بعد الاستقلال، توفي رحمه الله يوم الأحد 17 نونبر 1963م خلفا وراءه عشرات الكتب المؤرخة لمناحي الحياة الحضارية المغربية وديوانا شعريا ضخما ومقالات وخطب ورسائل. انظر ترجمته المفصلة في: الرؤية النقدية عند محمد المختار السوسي بين النظرية والتطبيق، آمنة الراضي، ص: 69 فما بعد. أطروحة جامعية تحت إشراف د محمد الحاتمي، نالت به صاحبه شهادة الدكتوراه في الآداب بميزة مشرف جدا من كلية الآداب بأكادير، نوقشت يوم 12 دجنبر 2013م.

27 - شاعر ووطني مغربي، ولد بمراكش حوالي 1915م، تلقى تعليمه بالجامعة اليوسفية بمدينة، عمل في عهد الاحتلال مدرسا بالمتكرب الإسلامي ثم محاميا شرعيا وكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م. تقلد بعد الاستقلال عدة مهام في السلك الدبلوماسي. توفي سنة 1996م. له ديوانان شعريان: أحلام الفجر، المطبوع سنة 1936م؛ وديوان أغاريد للحرية، يضم ما قاله بعد الاستقلال. انظر معلمة المغرب، 17/5844.

28 - كان الناقد أحمد زياد من أكثر النقاد المغاربة الذين واكبوا النصوص الإبداعية المغربية عامة والعرشيات خاصة بالنقد على صفحات الجرائد والمجلات، غير أن نقده للعرشيات كان "يعني الحكم على رداءته، ويعني محاسبة الشاعر على أخطائه". انظر: نقد الشعر في المغرب الحديث، عبد الجليل ناظم، ص: 52، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1992م.

29 - لا أثر لنص العرشية لا عند نجل النقادة السوسي، الأستاذ عبد الوافي رضا الله، ولا عند الأستاذ عبد السلام الرضواني، الذي أنجز أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه حول: تجليات التجديد في الخطاب الشعري لدى عبد القادر حسن العاصمي، تحت إشراف د. علي المتقي، نوقشت بكلية اللغة العربية بمراكش في 7 مارس 2012م، ولا عند قريبته الأستاذة مليكة العاصمي حسب ما أخبرني به الأستاذ المهدي السعيد عن الأستاذ المتقي مشكورين.

ونشر خلاصة عمله وزبدة تأملاته النقدية في العدد 52 من مجلة رسالة المغرب، المؤرخة في الاثنين 16 جمادى الأولى 1369هـ/ 6 مارس 1950م، ضمن الحلقة الرابعة الأخيرة من مقالته: "في النقد والأدب".

#### أ - دواعي نقد السوسي لعرشية عبد القادر حسن:

ترجع الدوافع التي تترأى وراء نقد السوسي لعرشية عبد القادر حسن إلى:

• دوافع موضوعية: تتجلى فيما يلي:

- تلبية النقادة محمد المختار السوسي دعوة من أسماه الأخ<sup>30</sup>، للإدلاء بشهادته حول الحياة الأدبية بالمغرب سنة 1950م بشكل عام، وحول شعر العرشيات بوجه خاص، وما أنشئ منه احتفالاً بعيد عرش 1950م بوجه أخص. ويظهر ذلك في قول السوسي: "تلقيت منك أيها الأخ أمس، رسالة طافحة بتنديد لاذع لصمتي الطويل إزاء الأدب المغربي، الذي تزعم -وياله من زعم- أن مؤازرته والأخذ بيده، وإرشاده حتى يبلغ أشده، واجب عظيم ملقى على كاهلي وعلى كواهل أمثالي، أحاسب به أمام التاريخ إن لم أقم نحوه بكل ما يمكن، بل أحاسب به في العالم الآخر، يوم يناقش الأدباء والشعراء مناقشة تبيض منها وجه وتسود وجوه. ثم تلزمني -إلزاماً صريحاً لا لجلجلة فيه عن جماعة من إخوان كرام - أن أكتب ما سنع حول ثلاث نقط:

1 - أن أعلن ما يترأى لي من نهضة الأدب المغربي الحاضرة نثراً وشعراً، هل استجمعت كل عناصر الحياة التي يستحق بها الشعر الخلود، أو هناك ما لا يزال ينقصها؟

2 - إلقاء نظرة عامة على شعر عيد العرش، ثم إعلان نظري الخاص في مجموعته، وخصوصاً ما قيل في هذه السنة [أي 1950م]<sup>31</sup>.

- سعي السوسي إلى عرض تطبيق عملي لكيفية نقد النصوص الشعرية، يكون بمثابة درس تطبيقي مرجعي في النقد الشعري، إمعاناً في توضيح تصوراته النقدية وتقريبها إلى المشتغلين بالنقد الأدبي في المغرب، وخاصة الناشئين منهم، وتنبيهها للشعراء إلى ما ينمي أشعارهم ويرفعها، وإلى ما يقصر بها عن تسنم ذرى الإجادة، فقال: "والآن وقد بينا ما عندنا في مقام الانتقاد، آن لنا أن نفي بها التزامنا آنفاً من تناول بعض قصائد العرش بما يسنح لنا. وحين سبق لنا أن لقصيدة عبد القادر

30 - يغلب على ظني أنه صديقه محمد بن العباس القباج.

31 - في النقد والأدب، الحلقة الأولى، رسالة المغرب، العدد 49، السنة 9، الاثنين 25 ربيع الثاني 1369هـ/ 13 فبراير 1950م، ص: 4.



حسن في نظرنا مكانة بين أخواتها العرشية، اخترناها بنفسها لتكون كأطروحة في فن الانتقاد، لنبين بالفعل كيف نرى الانتقاد، وكيف نحسب أن ينظر فيه بتؤدة وملاينة إلى المحاسن وإلى أصدادها في آن واحد. والتمثيل بالأفعال أكثر تأثيراً من ترديد الأقوال"<sup>32</sup>.

لقد كان نقد عرشية عبد القادر حسن جواباً شافياً عن أسئلة كثيرة طرحها النقاد المغاربة في تلك الفترة في مقالاتهم<sup>33</sup> على صفحات الجرائد والمجلات الوطنية، حول مفهوم النقد ومنهجه وعلاقته بالأدب المغربي وبالنهضة الأدبية بالمغرب، يبحثون من خلالها عن أجوبة مقنعة لأسئلتهم، ويعبرون عن حالة الحيرة والتخبط التي يشهدونها بين نموذج نقدي يُعامل فيه الأدباء باستعلاء ظاهر، استناداً إلى لغة نقدية قاسية لا ترى للنقد من معنى إلا إظهار السقطات، مما دفع الأدباء بدورهم إلى الإشاحة بوجههم عن هذا النقد، ويمثل هذا الاتجاه محمد بن العباس القبايج الذي حرم - بسبب لغته اللادعة - الأدب والأدباء المغاربة، من الاستفادة مما جاء فيه. إلى جانب اتجاه آخر يتخذ النقد مطية لكي يغدق على النص المنقود وعلى صاحبه بعبارات المدح والثناء، فيرفعه إلى مرتبة العصمة الظاهرة التي لا يزور الخطأ ساحتها، ويُعرف هذا الاتجاه بالتقريض<sup>34</sup>.

• دوافع ذاتية: ترتبط بشخصية النقادة السوسي، وتتمثل فيما يلي:

- تفاعله الوجداني مع شعر عيد العرش، المعبر عن الترابط الوثيق بين العرش والشعب المغربيين، في مرحلة كان فيها المغاربة أحوج ما يكونون إلى ما يلهم شعثهم، ويوحد صفوفهم، ويجمعهم على كلمة واحدة ليواجهوا المحتلين.

- رغبته في أداء واجبه الحضاري تجاه بلده، بالتعريف بإبداعات أبناء وطنه، ودعمها وتشجيعها، وإخراجها ونشرها، اعترافاً بحقها في الازدهار والانتشار، لتأخذ مكانها ضمن الشعر العربي الحديث، ولتؤدي المهمة الحضارية السامية التي أنشئت من أجلها، وهي إذكاء شعلة الوطنية في الشعب المغربي، وإلهاب حماسه لمقاومة الاحتلال. ذلك أن من شأن تحقيق النقادة السوسي هذا المطلب النبيل، إعادة الاعتبار إلى الإنسان المغربي، واسترجاع ثقته بقدراته الإبداعية عموماً، وفي المجال الأدبي على وجه التحديد، خاصة بعد أن أهملت إنتاجاتهم الأدبية في ما ألفه المشاركة حول الأدب العربي في عصرهم. إن من شأن هذا كله بعث ثقة الإنسان المغربي في نفسه وفي قدراته وطاقاته من رقادها، ونفض أثره قهر وتسلط الاحتلال عنها، حتى يثور على واقعه المرير في ظل الاحتلال،

32 - في النقد والأدب، الحلقة الرابعة، رسالة المغرب، العدد 52، ص: 4.

33 - ساق ذ. عبد الجليل ناظم مختارات من هذه المقالات في: نقد الشعر في المغرب الحديث، ص: 126 فما بعد.

34 - انظر نقد الشعر في المغرب الحديث، ص: 37 فما بعد.

ويفر بعزيمة وإصرار إلى حياة العزة والشموخ ويستعيد أمجاده السالفة، ومركزه الحضاري المرموق، الذي ظل أزمانا طويلة يغدق منه على الإنسانية ما يغني فكرها ويرقي ذوقها.

- حرصه على إسداء النصيحة الأدبية الخالصة لشعراء المغرب المنتجين للعرشيات، حتى ترتقي إبداعاتهم الشعرية، وتبلغ مستوى يليق بالتاريخ الأدبي المغربي العريق، وخصوصا في مجال القول الشعري، ويليق بالوزن التاريخي والوطني للمناسبة التي تقال فيها هذه العرشيات، وهي ذكرى عيد العرش المجيد، ويليق، قبل ذلك كله وبعده، بمن استمد منه العرش هيئته وجلاله، وهو آنذاك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. وقد عبر العلامة محمد المختار السوسي عن هذه الفكرة النقدية الوطنية في مقالته في النقد والأدب فقال: "فيظهر أن الأولى للمتصيين للانتقاد، ألا ينتقدوا إلا بمقدار ريثما تزداد جذور نهضتنا المباركة رسوخا"<sup>35</sup>.

• إعجابه بفن العرشيات لدخوله في مفهومه للشعر الحي البليغ الذي أمد الشعر المغربي بدماء جديدة حين جاء بلون شعري جديد في موضوعه، لم يعرف في الثقافة العربية قبل، فاستحق بذلك أن يكون إحدى مفاخر المغاربة، الذين لم يقفوا عند حدود النسيج على غرار الألوان الشعرية المطروقة في تراثنا الشعري العربي القديم، بل استحدثوا فيه لونا نابعا من واقعهم، يعلن تفرد شخصيتهم الحضارية، ويصدع بهويتهم الأصيلة، وثوابتهم الدينية والوطنية، التي يعد الالتفاف حول العرش العلوي المجيد إحدى أهم سماتها. وفي ذلك قال السوسي بعد سوقه أبياتا من عرشتي الشاعرين محمد الحلوي والصقلي: "ففي وصف هذين الشاعرين يتجلى مقدار تفوق المغرب اليوم في هذا الفن، وكنه الإبداع الذي أملته روعة هذا اليوم على القرائح المتفجرة"<sup>36</sup>. ويقول أيضا: "أما شعر عيد العرش، فإنه لعمرى لم يزل يتسامى من الأفق القريب، حتى حلق في اليوم على أفق يستوقف فيه الأبصار براعة وانسجاما، فدل على ما في المغرب من نبوغ فطري، كان كامنا حتى أتيح له صاحب العرش المفدى، فكهربت همته الأفكار، فإذا بها تشع بروائع خالصة باهرة، فجاءت أقوال ذلك اليوم ملء الأسماح، سكر الأذواق، لتعبيرها عما يخامر كل شعور، ويملا كل فؤاد"<sup>37</sup>.

## ب - منهج نقد العرشية:

يتسم منهج السوسي في نقد عرشية عبد القادر حسن بجمللة خصائص أهمها:

35 - الحلقة الثانية، رسالة المغرب، العدد 50، السنة 9، الاثنين 2 جمادى الأولى 1369هـ/20 فبراير 1950م، ص:4.

36 - في النقد والأدب، الحلقة الأولى، ص:4.

37 - في النقد والأدب، الحلقة الأولى، رسالة المغرب، ص:4.

• ابتداء النقد باستعراض مكان من الجودة في القصيدة:

لقد كان السوسي وفيما- وهو ينقد العرشية- لتصوراته النقدية النظرية التي ترى في النقد الأدبي فرصة لإظهار ما يتميز به النص المنقود من عناصر الجودة وعلامات البراعة، تقديرا لما بذله صاحبه من جهد حتى استحق عمله الإعجاب والثناء، وتشجيعا له على مواصلة الإبداع الأدبي، قبل أن يكون النقد مناسبة لعرض الأخطاء. وهو ما جعل النقد الأدبي -في جوهره- عند السوسي نصحا أدبيا يسديه بكل محبة وعطف وحنو، ناقدٌ غيور يأبى أن يرى في إنتاجات أبناء وطنه ما لا يتناسب مع باعهم الأدبي الطويل، وتاريخهم الحضاري المجد الأثيل، خاصة إذا علمنا أن النقد الأدبي عند السوسي، كان مبنيا على رؤية إصلاحية ترى فيه فرصة لإصلاح المشهد الأدبي المغربي، بتطوير إنتاج الأدباء المغاربة وتجويده، تناغما مع جوهر فكر النهضة في المغرب في تلك المرحلة وهو الإصلاح، الذي كان الهدف الأسمى لكل الأعمال النقدية لمكونات الحياة المغربية آنذاك<sup>38</sup>. ويبدو هذا التصور النقدي<sup>39</sup> لمحمد المختار السوسي بجلاء في قوله: "هذا نظرنا فيما هو الانتقاد، وفي جدواه، نعلمه بصراحة لعله ينير السبيل، ويكون إلى إدراك كنه الانتقاد أهدي دليل. على أن هناك ظاهرة من شعرائنا تحملنا على أن نقول إن التشجيع هو أفضل شاحذ، وأكبر حافز، فقد لمسنا مرارا من بعض الناشئة ركودا حين يحسّون بميزان القسط يوضع، ثم لا نكاد نستنهضهم ليستوحوا أقلامهم ثانيا إلا بعد التي واللتيا، فيظهر أن الأولى للمتصبيين للانتقاد، أن لا ينتقدوا إلا بمقدار، ريثما ترداد جذور نهضتنا المباركة رسوخا. على أن الانتقاد ينبغي أن لا يفهم منه أنه مقصور فقط على ذكر السقطات، والتنبيه على العورات، بل يجب أن يعلم أن من أبرز ماهياته، الإشادة بالمحاسن وإبرازها في أجلى مظاهرها"<sup>40</sup>.

وتبعاً لذلك، استهل السوسي نظره النقدي في العرشية، بالثناء على القصيدة التي بلغ به الإعجاب بها أن اختارها من بين العرشيات التي قيلت في تلك السنة لتكون مادة لعمله النقدي، فقال: "و حين سبق لنا أن لقصيدة عبد القادر حسن في نظرنا مكانة بين أخواتها العرشية، اخترناها بنفسها لتكون كأطروحة في فن الانتقاد"<sup>41</sup>.

38 - نقد الشعر في المغرب الحديث، ص: 42.

39 - انظر حول التصور النقدي الشامل للسوسي: الرؤية النقدية عند محمد المختار السوسي بين التنظير والتطبيق، لآمنة الراضي، ومحمد المختار السوسي دراسة لشخصيته وشعره، د. محمد خليل، ص: 250 فما بعد، مؤسسة بشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء.

40 - في النقد والأدب، الحلقة الثانية، رسالة المغرب، العدد 50، ص: 4.

41 - في النقد والأدب، الحلقة الرابعة.



وبادر باستعراض مكامن الجودة والبراعة فيها، وقد حددها في:

- وحدة موضوعها<sup>42</sup> الذي ينتظم جميع أجزائها، وهو التعبير عن آمال ومطامح العرش والشعب المشتركة، تعبيرا ينبئ بمستقبل واعد مشرق.
- بهاء أسلوبها الذي يعبق بالمشاعر الجياشة والعواطف المتقدمة.
- تناغم فقرات القصيدة واتساقها.
- اعتماد الشاعر الحديث بنون العظمة وبضمير المتكلم.
- اشتغال القصيدة على أبيات مستقلة تتضمن حكما.
- سريان نفس الشاعر في القصيدة كلها من أولها إلى آخرها.
- جودة مطلع القصيدة وجدة المعنى المعبر عنه فيها.

حتى إذا أتى النقاد السوسي على مواطن الإجابة في العرشية، انتقل -بعد ذلك- إلى التنبيه إلى ما حاد فيه الشاعر عن نهج الشعر الجيد البليغ، بكلام هادئ هين لين يكشف أن مراد السوسي من عرض سلبيات القصيدة، لم يكن التنقيص منها ولا من مبدعها، وإنما هدفه هو نصح الشاعر وأمثاله من شعراء العرشيات إلى ما يجود أشعارهم لتكون في مستوى العيد الذي تُنشأ لأجله. وقد قدم لهذا القسم من نقده بالقول: "هذا ما في القصيدة من المحاسن، نبهنا على البعض ليكون نموذجا لما لم يتسع له المقام، وأما ما تؤاخذ به القصيدة، فإن ذلك لا يعد إلا في الأطراف، لا في الأعضاء الرئيسية [...] نعم إن الكمال التام لا يكون إلا في سلامة كل الأطراف، فقد رأينا سلامة المجموع من قصيدتنا، فلنلق على أطرافها نظرة أخرى لنرى ما وراء الأكمة"<sup>43</sup>.

اعتماد مستويين من النقد:

ميز السوسي وهو يحيل نظره النقدي الفاحص في العرشية بين مستويين:

- مستوى جذع القصيدة، وجوهرها الذي لا تقوم لها قائمة إلا به، إذ عليه مدار مفهوم الشعر البليغ عند السوسي، وقد حدده -كما مر قريبا- في مناسبة موضوع القصيدة لعيد العرش، ووحدته،

42 - تعد وحدة موضوع القصيدة عند النقاد المغاربة أحد العناصر المؤسسة لوحدة النص الشعري الجديد في عصر النهضة، الناسخ لمعمار، القصيدة التقليدية المؤلف من عدة مقاطع ذات موضوعات متباينة. انظر: نقد الشعر في المغرب الحديث، ص: 119.

43 - في النقد والأدب، الحلقة الرابعة.

وشغله جميع فقراتها، إلى جانب ترجمتها أحاسيس الشاعر ومشاعره الجياشة ترجمة أمينة تصل حرارتها إلى وجدان المتلقي، فتنبطع فيه أحاسيس الشاعر وتؤثر فيه. بحيث يؤدي أي خلل في هذا المستوى من القصيدة إلى الإخلال بمفهوم القصيدة.

• مستوى ألفاظ القصيدة ومعانيها، وقد شبه السوسي مكانها من القصيدة بمكان الأطراف من الكائنات الحية. فالأطراف وإن كانت داخلة في تمام ماهية هذه الكائنات، إلا أن الخلل فيها أقل ضررا على القصيدة.

وبذلك ابتدأ السوسي نقد العرشية بالنظر في عموم القصيدة، وفق العناصر المكونة لجذعها وجوهرها عند السوسي، ثم نظر في ما أسماه أطراف القصيدة فقال يصف عمله النقدي ذلك: "وأما ما تؤاخذ به القصيدة فإن ذلك لا يعد إلا في الأطراف لا في الأعضاء الرئيسية، لأن القصيدة لا تعتبر عند النقاد الكبار إلا بروح مجموعها، ووحدة موضوعها وكونها مرآة للشعور الوهاج الذي يلتهب به فكر الشاعر. فمتى قرأ قارئ قصيدة فأحس بذلك الشعور بوساطة القصيدة، فإن قائلها شاعر حقا. وبعد أن يتوفر هذا في القصيدة، لا يأتي النظر في الألفاظ ولا في المعاني الزائدة إلا تبعا"<sup>44</sup>.

• التوسل بعدة آليات نقدية:

عمل السوسي من منطلق غيرته الشديدة على الأدب والأدباء المغاربة، ورغبته الصادقة في عرض تصوره للنقد الأدبي الهادف، إرشادا للنقاد المغاربة إلى ما ينبغي أن يجيء عليه نقدهم لأشعار أبناء وطنهم من جهة، وتوجيها للشعراء حتى ترتقي إبداعاتهم، على استعمال مجموعة من الآليات النقدية التي أسعفت السوسي إسعافا ظاهرا في الإحاطة بجوانب العرشية تمحيصا وتدقيقا، ومنها:

• الاستحسان، فقد أعلن السوسي إعجابه بالقصيدة المنقودة من عدة نواح، كما يبدو من قوله في مطلع القصيدة: "وأول ما وفق فيه الشاعر هذا المطلع الفذ:

تفديكم أرواحنا إجلالا  
يا من ملأت قلوبنا آمالا

فلعل شاعرا من شعرائنا في هذه السنة لم يوفق إلى مثل هذا المطلع، وإن كان غالب مطالع قصائدهم حسنا مقبولا. فالشعر شعر عيد العرش، والعرش ينتظر بلسان الحال من الأمة الالتفاف

حول، وإعلان الولاء بكل إجلال، والتضحية التامة، ثم الامتنان والاعتراف بالجميل إزاء كل ما يسديه العرش من السهر على مصالح الأمة.

هذا هو مقتضى الحال، فهل يوجد مطلع قصيدة من أخوات هذه القصيدة يتضمن كل ذلك غير هذا المطلع الفذ، المصوغ أحسن صوغ حتى كأنما أفرغ في قالب الإجادة إفراغا لا يتفق للإنسان إلا إلهاما؟<sup>45</sup>، كما صرح - وهو يتحدث عن عرشيات 1950م - بإعجابه بالمعاني الرائقة المعبر عنها في هذه العرشية، معان تجمع بين عظمة الذكرى وشدة الانفعال بها والتأثر بدلالاتها الروحية والوطنية، وبين التلاحم الوثيق بين العرش والشعب. فأثنى على حسن اختيار الشاعر لمعانيه، وحمد براعته في إيصالها إلى متلقيه ومهارته في التأثير فيه فقال: "وأما الشاعر الحي عبد القادر حسن - نابغة مراکش الجديد - فقد انتشرت المعاني من كل جهة على يراعه، فيصور كما يرسم الرسام البارع روضا أريضا تفتحت أزهاره، وفاءت ظلاله، واطردت جداوله، فيسوق إلينا عواطف وآمالا نحس بها كلنا غاية الإحساس، ويجلو أماننا حكما وآيات هي أسس الرقي، وعناصر نهوض الأمم. فاسمعه إذ يقول في خطاب ليوم العرش، محيي الآمال وباعث الهمم وموقظ الشعور:

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| يا يوم عيد العرش أنت لروحنا | قبس يزيد لهيها إشعالا     |
| نحيا بيومك لحظة علوية       | تحيي القلوب وتنعش الآمالا |
| إننا لتأخذنا بيومك هزة      | فنميد منها عزة وجلالا     |
| فنعيش في ماض تعج سماؤه      | بكواكب وبأنجم تتلالا      |
| وإذا تملى الشعب من ماضيه ثم | م مشى لغايته حثيانا       |
| ما سار شعب صادق في سيره     | إلا وينصره القدير تعال    |
| ما المجد إلا الكد فلنأخذ به | حتى ترى الدنيا لنا إقبالا |

ويقول في امتزاج العرش والشعب في ذلك اليوم أرواحا وأشباحا، وآمالا وآمالا:

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| ما الملك إلا أن يكون كما نرى | ملك يريد وأمة تتعالى     |
| وإذا يكون العرش حامل راية    | فمن المروءة أن تموت نضال |



ويقول في أثر تعليم العرش في النشء:

من يغترس في النشء علماً نافعا      يخلق شباباً طافحاً فعلاً  
إن الشباب هو الحياة إذا يكن      لا خائراً فيها ولا مكسلاً

[...] والقصيدة كلها زاخرة كما ترى عواطف واندفاعات وضرب أمثال. فقد وفق شاعرنا حين صاغها ذلك الصوغ البديع، فأفاض عليها من أفكاره، وحيوية شعوره ما تكاد تنفرد به من بين قصائد هذه السنة<sup>46</sup>.

• الاستهجان، ومثاله قول السوسي ينبه إلى ضعف سبك بعض أبيات العرشية: "فهناك ضعف في بعض الأحيان في السبك"<sup>47</sup>.

• التصحيح: قرن السوسي الذي يرى النقد الأدبي وسيلة لإسداء النصيحة للأدباء، وإرشادهم إلى ما يرقى إبداعاتهم - في غالب نقداًته للعرشية - آلية الاستهجان بآلية نقدية أخرى تحقق مأموله من نقد العرشية وهي آلية التصحيح. فنراه ما إن يضع يده على مكمن خلل أو موضع نقص في القصيدة، حتى يسارع إلى اقتراح تصويبات تتجاوز ذلك العوار، وتسد تلك الثلمة في بنائها، ومن ذلك قوله: "ومما يلفت النظر أيضاً قوله:

وبعثت فينا نخوة مضرية      وضربت فينا للصعود مثالا

فاستعمل مثالا على غير معناه اللغوي، ومقصود الشاعر المثل، لأن ضرب المثل هو المعروف لا ضرب المثل. فلو كان البيت هكذا:

وبعثت فينا نخوة مضرية      ضربت بنا للعالم الأمثالا

لاستقام البيت، ولكان كله عامراً.

وقوله: "واقراً أيضاً مع ذلك المطلع المتقدم:

تفديكم أرواحنا إجلالاً      يا من ملأت قلوبنا آمالاً  
وغمرتها بالنور حتى أشرققت      والحب، فاكتسبت هدى وجمالاً

46 - في النقد والأدب، الحلقة الثانية، رسالة المغرب، العدد 50، ص: 4.

47 - في النقد والأدب، الحلقة الرابعة.

فهذا البيت منغلق المعنى، وبعض كلماته ناب عن موقعه، ولو قيل:

وغمرتها بالنور حتى أشرقـت      بالحـب فازدادت سنى وجمالـا

لانسجم البيت ولظهر المعنى المراد."

• الصدور عن أخلاق نقدية عالية:

آمن السوسي أن النقد الأدبي البناء لا يمكن أن يؤتي أكله، إلا إذا كان قائما على أخلاق علمية عالية، يصدر عنها الناقد الحصيف، ويبني عليها نقداً، فقال: "والانتقاد - كما نرى - لازم أكيد، ما لازم سواء السبيل، يصدر عن علم ويورد عن احترام. لا يجرح عاطفة، ولا يمس كرامة، [...] ثم لا يؤدي هذا الانتقاد المطلوب غاية الأداء إلا من تحلى بالإنصاف لنفسه ولغيره، وتحري الحق كما يراه"<sup>48</sup>.

وتبعاً لذلك، يسلم التأمل في نقد محمد المختار السوسي لعرشية عبد القادر حسن، إلى الاقتناع بإخلاص السوسي لهذا المبدأ، حين كان نقده تطبيقاً عملياً لأخلاق النقد الأدبي، التي تتجلى - من ضمن ما تتجلى فيه - في:

• التماس العذر للمخطئين من الشعراء: فقد عذر السوسي الشاعر عبد القادر حسن في بعض ما كبا فيه جواده في العرشية، وأرجع ذلك إلى طول القصيدة الواقعة في سبعين بيتاً، إذ من المعلوم أنه تصعب على الأديب المحافظة على نفسه عالياً على امتداد القصائد الطوال<sup>49</sup>، يقول السوسي: "وقعنا في ثنايا القصيدة على ما لا يسلم منه أكثر تبلغ قصيدته سبعين بيتاً"<sup>50</sup>.

• اعتماد لغة علمية هادئة ومهذبة: فقد وظف السوسي - وهو ينقد العرشية - لغة نقدية راقية لا مكان فيها للثلب والتنقيص، حتى عندما يذكر المواطن التي أخطأ فيها الشاعر، في الوقت الذي قد يجد فيه الآخرون فرصة لذم الشاعر أو جرح مشاعره.

48 - في النقد والأدب، الحلقة الثانية.

49 - وقد وقع في هذا الأمر ابن رشيق نفسه، في نونية له، نبه ذ. عبد الله بن أحمد الفيفي إلى البون الشاسع بين نفسه الشعري في أولها عنه في آخرها. انظر شعر النقاد، استقراء وصفي للنموذج، ص: 83. عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2011م.

50 - في النقد والأدب، الحلقة الرابعة.

وتظهر طبيعة اللغة النقدية الهادئة والرصينة للنقادة محمد المختار السوسي في ما سطره في نقده للعرشية من نظرات نقدية، كما يظهر - على سبيل المثال لا الحصر - من قوله: " كما أن هناك بعض إسهاب حتى لا يستكمل المعنى المقصود إلا في بيتين. فاقرأ ما يلي:

إنا افتقدنا اليوم إحساساتنا  
فإذا بها لما تعرنا بالـ  
مأخوذة بالعرش قد فנית به  
وثوى بها فسمت هوى وكمالا

وربما كان هذان البيتان ينفردان وحدهما بمثل هذا النسج المهلهل بين كل أبيات القصيدة".

#### خلاصات واستنتاجات:

يكتسب شعر العرشيات أهميته في المغرب، من ظروف نشأته منذ 1933م في عهد محمد الخامس طيب الله ثراه، ومن عوامل تطوره وازدهاره، وعلى رأسها وطنية الشعراء الذين كانوا - وما يزالون - يتسابقون إلى البوح بما تكنه صدورهم لوطنهم، ولملكهم، ولعرشهم العلوي المجيد، من ولاء وتعلق دائمين، كانت العرشيات وسيلتهم لتجديده كلما حلت ذكرى جلوس محمد الخامس على العرش. ويرافق هؤلاء الشعراء في مسيرتهم الإبداعية، طبقة النقاد الغيور، الذين لا يقلون عنهم وطنية وغيره على إنتاجات أبناء وطنهم.

ولقد كان النقادة الوطني الغيور محمد المختار السوسي، أحد أبرز هؤلاء النقاد الذين واکبوا شعر العرشيات بنقداتهم، فقد أقبل بهمة عالية على عرشية عبد القادر حسن تقويها وتصحيحها، وعلى صاحبها نصحا هادئا وتوجيها هادفا مما يبين كيف كانت العرشيات وما تزال عنوانا لوحدة الشعب المغربي وتلاحم أوصاله، إذ هي نتاج تلاقح وتعاون جميع مكوناته، بدءا بشخصية الملك الذي ارتبطت العرشيات بالاحتفال بذكرى جلوسه على العرش، وما يرمز إليه من قيادة شعبه إلى ما فيه خيره وصلاحه، ومرورا بعموم الشعب الذي التف حول قائده، وانتزع - بإصراره - حقه في إعلان ولائه الدائم لملكه، إصرارا أجبر المحتلين على ترسيم الاحتفال بعيد العرش منذ 1934م. وانتهاء بطبقتي الشعراء والنقاد، فقد سخر الشعراء قدراتهم التعبيرية ليعبروا أصالة عن أنفسهم، ونيابة عن أبناء شعبهم، بتعلقهم الدائم بأهداب العرش العلوي المجيد، وبآمالهم بيزوغ فجر الحرية والاعتناق على ربوع وطنهم. ورعى النقاد هذا الشعر وواكبوا صدوره بتشجيعاتهم وتصويباتهم، حتى بلغ من النضج ما لا يزال يطلع علينا اليوم بمناسبة عيد العرش، من عرشيات طنانة من مجلة دعوة الحق وأمثالها.



وإلى ذلك، يكتسي نقد العلامة محمد المختار السوسي لعرشية عبد القادر حسن، قيمة كبرى تاريخية لأنه يوثق لمواكبة العمل النقدي المغربي عامة لإنتاج القصائد العرشية في مرحلة حاسمة من تاريخ المغرب الحديث، مواكبة أخذت فيها بيد الشعراء. ويحظى بقيمة توثيقية تتمثل في احتفاظه بسبعة عشر بيتا من العرشية، إلى جانب أبيات من قصائد عرشية أخرى للحلوي والصقلي والعثماني وعبد الله كوثر الروداني وغيرهم، وقيمة علمية نقدية، مردها إلى كون نقد هذه العرشية درسا تطبيقيا للمنهج الذي يرتضيه السوسي لنقد الشعر المغربي عموما، وشعر عيد العرش بوجه خاص، مما من شأنه إرشاد النقاد المغاربة إلى الطريقة المثلى الناجعة للنقد الأدبي، المبنية على العلم الصحيح والخلق القويم، وتذكيرهم بواجبهم الوطني والعلمي نحو الشعر والشعراء من نصح وإرشاد وتوجيه.

ويضاف إلى هذه القيم كلها، قيمة أخرى وطنية إصلاحية تتجلى في تجسيد نقد هذه العرشية الرؤية الإصلاحية التي بنى عليها السوسي عمله النقدي عموما، ونقد هذه العرشية على وجه الخصوص، حين تجاوز المفهوم الذي كان سائدا في الساحة النقدية المغربية، الذي كان ينظر إلى النقد بوصفه وسيلة لإظهار السقطات وتصيد الزلات وتتبع العثرات في أحيان كثيرة، أو فرصة للمدح فقط، فأطل علينا - رحمه الله - من عمله هذا في نقد العرشية بتصوير جديد يسعى إلى تشجيع الشاعر والتنويه بما أجاد فيه، رفعا لروح المعنوية، وإمعانا في تشجيعه على متابعة مساره الإبداعي، خاصة ما اتصل منه بشعر العرشيات، الذي اكتسى في تلك الفترة، وفي تلك السنة، أهمية كبرى في مسار النضال الوطني من أجل الاستقلال. كما كان السوسي ينبه الشاعر بحنو إلى ما أخطأ فيه بلغة نقدية هادئة، تتصوع بأريج الأخلاق النقدية العالية، من احترام لشخص الشاعر، وإنصاف وغيرها.

ومن كل ما سبق نقول مطمئنين، إن عناية السوسي بنقد قصيدة عرشية دون غيرها من القصائد المغربية المنتمية إلى أغراض شعرية أخرى، ينطوي على أكثر من دلالة، فهو تعبير عن إعجاب هذا الناقد الوطني بهذا اللون الشعري، وتشجيع له، ودعوة ضمينة غير مباشرة للشعراء ليواصلوا تسخير شاعريتهم لإنتاج المزيد من العرشيات، التي تدل على الوحدة والتلاحم الدائمين بين العرش والشعب، والتضحية المتبادلة بينهما.

وقد حافظ المغاربة على جذوة هذا التلاحم وتلك التضحية طيلة مراحل التاريخ المغربي الحديث إلى يومنا هذا، إذ ما يزال شعراؤنا المفلقون يشنفون أسماعنا بإبداعاتهم، كلما حلت هذه الذكرى الغالية في عهد ملكنا الهمام، جلالة الملك محمد السادس أدام الله ملكه، وأعلى قدره.

# مفالات عامة





## ورقة عن إصلاح التعليم الديني بالمدرسة المغربية

### -الجزء 2-

## مقترح برنامج إصلاحي للتعليم الديني بالمدرسة المغربية

ذ. مصطفى بنحمزة

رئيس المجلس العلمي المحلي، بوجدة

أولاً: برنامج إصلاح التعليم العمومي والخاص.

إن بلاغ الديوان الملكي المعبر عن إرادة إمامة المؤمنين ورؤيتها للإصلاح قد تضمن محاور يجب أن تعتبر معالم وحدودا يجب أن لا يحيد عنها أي إصلاح مقترح، والمتعين هو تحليل تلك المضامين وأجراتها وتفريغها في مجزوءات تربوية قابلة للتنفيذ، وهاته المضامين التي تمثل معالم ومرتكزات يقوم عليها الإصلاح هي:

#### 1. المرتكز الأول:

إعطاء أهمية أكبر للقيم الإسلامية السمحة، وتنزيلها ضمن عناوين دراسية.

#### 2. المرتكز الثاني:

الاستناد إلى المذهب المالكي في ثلاثة من جوانبه هي: سنيته ووسطيته واعتداله، وإبراز كل الأبواب التي تمثل هذه الجوانب.

#### 3. المرتكز الثالث:

إبراز قيم الإسلام في التسامح والتعايش مع مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية. وتحت كل مرتكز عناوين صغرى تنتمي إليه وتتضافر مجتمعة في تكوين مضمونه العام.

## المرتکز الأول:

إيلاء أهمية أكبر للتربية على القيم الإسلامية السمحة.

إن معالجة هذا المرتکز تقتضي دراسة ثلاثة عناصر:

أ. مفهوم القيم وسمتها في المنظومة التربوية الإسلامية.

ب. استعراض جملة من القيم التي تكتسي أولوية بحكم الواقع المجتمعي.

ج. تشخيص معنى السباحة في الشريعة الإسلامية كما نظر لها علماء الشريعة.

## أولاً: الحديث عن القيم:

إن حديث بلاغ الديوان الملكي عن ضرورة إيلاء أهمية أكبر للقيم الإسلامية السمحة، هو لفت نظر إلى الفراغ الذي طالما عانت منه المنظومة التربوية لما قصرت في إدماج القيم في كثير من المجزئات التعليمية في المواد التي تتيح فرصة كبيرة لإبراز القيم، التي يسعى الإسلام إلى تركيزها في نفوس الأفراد، وفي واقع المجتمعات.

والقيم التي لفت البلاغ إليها النظر هي روح التربية ولبها وخلاصتها، لأنها قيم مباشرة تتعامل مع ذات الإنسان، وهي يقينية ومحيدة بسبب أن مصدرها إلهي، وهي لذلك لا تنتصر لفصيل مجتمعي ضد آخر، والواجب أن تكون المواد الدراسية كلها مداخل مؤدية إليها.

والقيم التي تنسب إلى الإسلام هي القيم التي استمدت من نصوص الكتاب والسنة باعتبارهما مصدري الاستقاء في الإسلام، مثلما استمدت منهما العقيدة والرؤية الوجودية للكون، وباقي أحكام الشريعة.

وإيلاء الأهمية يجب أن يتشخص في إجراءات عملية، من أهمها تكثيف الحصص الدراسية، والرفع من معاملاتهما، واحتسابها في نجاح التلميذ حتى لا يكون وجودها في المقرر الدراسي شكلياً غير مؤثر في نتائج التمدرس.

إن الإسلام يقيم بناءه القيمي على نظرية تضافر القيم وتوازنها، لأن القيمة الواحدة غير قادرة على ضبط حركة المجتمع حتى لا يطغى توجه معين على غيره، فقيمة الحرية مثلاً مقترنة بقيمة المسؤولية عموماً، وبالمسؤولية عن سلامة المجتمع تحديداً.

ولا تستمد أي قيمة مشروعيتها الدينية إلا إذا أمكن إرجاعها إلى نصوص الكتاب والسنة، لأن ما هو ديني إنما يعبر عن مراد الله من البشر، وليس معبرا عن مراد البشر من البشر. وبالإمكان تحديد جملة من القيم التي أصبح الواقع الاجتماعي يستدعي مزيد اهتمام بها، وتعريف بتمثلاتها وآثارها الاجتماعية.

### من تلك القيم:

- قيمة العبادة التي يجب تصريفها إلى قيم دينية وأخرى دنيوية، ليكون التمسك بها نوعا من التدين المتوازن.

- قيمة الانتماء للوطن، والعمل من أجل رقيه، والدفاع عن مصالحه.

- قيمة الانتماء للأمة الإسلامية في مزاجية بينها وبين قيمة الانتماء للوطن.

- قيمة الانصهار في الجماعة والانضباط لها وعدم الشذوذ عنها.

- قيمة الفعل التطوعي المعبر عن الانتماء العملي للجماعة في نطاق أداء الواجب الكفائي.

- قيمة تحقيق أمن الجماعة والحفاظ عليه.

- قيمة المسؤولية والالتزام والانضباط في المواقف.

- قيمة الاحترام الطوعي للقوانين الضابطة للسلوك الاجتماعي.

- قيمة المقابلة بين الحق والواجب.

- قيمة المساواة بين الناس وبين الجنسين، مع استحضارها في أنواع من التميز التشريعي التي أولاهها الإسلام المرأة.

- قيمة الجودة والإتقان في العمل وأداء الواجب.

- قيمة الرفق ونبد العنف في اللفظ وفي السلوك.

- قيمة العدل في التعامل مع الغير.

- قيمة العدل في الحياة الأسرية بين الأزواج ومع الأصول والفروع والحواشي والأقارب.

- قيمة العدل في تقدير الأشياء ووزنها.



- قيمة العدل في المواقف وفي الأقوال، ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ الأنعام الآية 153.
- قيمة العدل في العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين، والمشتغلين والمشغلين، وفي المؤسسات التعليمية.
- قيمة العدل والإنصاف مع المخالفين، ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾<sup>1</sup>.
- قيمة احترام الرأي الآخر، والمجادلة بالتي هي أحسن.
- قيمة الصبر على الغير، وتحمل التصرفات غير اللائقة.
- قيمة الوفاء للأهل وللوطن وللأصدقاء وللمبادئ.
- قيمة الصدق في القول وفي الموقف.
- قيمة احترام حقوق الإنسان، انطلاقاً من تصنيف المصادر الإسلامية للحقوق إلى حقوق لله، وحقوق للعباد خالصة أو مشتركة.
- قيمة الإحساس بالجمال المادي والمعنوي في الطبيعة وفي الأخلاق والسلوك.
- قيمة احترام البيئة وحماية المجال من خلال استعراض أحكام المياه، ونظرية حريم الأنهار والأشجار والمدن، ومن خلال استعراض أحكام الأهوية والأدخنة، ومن خلال استعراض أحكام البناء، ومن خلال استعراض أحكام الصيد وحماية الحيوان.
- قيمة احترام حقوق الإنسان.
- الحقوق الأساسية للإنسان من خلال دراسة الكليات الخمس:
  1. حق الإنسان في الحياة، وحماية الإسلام للحق في الحياة.
  2. حق الإنسان في الصحة الجيدة.
  3. حق الإنسان في التفكير والتأمل، وحماية عقله من كل ما يعطله من المخدرات المادية والمعنوية.

1 - سورة المائدة، الآية: 8.

4. حق الإنسان في امتلاك الثروة وتنميتها في نطاق الحلال.

5. حق الإنسان في الكرامة وحفظ العرض.

6. حق الإنسان في تكوين الأسرة والاستمتاع بالنسل.

الحقوق الخاصة.

حقوق الأزواج على بعضهم.

حقوق الأبناء على الآباء، ومنها حقوق الأطفال.

حقوق الآباء على الأبناء ومنها: حقوق العجزة والمسنين.

حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.

حقوق العمال والمستخدمين.

حقوق أرباب العمل والمشغلين.

حقوق الجوار بين الأفراد وبين الدول الإسلامية وغيرها.

ثانيا: الحديث عن السباحة:

لقد تحدثت البلاغ عن ضرورة تناول مفهوم السباحة ضمن الحديث عن القيم، والمتعين أن تضبط السباحة حتى لا تظل مفهوما فضفاضاً قد لا يعني أي شيء.

والسباحة كما يجب أن تعرف هي تلك التي عرضت لها المصادر الإسلامية، ومنها كتب مقاصد الشريعة على الأخص.

والسباحة هي ترك الغلو والتشدد والتنطع في الدين، وهي مستمدة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون قالها ثلاثاً"<sup>2</sup>، ومن قوله عليه السلام: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق"<sup>3</sup>.

والأبواب التي تتمثل فيها السباحة كما يجب أن تدرس هي:

2 - صحيح مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون.

3 - مسند الإمام أحمد بن حنبل 199/3 دار الكتب العلمية بيروت.

- باب اليسر ورفع الحرج في الشريعة، من خلال دراسة نظرية التكليف، وعدم التكليف بما لا يطاق.

- مظاهر رفع المشقة والتضييق، وإقرار الرخص في الكتب الأصولية.

- باب ابتناء الشريعة على الفطرة كما هو محرر في كتب المقاصد.

- باب الخروج من الخلاف حرصا على جمع الكلمة.

مبحث تحقيق معنى البدعة كما حررها الإمام الشاطبي.

باب مشروعية الاختلاف.

باب التصويب الفقهي، وأن كل مجتهد مصيب.

باب تغير الأحكام بتغير الأزمان والأحوال

باب السياسة الشرعية.

باب حكم الحاكم الذي يرفع الخلاف ويحسم النزاع.

المرتكز الثاني:

تقديم المذهب المالكي في سنته واعتداله.

إن المذهب المالكي هو امتداد لمذهب سني في عقيدته، ومدني في فقهه، تمتد جذوره إلى فتاوى عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وإلى فقهاء المدينة، وقد أخذ به المغاربة بعد أن عرفوا مذهب أبي حنيفة والأوزاعي، وقد وجدوا فيه شقا عقديا يتمثل في رفض البدع العقدية التي أسست للطائفية والنزاع وأضررت بالمسلمين، ووجد المغاربة في المذهب المالكي مرونة كبيرة لأنه يجمع بين الأخذ بالنص وبين تعقله وفهمه، كما وجدوا فيه أنه يقوم على أصول مرنة حققت قدرا غير يسير من التسامح.

ومن أجل استبانة سنية المذهب المالكي ووسطيته واعتداله يمكن تدريس القضايا التالية:

- نبذة عن المنشأ السني للمذهب، وكونه استرسالا وامتدادا لفقه أهل المدينة.

- تمسك مالك بالسنة النبوية وتأدبه مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.



- نبذة عن موطأ مالك وعناية المغاربة بروايته وشرحه.
- موقف مالك من البدع العقدية، وحماية المذهب للجهات التي ساد فيها من التمزق والطائفية.
- موقف فقهاء المذهب من الصحابة وما يجب لهم من احترام وتوقير.
- من الأصول والقواعد التي تحقق المرونة والتسامح بين المسلمين أصل دفع الضرر وجلب المصلحة وضمه قواعد كثيرة منها قاعدة:
  - المشقة تجلب التيسير.
  - قاعدة الأمر إذا ضاق اتسع.
  - لا ضرر ولا ضرار.
  - الضرر يزال.
  - الضرورات تبيح المحظورات.
  - الضرر لا يزال بمثله.
  - يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام.
  - الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف.
  - درء المفسد أولى من جلب المصالح.
  - الضرر يدفع بقدر الإمكان.
  - الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة أو خاصة.
- ومن القواعد المالكية التي أحدثت تسامحا بين المسلمين قول مالك بأن كل مجتهد في الفروع مصيب، على أساس أن الحق واحد لكنه غير معلوم، والكل مثاب سواء أصاب ذلك الحق المعين أو أخطأه.
- ومن الأصول المالكية التي أحدثت تسامحا كبيرا.

- أصل مراعاة الخلاف.

- أصل الخروج من الخلاف خير من الوقوع فيه.

المرتکز الثالث:

إشاعة روح التسامح والتعايش مع الثقافات والحضارات الإنسانية.

إن تحقيق هذا المبتغى يتطلب تجلية الموقف الإسلامي الحقيقي من المخالفين، وذلك بدراسة القضايا ذات الصلة:

- موقف القرآن الكريم من قضية الاختلاف، وأن ذلك من مشيئة الله في الناس. ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾<sup>4</sup>. ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾<sup>5</sup>.

- اعتبار الإسلام اختلاف الناس آية من آيات الخلق. ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾<sup>6</sup>.

- تقديم موقف الإسلام لصورة مشرقة عن النبوات السابقة.

- دفاع القرآن عن الأنبياء، وتبرئتهم مما ألصق بهم.

- نهي القرآن عن الإساءة إلى أي نبي من الأنبياء. ﴿ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾<sup>7</sup>. ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة﴾<sup>8</sup>.

- إدراج القرآن الإيمان بكل النبوات ضمن مكون الإيمان الحقيقي. ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾<sup>9</sup>.

- تقرير الإسلام لمبدأ العصمة والبراءة من النقص وصفا لجميع الأنبياء.

4 - سورة هود، الآية: 118.

5 - سورة يونس، الآية: 99.

6 - سورة هود، الآية: 118.

7 - سورة الأحزاب، الآية: 69.

8 - سورة المائدة، الآية: 75.

9 - سورة البقرة، الآية: 285.

- رؤية القرآن لأهل الكتاب رؤية منصفة. ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾<sup>10</sup>. ﴿ومن أهل الكتاب من إن تامنه بقنطار يؤده إليك﴾<sup>11</sup>.
- دفاع القرآن عن المضطهدين من بني إسرائيل ممن نالهم ظلم فرعون: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾<sup>12</sup>.
- تصوير القرآن للظلم الذي لحق بالنصارى لما أحرقوا في نار الأخدود، ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾<sup>13</sup>.
- بشارة القرآن بانتصار النصارى على المجوس مستقبلا. ﴿لم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾<sup>14</sup>.
- بناء القرآن للتعامل مع غير المسلمين على قاعدة العدل معهم والبر بهم والإحسان إليهم. ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾<sup>15</sup>.
- تشريع الإسلام للارتباط الأسري مع الكتابيين بزواج ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾<sup>16</sup>.
- تقرير الفقه الإسلامي لحقوق المرأة الكتابية التي يتزوجها المسلم، فلا يفرض عليها أحكام دينه من صلاة أو صيام أو غير ذلك.
- تقرير الإسلام لأحكام التعاملات والمعاهدات معهم. وبناءها على قاعدة الإنصاف.
- تقرير الإسلام للأحكام الاجتماعية مع غير المسلمين، ومنها عيادتهم وتهنئتهم، وتعزيتهم ومواساتهم.

10 - سورة آل عمران، الآية: 113.

11 - سورة آل عمران، الآية: 75.

12 - سورة القصص، الآيتان: 4 و5.

13 - سورة البروج، الآيات: 4-7.

14 - سورة الروم، الآيتان: 1-2.

15 - سورة الممتحنة، الآية: 8.

16 - سورة المائدة، الآية: 5.



- الإحسان الطوعي إليهم. ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ﴾<sup>17</sup>. وقد كان الأسير غير مسلم.
- دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإحسان إلى ذوي الحاجة من المخالفين.
- نهي القرآن المسلمين عن عدم الإنفاق على غيرهم بموجب قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>18</sup>.
- إحداث المسلمين لعلم يضبط التعامل مع غيرهم، وهو علم السير، وهو علم يحدد حقوق المخالفين للمسلمين، ومنها:
  - حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية.
  - صيانة معابدهم وتمكينهم من إحياء أعيادهم ومناسباتهم وعدم مضايقتهم فيها.
  - حماية أموالهم وممتلكاتهم.
  - احترام إنسانيتهم، وتمكين فقرائهم من الاستفادة من أموال الدولة في إطار المساعدة المقررة للفقراء.
  - حماية وجودهم والدفاع عنهم ضد عدوهم إذا كانوا مواطنين، أو كان لهم مع المسلمين عهد للدفاع المشترك.
  - دراسة نص وثيقة المدينة المنورة.
  - دراسة العهدة العمرية مع نصارى الشام، وما تضمنته من حقوق.
  - الوضع الديني والاقتصادي والاجتماعي للمخالفين في بلاد المسلمين.
  - حماية اليهود في الأندلس.
  - لجوء اليهود إلى البلاد الإسلامية فرارا من الاضطهاد.

17 - سورة الإنسان، الآيتان: 8 و 9

18 - سورة البقرة، الآية: 272

## ثانيا: إصلاح برامج التعليم العتيق.

### أولا: أي إصلاح للتعليم العتيق؟.

إن قضية إصلاح برامج التعليم بالمدرسة العتيقة هي قضية مصيرية يتوقف على النجاح فيها سلامة النموذج المغربي في التدين، واستدامته على المدين المتوسط والبعيد، كما تتوقف عليها قدرة المغرب على حماية ذاته من كل المؤثرات التي من شأنها أن تخل بوحده المذهبية وبسلامته الاجتماعية والسياسية، لأن التوتر قبل أن يكون حدثا عنيفا ومظهرا صاخبا، هو قبل ذلك فكرة خاطئة وتصور منحرف يصير التطرف أحد إفرازاته.

لذا فإن حسن تقدير نوع الإصلاح الذي يتطلبه البرنامج الدراسي بالمدرسة العتيقة يجب أن يتحدد على ضوء رصد قبلي للأهداف والغايات المتوخاة من هذا التعليم، وعلى ضوء ما يؤمله الأفراد والمجتمع منه، وكل هذا يلزم منهجيا تقديم تمهيد عن الأهداف والمقاصد التي يريدها المجتمع من هذا التعليم.

أهداف يجب أن يضعها برنامج التعليم العتيق في الاعتبار.

إن الأهداف التي يتعين أن يراعيها التعليم العتيق، ويجعلها غاية يسعى إلى بلوغها أهداف متعددة، منها ما هو علمي معرفي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو وقائي حمائي.

أ. من أول الأهداف والمقاصد التي ترسم في ذهن كل مغربي، وهو يدفع بولده إلى التعليم العتيق ابتداء من حفظ القرآن الكريم وانتهاء إلى تحصيل المعرفة بالأحكام الشرعية، توفقه إلى إبلاغ ولده ذكرا كان أو أنثى إلى أن يتبوأ مصاف أهل العلم، وذلك بسبب ما ترسب في الذهن الجمعي من صورة مشرقة عن العلماء، وهي صورة أسستها إشارات القرآن المتكررة بأهل العلم، ثم رسخها ما للعلماء في نفوس الناس من مكانة وشفوف، مظهرهما النزول عند فتاواهم وأقوالهم. كما رسخ هذه الصورة ما للعلماء في تاريخ المغرب من مكانة عالية خلدها تراجم أمثال: المتكلم أبي بكر السلاحي (ت564) والمفسر المحدث ابن عبد الجليل القصري (ت615) والمفسر الأصولي أبي عبد الله المزدغي (ت655) والمحدث الراوية ابن رشيد السبتي (ت692) والعالم الصوفي الشيخ أحمد زروق (ت899) والحافظ أحمد بن يوسف الفاسي (ت1021) وغير هؤلاء من العلماء الذين شرفوا تاريخ المغرب.

ب. من الأهداف التي يجب أن يطمح إليها البرنامج الدراسي في التعليم العتيق، ضرورة إيجاد كفاءات علمية قوية قادرة على التعامل العلمي مع التراث الإسلامي، لأن مصادره تحتزن علوم الشريعة، وهي تتطلب الارتقاء إلى مستواها معرفيا، وذلك بإتقان لغتها واستيعاب حمولات مصطلحاتها، ليتأتى بعد ذلك تحيين تلك المعرفة من أجل مواكبة مستجدات العصر.

وهذا الجهد، وإن بدا عسيرا، فإنه ليس أشد عسرا مما يقوم به المنتسبون إلى ثقافات وحضارات أخرى من تواصل مع لغات قديمة لم تعد مستعملة إلا في المجال الديني كالآرامية والسريانية وغيرهما.

ج. إحداث حالة من الشعور بالاكتماء العلمي وعدم الاحتياج إلى استجلاب الفتاوى والأحكام من منابر قد تكون لها خلفيات طائفية تستنبت الخلاف وتعرض على الصراع بين أفراد المجتمع، وهذا ما تضطلع به بعض المطبوعات العابرة للقارات، وما تؤديه بعض القنوات الفضائية التي تشيع فكر الخلاف والصراع وتسعى إلى تمكين أهلها من التمدد عبر العالم.

وكل هذا لا يمكن الحسم فيه إلا بوجود كفاءات علمية عالية يقتنع المواطنون بأهليتها وجدارتها للقول في الدين ليتخذوا منها مرجعا للمعرفة الشرعية.

**أهمية إصلاح برامج التعليم العتيق حاليا.**

إن الاشتغال على إصلاح برامج التعليم العتيق يكتسي من الأهمية والجدوى بقدر ما يستحضر القائمون عليه كل الأبعاد والغايات الدينية والمعرفية والاجتماعية التي يحققها لفائدة الأمة.

وبالإمكان الإشارة إلى الدواعي التالية:

**الداعي الأول:**

إن هذا التعليم ظل عبر تاريخ المغرب هو الذي يوفر المادة العلمية الشرعية التي تأسس على ضوئها وعلى هدي وبصيرة منها أنموذج التدين المغربي الذي يحترم ثوابت المغرب.

وحين يقع الحديث عن الثوابت المغربية، فإن ذلك لا يعني أبدا السعي إلى إقامة حدود أو حواجز عقدية أو فقهية عازلة، كما لا يعني أيضا حرصا على إثبات التميز والخصوصية، وإنما يعني شيئا آخر هو أكثر أهمية، هو أن المغرب لم يستقر على اختياراته إلا بعد أن عانى من التفرقة والتشظي مما خلفه صراع المذاهب لمدة اقتربت من ثلاثة قرون.



وميزة هذه الثوابت التي تأصلت وتأثلت في الذهنية المغربية منذ زمن مبكر من تاريخ المغرب، أنها شكلت صمام أمان، وحماية قوية وممانعة ذاتية ضد كل الآراء والأهواء التي كانت تستهدف خلخلة الوحدة الدينية والثقافية للمغرب.

### الداعي الثاني:

وأما الداعي الموضوعي الثاني الذي يوجب الاهتمام ببرامج التعليم العتيق ودعمها وتقويتها، فهو داعي مستوحى من متابعة ما يتم على الساحة الإسلامية من محاولة رسم خريطة تدينية جديدة تسعى إلى فرضها مذاهب عقدية لها تطلع واستشراف للتمدد والتوسع في كل أرجاء العالم الإسلامي، ولا أحد يمكنه أن يفهم كثيرا من الأحداث الدموية التي تقع في العالم الإسلامي دون أن يستحضر معطيات عقدية أدت إلى الاستقطاب الحاد الذي انتهى إلى إيقاد حرب المساجد وتفجيرها وقتل المصلين الآمنين بها، وإلى القتل الذريع على الاسم والهوية.

وأمام هذا الوضع فإن أفضل مقاربة وأهم مشروع حمائي يجب أن يختار هو تثبيت المعرفة الشرعية، وتوسيع نطاقها، وتمكين المواطن مما يحمي به نفسه عقديا، ويرد به غارات الاجتذاب التي تشنها الفضائيات الكثيرة، وتنشرها الكتابات العديدة، وتعمل من أجلها خلايا يقظة وأخرى نائمة.

### الداعي الثالث:

وأما ثالث الدواعي التي تسبغ على التعليم العتيق أهمية قصوى إلى جانب كل ما سبق ذكره، فهو ما أصبح يمثل واقعا من تمكين المغرب من قدرة فائقة على مد جسور التواصل مع شعوب إسلامية تشترك معه في هذا التعليم، وترى أن المغرب بحكم احتضانه لجامعة القرويين يحتل موقع الريادة والأستاذية، ففي إفريقيا وفي الخليج مسلمون كثيرون يأخذون بالفقه المالكي الذي سبق لأجدادهم وبعض طلاب جامعة القرويين أن استقوه مشافهة من علماء القرويين أو درسوه في مصادره المغربية.

ولعل الزيارات الملكية المتعددة لبعض البلاد الإفريقية، قد كشفت بوضوح وجلاء عن رصيد الاحترام الذي يكنه الأفارقة للمغرب بحكم الصلة العلمية والاشتراف في المذهب والالتزام بإمارة المومنين.

وبالإضافة إلى هذا البعد الإفريقي، فإن التعليم العتيق يؤدي وظائف أخرى كبيرة في فضاءات واسعة للجالية المغربية المقيمة بالخارج، وقد أصبحت الجالية تجد في خريجي هذا التعليم الملاذ من

كل الدعوات إلى مذاهب عقدية أخرى، وأصبح خريج هذا التعليم هو وحده القادر على حماية تدين المغاربة المقيمين بديار المهجر، وعلى إقرار السلم الاجتماعي بين المسلمين، ولعل بعض الدول الإسلامية أن تكون قد استشعرت ما يحققه وجود خريجي التعليم العتيق المغربي المؤسس على المعرفة الشرعية الصحيحة وعلى الوسطية والاعتدال، ولذلك أصبحت بعض دول الخليج العربي تستقدمهم وتستفيد من تكويناتهم.

وبعبارة أخرى فإن هذا التعليم العتيق قد أعطى الكثير، فجلى الحضارة الإسلامية وحقق الإنجاز المعرفي، فلم يوجد في تاريخ المغرب عالم ولا فيلسوف ولا طبيب ولا قاض ولا شاعر، ولا أي منتسب إلى أي حقل معرفي، إلا وهو خريج هذا التعليم وصنيعته، لأنه لم يكن في المغرب تعليم آخر يوازيه أو ينافسه.

وقد استمر هذا التعليم مناضلا عن الهوية المغربية، ومدافعا عن المغرب في كل الفترات العvisية، يحمي حدوده المعنوية من هجمات الخارج ومن اختلالات الداخل، فكان لذلك السبب موضع الاستهداف، ففوقت إليه سهام مصمية، وكان لسلطات الحماية إرادة قوية في إنهاء دور هذا التعليم.

لكن العناية الإلهية تداركت هذا التعليم، فوفق الله جلالة الملك الحسن الثاني إلى إنشاء دار الحديث الحسنية في لحظة زمنية فارقة، فاجتمعت بقية من العلماء المغاربة على نقل معارفهم إلى جيل جديد من العلماء، أنجزوا بحوثا علمية عديدة، وقدموا المعرفة الشرعية وهم الآن يقودون حركة علمية وفكرية قوية.

### اقترح مشروع لإصلاح التعليم العتيق

بعد هذا الرصد الذي لم يكن منه بد على سبيل إحداث الوعي الحقيقي بأهمية التعليم العتيق وبجدواه وفائدته، وما يمكن أن يؤديه إلى الوطن، فإن من شأن هذا الوعي أن يغير الرؤية النمطية لهذا التعليم فلا ينظر إليه على أنه مجرد تراث وموروث ثقافي ماضوي يتعامل معه بشيء من الحميمية والنوسطالجيا في أحسن الأحوال، وإنما يجب اعتماده وبقوة أسلوبا للحماية الاجتماعية، وتبنيته ضمن مكونات المنظومة التربوية المغربية، ليستفيد من جميع إمكانات الدولة المادية ومن جميع مواردها البشرية.

وسيرا على نهج الإصلاح والتطوير، فإنه يمكن تسجيل ملاحظات ومقترحات أرى أنه يتعين أخذها بعين الاعتبار، والتأسيس عليها وأجراتها ضمن برنامج قادم للتعليم العتيق يتحقق به إنصاف هذا التعليم وتمكينه من الارتقاء والتطور، ومساعدته على أن يؤدي أداء جيدا يناسب رسالته وأهميته.

لابد من الاتفاق على تحديد الأهداف والمقاصد المتوخاة من تكوين الطالب بالتعليم العتيق وضبطها ضبطا جيدا، وعلى ضوئها يتم وضع برنامج للإصلاح، وهي أهداف تتلخص في تكوين شخص ترى فيه الأمة أنه من أهل العلم، وتثق بمعرفته وتأتمنه على تدينها وتسأله عن معضلاتها الحياتية حتى لا تشوف إلى غيره، وحتى يتفادى بذلك الالتفاف إرباك الحياة التدينية بتداخل المذاهب الفقهية وصراع المذاهب العقدية ذات الارتباطات والغايات السياسية أيضا.

والمؤمل أيضا من هذا التعليم أن يبنى قيادات فكرية تنتهج نهج كل العلماء الذين استفاد الوطن من وجودهم بما أحدثوا فيه من إصلاح، وحوا الهوية وحملوا قضايا أمتهم هموما شاغلة يعيشون من أجلها.

والمنتظر من التعليم العتيق أن يهيئ كل الأطر العاملة على مستوى المؤسسات الدينية من مساجد ومجالس علمية ومنتديات دينية، وهذه وظائف لا تقبل التعطيل ولا تحمل التأجيل وإلا تولاهما من يسيء بها إلى الأمة.

والمنتظر أن يكون خريج التعليم العتيق مثقفا قادرا على الإسهام في الحوار الحضاري بين الثقافات، وعلى تقديم الإسلام بوجهه الرائق الذي يبعث إلى الناس رسائل الطمأنة والسلام.

إن وضع هذه الغايات النبيلة أمام الأعين واستحضارها يتطلب وضع برنامج دراسي قوامه:

1. حفظ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، لأن ذلك هو المؤهل الأساس للحضور في الحياة الدينية بتولي مهمات الإمامة خصوصا والتدريس والإفتاء.

مع الإشارة إلى أن حفظ القرآن ليس أمرا زائدا عن حاجة التكوين وإنما هو صلبها وعمادها، لأن القرآن هو موضع الشاهد في الدراسات العقدية والأصولية والفقهية واللغوية، وفي الجوانب القيمية والتربوية.



- ولذلك وجب أن يستدل كل من يتحدث في أمر من أمور الدين عن سنده من القرآن أولا.
2. الاهتمام بكل المعارف الشرعية التي يأتي على رأسها بعد القرآن الاشتغال بالحديث النبوي رواية ودراية، وقد كان التقصير في هذا الجانب هو ما سهل على البعض الانسياق مع من يقول إن أهل المغرب هم أهل فروع فقهية وليس لهم علم بالسنة.
3. من مقتضيات هذه الأهداف الكبرى أن يعتمد التعليم العتيق أسلوبا يجعل المتلقي قادرا على التعامل المباشر مع المصادر الفقهية التي لها لغتها ومصطلحاتها ومناهجها في العرض وفي التحليل، وهذا يتطلب قراءة النصوص القديمة على شيوخ العلم، وعدم الاقتصار على الأخذ من الملخصات والمراجع التي كتبت بلغات إن كانت من جهة ميسرة، إلا أنها تفصل الطالب عن لغة التراث العلمي.
4. وصل خريجي التعليم العتيق بالثقافة المعاصرة وبالفكر العالمي الحديث ليتسنى لهم تمثله واستيعابه، وليسهموا في تطويره وترشيده.
5. تقوية حضور المواد الأدبية في البرنامج الدراسي وهي كفيلة بأن تكسب الطالب قدرة على الإبانة والتعبير عن آرائه والدفاع عنها.
6. من المطلوبات تمكين الطالب من استعمال لغة عربية حديثة تجعله قادرا على التواصل مع التيارات الحديثة في المجتمع.
7. تمكين التلميذ من اللغات الأجنبية إلى درجة المحاضرة والتأليف بها، لأن إتقانه لهذه اللغة يفتح أمامه آفاق التعامل مع العالم وإبلاغ رسالة الإسلام إلى الناس.
- ومن مستلزمات بلوغ هذه الأهداف.
- ضرورة المزاوجة بين مطلبيين لا بد من الأخذ بهما معا وهما:
- الحفاظ على وحدة المنظومة التربوية المغربية باعتبارها كيانا متجانسا ومتكاملا.
- الإقرار أيضا بخصوصيات التعليم العتيق بما ينتظر منه من أجل بلوغ الأهداف التي سبق الحديث عنها. حتى لا يكرر هذا التعليم صورا من التعليم الديني هي موجودة بالفعل على مستويات التعليم الثانوي والجامعي.

ومن أجل ذلك فإنه يتعين:

1. احترام خصوصية هذا التعليم بمزجه بنصاب من مواد التعليم العمومي على أن يكون ذلك بنسبة 50% لما يناط به من تعميق المعرفة بالعلوم الشرعية، وباطلاع التلميذ على العلوم الأخرى المساعدة، لأن كل ضعف في المستوى المعرفي الشرعي يبغي الخريج على الهامش من الحياة الدينية ولا يساعد على تحقيق المقاصد الكبرى التي حددت لهذا التعليم، ومن أهمها: تكوين علماء الشريعة الذين ينتظر منهم التحقق من معرفة الشريعة.

2. تجب العناية بتحفيظ القرآن الكريم كاملا في مستوى الطور الأول، على أن يكون الحفظ متقنا تلاوة ورسما، فلا يتساهل في ذلك بأي ذريعة مهما بدت مقنعة، وذلك تفاديا لأن تستأثر بمهمة خدمة القرآن وتحفيظه جهات أخرى قد تنهض به وتسد الفراغ، وتلبى الحاجة المجتمعية إليه، لكنها قد توجه التلميذ على نحو قد لا يأخذ بثواب التدين المغربي.

3. إعادة النظر في أطوار التعليم العتيق لتتكون من:

- طور أولي مدته 4 سنوات، يتم فيه التركيز على الاشتغال بالقرآن الكريم حفظا ورسما وأداء ومعرفة بأحكام التجويد، وقد تبين أن حفظ القرآن أصبح عاملا قويا من عوامل رغبة كثير من الشعوب الإسلامية في أهل القرآن، وتمكينهم من فرص العمل في دول كثيرة.

وتلحق خلال هذا الطور وبكيفية تصاعدية مبادئ النحو والفقه والتجويد والحساب مع استهداف جعل التلميذ متقنا لرسم القرآن وعارفا برموزه حتى يستمر ضبط الرسم سمة من سمات أهل القرآن بالمغرب.

- طور ابتدائي مدته 3 سنوات، ينتهي بحصول التلميذ على شهادة الدروس الابتدائية.

ومن خلال الطورين معا يكون التلميذ قد تلقى بعض المعارف الأساسية خصوصا وأن الذي يقع عمليا هو أن بعض التلاميذ قد ينقطعون عن الدراسة ليلوا مهمات الإمامة والأذان والخطابة على مستويات بعض القرى والمداشر.

- طور إعدادي مدته 3 سنوات، وينتهي بنيل شهادة الدروس الإعدادية.

- طور ثانوي مدته 3 سنوات يتوج بالحصول على شهادة البكالوريا في العلوم الشرعية.

- طور نهائي يتكون من مرحلتين:

مرحلة موازية للدراسة الجامعية مدتها 3 سنوات وتنتهي بتحصيل شهادة العالمية.

ومرحلة للتعليم العالي تنتهي بتحصيل شهادة الماستر وبتحضير شهادة الدكتوراه.

ومن شأن التعليم العتيق في مستواه العالي أن يتجاوز مستوى تكوين الأطر المتوسطة إلى تكوين قيادات فكرية من أهل الإفتاء والاجتهاد والنظر في النوازل والمستجدات، والمشاركة في الحوارات الحضارية وتأسيس المعرفة الشرعية.

وبعد إقرار أطوار التعليم يتعين:

1. التحقق من استيعاب التلميذ لمضامين كل مستوى بإجراء الامتحانات المعبرة عن المستوى الحقيقي للتلميذ، والقطع الصارم مع طريقة القفز على المستويات وإحراق المراحل التي تتم بواسطة عقد لجان للتقويم.

2. الحرص على استكمال ما هو مقرر في كل سنة حتى لا تكون في تكوين التلميذ ثغرات ناشئة عن عدم استكمال الدراسة.

3. يجب أن لا يسجل التلميذ في المستوى الابتدائي خصوصا إلا بعد التأكد من جودة حفظه للقرآن الكريم، وتحصيله لمبادئ العلوم التي تلقاها، ويتم هذا بإجراء اختبار شفوي تحضره لجنة متخصصة.

4. يجب منع تسلل من ليست له مؤهلات حفظ القرآن وإدراك المعارف المقررة في كل مستوى إلى المستوى الأعلى، لأن المستويات تتكامل، ولأن التالي منها يستند إلى المعرفة بالأسبق.

5. يجب ترتيب كل تلميذ ينتقل من الطور الأولي في السنة الأولى من الطور الابتدائي، وهي السنة الخامسة من التعليم العتيق، ولا يسمح لأي تلميذ بالانتقال إلى مستوى أعلى مهما تكن الذرائع، لأن وظيفة هذا التعليم هي المحافظة على المعرفة الشرعية لا إسداء الخدمات الاجتماعية، ولأن خريج التعليم يستشعر شيئا من عدم الجدية إذا سمح له بالقفز على المستويات دون بقية تلاميذ التعليم العمومي بالمغرب. ولأن الخريج يحصل على شهادة العالمية التي يجب أن تكون معبرة عن حصيلته العلمية.

6. التأكد من كون المشرفين التربويين والإداريين على مؤسسات التعليم العتيق مؤهلين لذلك علميا، وذلك باستظهارهم بشهادات تمنحها مؤسسات جامعية، أو تسلمها المجالس العلمية لخريجي بعض المدارس العتيقة في نظامها القديم.



7. تركيز مواد الامتحان وضم المتجانس منها بعضه إلى بعض من أجل اختصار أيام الامتحان.

8. وضع برامج مادية وأدبية لاستقبال بعض الطلبة الوافدين من إفريقيا وأوروبا وأمريكا على المغرب ليوصل التعليم العتيق أداء رسالته التي أداها عبر التاريخ نحو العالم الإسلامي.

9. تمكين الجالية المغربية من استحداث مدارس للتعليم العتيق بوساطة من المجلس الأوروبي للعلماء وبتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على غرار ما تستفيد منه بعض الجاليات الأجنبية من إنشاء مؤسسات لتعليمها الوطني ببلادنا.

10. الاهتمام برفع نسبة اشتراك المرأة في هذا التعليم، ووضع تكوين العالمات ضمن أولوياته، وتمكين المرأة في الأوساط القروية والحضرية من الالتحاق به، وذلك بتزويد المؤسسات من هذا النوع ببنية لاستقبال الفتيات الوافدات من الأوساط القروية والحضرية النائية.

11. تثبيت مجلس وطني خاص بالتعليم العتيق يكون من اختصاصاته اقتراح المواد الدراسية ومعالجة المشاكل المستجدة التي يفرزها العمل اليومي والتطور الاجتماعي.

12. توثيق الصلة القائمة تاريخيا بين مؤسسات التعليم العتيق ومؤسسة المسجد، وذلك بإلقاء بعض الدروس بها، لئلا يستشعر التلميذ أنه منفصل عن الشأن الديني، وحتى لا تترك منابر التدريس والوعظ والخطابة لمن لا يقوم بحقها.

13. الحرص على استدامة علاقات الاحترام والتوقير التي طبعت على الدوام علاقات العلماء بطلاب العلم.

14. اعتبارا للوظائف المتعددة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والتي ليس الإشراف على التعليم العتيق إلا وجهها من أوجهها، فإنه يجب دعم المجهود المالي والتأطيري الذي تقوم به الوزارة في إشرافها على التعليم العتيق، وذلك بأن يعتبر توفير الدعم اللوجيستي له واحدا من أولويات الدولة.

15. إشراك المجالس العلمية المحلية والمجلس العلمي الأعلى في الإشراف العلمي على مؤسسات التعليم العتيق وطنيا وجهويا.

16. إنجاز تقارير سنوية عن مسار التعليم العتيق، ورصد ما يحققه من أهدافه المرصودة التي تبرر الاستثمار القوي فيه.



## مؤسسة محمد الخامس للتضامن

### دراسة قانونية في البنية والوظائف

ذ. صليحة بوعكاكة  
أستاذة القانون الدستوري  
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

عرف "ديفيد ايستون" المنتظم السياسي على أنه: "مجموع التفاعلات السياسية المحددة في مجتمع معين والتي من خلالها يتم التخصيص والتوزيع السلطوي للقيم والموارد، والسياسات المتعلقة بهذا التوزيع تكون ملزمة للمجتمع ككل ويكون هناك شعور عام في المجتمع بقبول وإلزامية تلك القرارات السياسية"<sup>1</sup>

واستنادا على هذا التعريف وعلى منهج ايستون "النظمي"<sup>2</sup> بنى "جابريل ألوند" منهجه "البنائي الوظيفي" في علم السياسة وعرف الوظيفة على أنها:

"مجموعة الأنشطة الضرورية التي على النظام إنجازها ليضمن بقاءه واستمراره ككل وتحقق أهداف النظام السياسي عندما تنجز الأبنية ووظائفها المحددة لها".

وقد قسم ألوند وظائف النظام إلى ثلاث مستويات:

المستوى الأول: قدرات النظام السياسي.

المستوى الثاني: وظائف التحويل.

1 - David Easton, An approach to the analysis of the political systems , World Politics, Vol. 9, No. 3. (Apr, 1957), pp.388-400. -

2 - للمزيد من التفاصيل حول الإطار الفكري والمفاهيمي للمنهج النظمي وكذلك افتراضاته وعناصر التحليل النظمي يراجع:

- جابريل ألوند، بيغهام باول، السياسة المقارنة، ترجمة أحمد عناني، مكتبة الوعي السائر، القاهرة، 196م، ص: 45 وما بعدها.

- محمد محمود ربيع، مناهج البحث في السياسات، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978م، ص: 189 وما بعدها.

- كمال المنوفي، أصول النظم السياسية المقارنة، الريعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ص: 78 وما بعدها.



### المستوى الثالث: وظائف الحفاظ على النمو والتكيف<sup>3</sup>.

وما يهمننا في هذا المقال هو المستوى الأول حيث تحدث أُموند عن أنواع عديدة من القدرات التي يجب أن تتوفر لدى النظام السياسي (القدرة الاستراتيجية، والتنظيمية، والتوزيعية، والاستجابية، والتوزيعية، والدولية) ومن هذه القدرات القدرة الرمزية وتعني لدى أُموند "معدل تدفق الرموز الفاعلة من النظام السياسي إلى داخل المجتمع أو البيئة الدولية"<sup>4</sup> وتتضمن المخرجات الرمزية التأكيدات على القيم التي يقوم بها النخب.

وقد حرص النظام السياسي المغربي على استمراره وبقائه لذلك ما لبث ينتج قيما تتدفق إلى المجتمع، سواء كانت دينية أو ثقافية تاريخية أو اجتماعية وإنسانية.

وتعد قيمة التضامن من أهم القيم التي حرص النظام السياسي المغربي على إنتاجها عبر شكل مؤسسي يرتبط مباشرة من ناحية التأسيس والتسيير والتدبير بالمؤسسة الملكية. وهو بذلك يراعي شعور المواطنين وثقافتهم وشعائهم الدينية، ويحقق تبعا لذلك خدمة هذه القيمة والدفاع عنها، ومن جهة أخرى يعبر عن إرادة الشعب وميولاته وثقافته وبالتالي يقترب منه محققا بذلك قبول المجتمع لقراراته وتصرفاته.

وقد أكد جلالة الملك محمد السادس نصره الله على هذه القيمة في أول خطاب للعرش بتاريخ 30 يوليوز 1999م حيث قال: "وسنولي عنايتنا كذلك إلى مشكلة الفقر الذي يعانيه بعض أفراد شعبنا وسنعمل بمعونة الله وتوفيقه على التخفيف من حدته وثقله، وفي هذا الصدد كان والدي رحمه الله قد شرفني بقبول اقتراح إنشاء مؤسسة اختار لها من بين الأسماء "مؤسسة محمد الخامس للتضامن" تهتم بشؤون الفقراء والمحتاجين والمعوقين، عاهدنا أنفسنا على تفعيل دورها وإحاطتها بكامل الرعاية والدعم"<sup>5</sup>.

3 - لمزيد من التفاصيل حول المنهج البنائي الوظيفي عند "جابريل أُموند" يراجع:

- جابريل أُموند، بيغهام باول، السياسة المقارنة، ترجمة أحمد عناني، مكتبة الوعي السائر، القاهرة، 1966م، ص: 45 وما بعدها.  
- عبد الحليم الزيات، في سوسيولوجيا بناء السلطة، القوة، الصفوة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م، ص: 119.  
- رجاء وحيد الدويدري، البحث العلمي: أساسيته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، ط 1، دمشق، 2002م، ص: 270 وما بعدها.

4 - نفس المرجع السابق.

5 - مقتطف من خطاب العرش بتاريخ 30 يوليوز 1999م، منشور بالموقع الرسمي لمؤسسة محمد الخامس للتضامن:

<http://www.fm5.ma/ar/discours-Fete-trone> تاريخ الزيارة: 29 يونيو 2017م.

فقد اقترح جلالة الملك عندما كان وليا للعهد على الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله إنشاء بنية متخصصة للمعوزين، وتم إنشاء مؤسسة محمد الخامس للتضامن سنة 1999م بمقتضى مرسوم<sup>5</sup> يوليوز 1999م وسماها المرسوم "مؤسسة ذات منفعة عامة"<sup>6</sup> وهي بذلك تنسجم مع تنزيل مفهوم الاقتصاد الاجتماعي<sup>7</sup> الذي يستخدم - في أوروبا - للإشارة إلى المؤسسات غير الحكومية التي لها غرض اجتماعي أو جماعي ويندرج تحت هذا المفهوم أربع مجموعات:

الصناديق المالية المشتركة، والتعاونيات، والجمعيات، والمؤسسات، وهو مفهوم واسع يدمج التعاونيات التي تقوم بتوزيع الأرباح والمؤسسات المالية التعاضدية وكثير من المؤسسات التجارية. وتستجيب مؤسسة محمد الخامس للتضامن للمعايير المعتمدة وطنيا ودوليا لتصنيف المؤسسات الغير الربحية<sup>8</sup>، وهي:

1. منظمات تشتغل في إطار مؤسساتي.

2. منظمات خصوصية تختلف عن المؤسسات الحكومية على المستوى المؤسساتي.

6 - تعرف المؤسسة وظيفيا على أنها: "كيان يقوم على مبدأ تنظيم معظم نشاط أعضاء مجتمع أو جماعة حسب نموذج تنظيمي محدد مرتبط بشكل وثيق بمشاكل أساسية أو بحاجات مجتمع أو جماعة أو بأحد أهدافها".

- تعرف المنفعة العامة في الفقه الفرنسي على أنها إشباع لحاجات الناس، وهي مجموع مصالح الأفراد المكونة للمجتمع، أي أنها حاصل جمع المنافع الخاصة.

7 - يعبر الاقتصاد الاجتماعي والتضامني عن مجموع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي تنتظم في شكل بنى مهيكلة أو تجمعات لأشخاص ذاتين أو معنويين، بهدف تحقيق المصلحة الجماعية والمجتمعية، وهي أنشطة مستقلة تخضع لتدبير مستقل وديمقراطي وتشاركي، يكون الانخراط فيه حرا.

كما تنتمي إلى الاقتصاد الاجتماعي والتضامني جميع المؤسسات التي تركز أهدافها الأساسية بالدرجة الأولى، على ما هو اجتماعي، من خلال تقديمها لنماذج مستدامة ومدججة من الناحية الاقتصادية، وإنتاجها سلعاً وخدمات تركز على العنصر البشري، وتندرج في التنمية المستدامة ومحاربة الإقصاء".

ورد هذا التعريف في تقرير الدورة 47 للجمعية العامة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، بتاريخ: 26 فبراير 2015م، منشور بالموقع الرسمي للمجلس:

<http://www.ces.ma/ar/Pages/Auto-saisines/AS-19-2015-economie-sociale-et-solidaire.aspx>

تاريخ الزيارة: 29 يونيو 2017م.

8 - ونخص بالذكر:

النظام المحاسباتي الوطني (SCN)، ودليل المؤسسات غير الهادفة للربح الذي أعدته الجامعة الأمريكية John Hopkins تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة.

انظر: البحث الوطني حول المؤسسات غير الهادفة للربح، سنة المرجع 2007م، دجنبر 2011م، أعدته المندوبية السامية للتخطيط، ملف بصيغة pdf منشور بالموقع:

<https://fr.scribd.com/document/96684526>

تاريخ الزيارة 29 يونيو 2017م.

3. منظمات لا توزع الربح المحقق على مكوناتها.
  4. منظمات ذات تسيير ذاتي قادرة على إدارة أنشطتها الخاصة.
  5. منظمات تطوعية ذات طابع غير إلزامي وتتسم بالحرية الفعلية للمشاركة.
- ونتيجة لاستجابتها للمعايير الدولية حصلت مؤسسة محمد الخامس للتضامن على الصفة الاستشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة.
- وسنحاول دراسة بنية هذه المؤسسة ووظائفها من خلال المحاور التالية:

#### أولاً: البنية التنظيمية لمؤسسة محمد الخامس للتضامن<sup>9</sup>

تعمل المؤسسة تحت الرئاسة الفعلية لجلالة الملك. ويعمل تحت رئاسته مجلس إداري يتولى تدبير شؤون المؤسسة، وتتوفر على مرافق تعمل بها هيئة من العاملين المتدربين في طرف المجلس الإداري أو شركاء المؤسسة.

وتتكون هذه الهيئة من مدبري مشاريع تلقوا تكويناً خاصاً في مجال التصميم والقيام بأنشطة أفقية وعمودية لمساعدة المستفيدين وتتبع الشركاء.

وتتضمن هذه الهيئة كذلك، أطراً إدارية وموارد بشرية في ميادين التواصل، وخبرة المحاسبة، وتدبير نظام الإعلاميات، ومساعدات اجتماعيات.

وتشتغل هذه الهيئة تحت إشراف دائم لأحد أعضاء المجلس الإداري.

وتتكون هيئة موظفي المؤسسة من الموارد البشرية التالية:

| الأقسام                   | عدد المسؤولين | عدد الأطر |
|---------------------------|---------------|-----------|
| المشاريع                  | 1             | 7         |
| المشاريع الانسانية        | 1             | 1         |
| التسيير الإداري والمالي   | 1             | 4         |
| التواصل والتنمية المؤسسية | 1             | 2         |

9 - لتحليل هذه الفقرة تم الاعتماد على المعلومات الواردة في الموقع الرسمي لمؤسسة محمد الخامس للتضامن: <http://www.fm5.ma/ar> تاريخ الزيارة 29 يونيو 2017م.



|   |   |                   |
|---|---|-------------------|
| 4 | 1 | التكوين           |
| 1 |   | الإعلاميات        |
| 5 |   | مساعدات اجتماعيات |
| 9 |   | مستخدمون إداريون  |

ثانيا: مجالات التدخل الاجتماعي<sup>10</sup>:

تتدخل مؤسسة محمد الخامس في المجالات الآتية:

- الأعمال الإنسانية: الزلازل، الدعم الغذائي السلع، الإسعافات الأولية.
- التنمية المستدامة: مشاريع مدرة للدخل، البنيات الأساسية، ...
- محاربة الأمية.
- الأطفال: المتخلي عنهم، اليتامى والمحرومين، البنيات والتأهيل.
- المرأة: القروية على الخصوص من خلال مدها بوسائل متنوعة لولوج أفضل لمجال التنمية.
- التكوين والهندسة الاجتماعية.
- المعاقون: دعم مؤسساتهم، وإنشاء بنيات تقدم خدمات اجتماعية وتربوية وطبية (إنشاء المركز الوطني محمد السادس للمعاقين).
- المغاربة المقيمون بالخارج: من خلال مواكبة التنقل.
- القروض الصغرى: إنشاء مركز لدعم القروض الصغرى سنة 2007م، وتنمية القطاع، وتشجيع التسويق.
- الأشخاص المسنون: الإيواء، الصحة، الإدماج، التوجيه...
- الصحة: ولوج المعوزين للعلاج، مد المستشفيات العمومية بالتجهيزات.
- التطوع: إنشاء شبكات للتطوع.
- التمدرس والتربية: الدعم، التنشيط الثقافي والرياضي، التكوين، الحماية من الانحراف.
- التكوين المهني: تحسين جودة أدوات التدبير، تيسير اكتساب المهارات.

10 - نفس المرجع السابق.

### ثالثا: ملاحظات حول وظائف مؤسسة محمد الخامس للتضامن<sup>11</sup>

من خلال استقراءنا لمجالات تدخل المؤسسة وطرق عملها والآليات المعتمدة لتحقيق أهدافها يمكن ملاحظة ما يلي:

- تنويع الخدمات: الأعمال الانسانية، الأعمال الاجتماعية، التنمية المستدامة.
- الانفتاح على خدمات جديدة: الإسعافات الأولية.
- استهداف الفئات الأقل حظا والاستفادة من موارد الدولة وخدماتها.
- الاهتمام بتقوية البنيات الاجتماعية الأساسية وإعادة توزيع الثروة.
- الاستفادة من إحصاءات تقدمها مراكز متخصصة كالاهتمام بالمسنين الذي هو نابع من توقع ارتفاع عدد المسنين بالمغرب (توقع 20% سنة 2040م و 11% في 2020م).
- استباق الأحداث: الرؤية الاستشرافية للمستقبل في مخططات التنمية الاهتمام بالمسنين نموذجا.
- تدارك قصور المرافق العمومية كالمستشفيات (مدتها بالتجهيزات، بناء وحدات متخصصة في الولادة والحروق والسرطان).
- تبني مقاربة جديدة تتمحور حول تعزيز القدرات الذاتية للسكان المستهدفة لاندماجها السوسيو مهني، وتشجيع الشباب على خلق وحدات إنتاجية شخصية.
- الاعتماد والاستعانة بشراكات مع فعاليات مختلفة مثال:  
برامج مع ثلاث مؤسسات جامعية: المدرسة العليا للتدبير، المعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات، جامعة الأخوين.
- إنشاء نوادي للتضامن.
- زرع ثقافة التضامن لدى فئة الصغار والقاصرين مثال:  
إنشاء نوادي للتضامن في ثانويات (الرباط) وشراكات مع جمعيات (مثال جمعية تنمية الفضاء المدرسي)
- نهج سياسة قرب فعلية تركز على مقاربة انتظامية وذلك بإرساء مشاريع مدرة للدخل تقتضي حلولاً متنوعة تراعي ربط كل نوع من الحاجيات بمشروع خاص به.

11 - تم الاعتماد في التحليل على المعلومات التي يتيحها المرجع السابق.

- تبني المقاربة القائمة على تكليف الغير، من أجل إعطاء بعد جماعي للعمل من حيث تبادل التجارب والقدرة على تقييم المشاريع وإدراك الصعوبات.
- تنوع مصادر التمويل: بوساطة بنك المغرب: الأفراد والمؤسسات والشركات.
- تطور نظام المراقبة من خلال:
  - o مراقبة داخلية وخارجية مستمرة ومنتظمة.
  - o مخطط للمحاسبة خاص.
  - o مراقبة داخلية لجميع العمليات من طرف المتفحص والشركاء:
- احترام الإجراءات وتوفير الاعتمادات.
- تتبع يومي للخزينة.
- تتبع شهري لتكاليف التسيير.
- o تقارير سنوية خارجية منشورة:
- جمع الأموال والهبات العينية.
- عملية رمضان.
- البيانات المالية السنوية.
- التكوين في مجال العمل الاجتماعي والأطر الصحية وفي هذا الإطار ثم إحداث مركز التكوين في أنشطة التضامن "CFAS" سنة 2006م أهدافه:
- يعمل على تطوير المهارات في مجال العمل التضامني باعتماد مناهج مستوحاة في نماذج يحتذى بها لفائدة أشخاص من الوسط الجمعوي.
- تثمين رأس المال البشري.
- تشخيص محيط العمل التضامني.
- نمذجة المفاهيم والمقاربات والمشاريع الاجتماعية.
- تكوين الأطر الصحية: من خلال إنشاء مراكز للتكوين بوجدة والحسيمة.
- إنشاء مركز للتكوين الفلاحي.
- إنشاء مركز للتكوين والتأهيل البحري.



رابعاً: حصيلة عمل مؤسسة محمد الخامس للتضامن إلى غاية 2015<sup>12</sup>م

تتجلى حصيلة المؤسسة منذ نشأتها إلى سنة 2015م في الآتي:

- إحداث 648 مركزاً اجتماعية لفائدة الأطفال والمعاقين والنساء والفتيات والشباب.
- إنجاز 198 برنامجاً للتنمية المستدامة.
- تطوير 105 برنامجاً للتكوين و 61 مشروعاً في الهندسة الاجتماعية.
- إنجاز 83 عملية وبرامج في المجال الإنساني.
- بناء 25 مستوصفاً ومستشفى وبنيات صحية.
- تجهيز 65 مستوصفاً جهوياً وإقليمياً.
- المساهمة في 570 عملية مساعدة طبية في المجالين القروي وشبه الحضري.
- عملية رمضان (17 مرة).
- عملية مرحبا لاستقبال الجالية المغربية بالخارج (16 مرة).
- وصل المبلغ الإجمالي للالتزامات إلى غاية 31 أكتوبر 2015م ما مجموعه 5.147 مليار درهم.

خامساً: علاقة مؤسسة محمد الخامس للتضامن بالمؤسسات العاملة في المجال الاجتماعي

رغم اشتراك مؤسسة محمد الخامس للتضامن مع مؤسسات رسمية في المجال الاجتماعي إلا أنه يلاحظ غياب أية علاقة أو تنسيق معها (حتى على المستوى الروابط الإلكترونية) كوزارة المرأة والتضامن.

ونتساءل في هذا الإطار عن علة عدم الاكتفاء بالوزارات الرسمية للقيام بما تقوم به المؤسسة؟

يمكن لعدة ملاحظات أن ترشد إلى الجواب:

- ثقة المواطن في المؤسسات الحكومية خصوصاً أنه يعد إلى جانب المؤسسات أحد المصادر المهمة للتمويل.

12 - المرجع السابق.

- ارتباط المؤسسة بتدفق القيم الرمزية من النظام السياسي إلى القاعدة وهو الأمر الذي لا تجيده المؤسسات الدستورية والسياسية لارتباطها بسياسات حكومية وحزبية ضيقة.
- تمثل المؤسسات الاجتماعية نموذجا جديدا يقدم السلع والخدمات ولا يقوم على أساس ربحي ولكنها تستخدم نموذج القطاع الخاص، إذ تعمل بشكل مبتكر، ومستدام ماليا ويراعي اعتبارات العملاء.
- محدودية الموارد والإمكانات للهيئات الحكومية.
- تعود المغاربة على الاضطلاع بالأعمال الاجتماعية بعيدا عن المؤسسات الحكومية.
- الصراعات الحزبية والسياسية وانعكاسها السلبي على تدبير المؤسسات.

#### خاتمة

لقد استطاعت مؤسسة محمد الخامس للتضامن تحقيق الكثير من أهدافها وعلى رأسها ترسيخ قيمة التضامن في المجتمع المغربي مؤسسيا، كما تمكنت من تطوير آلياتها وإمكاناتها. وقيام المؤسسة والمنظمات غير الحكومية بأدوار مهمة في مجال الاقتصاد الاجتماعي لا يعني أن تنسحب المؤسسات الرسمية وتتصل من أدوارها المنوطة بها بل يجب أن تكون لها سندا وعونا للنهوض بمجال الاقتصاد الاجتماعي بما يضمن أبسط الحقوق الاقتصادية والاجتماعية المعترف بها في الوثيقة الدستورية.





## خطبة الجمعة ومراعاة مقتضى الحال

ذ. عبد الحميد عشاق  
أستاذ بمؤسسة دار الحديث الحسنية  
الرباط

يقول الشيخ أبو حامد الغزالي منبها إلى أهمية مقام الدعوة في دين الله عز وجل: «إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين. وكَوَّ طُوي بساطه، وأهمِّل علمه وعمله، لتعطَّلت الثبوة، واضمحلت الديانة»<sup>1</sup>. ويقول في موضع آخر: «وشرطُ المرشد أن يكون عالماً، لكن ليس كل عالم يصلح للإرشاد، بل لابد أن يكون عالماً له أهلية صناعة الإرشاد، ولهذا المرشد علامات ونحن نذكر لك ما لابد منها بطريق الإجمال حتى لا يدَّعي الإرشاد كل متحير...»<sup>2</sup>.

إنَّ قضية من الخطورة بهذا الشأن، جدير بأن يُعنى بها، فالدعوة إلى الله تعالى همُّ من هموم الأمة الرئيسة، وذلك لقوَّة وشيخها بالعمل الإسلامي الذي يعيش حالة من الاضطراب والتوتر بسبب ضغط المتغيرات الكونية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي تكتنف المجتمعات المسلمة في أوضاعها العامة والخاصة، الأمر الذي يشعر "المؤسسة" الدعوية بالحاجة الملحة إلى مراجعة خططها وأهدافها وأولوياتها، ومراجعة موقعها من المجتمع، واستنفار طاقاتها الفكرية والمنهجية لمعرفة كيفية التعامل مع الواقع بأساليب ومفاهيم جديدة تنسجم مع أنماط واتجاهات التفكير فيه، وتفتح على أسئلته وحاجاته، وتتفاعل مع مشكلات الأجيال الصاعدة وهمومها وطموحاتها، وتستشرف المستقبل من بعيد لتحوُّل الاتجاهات المعارضة والاستراتيجيات المضادة إلى اتجاهات ملائمة، أو على الأقل مهادنة، وفق قوله جلّ وعلا: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾<sup>3</sup>.

1 - إحياء علوم الدين، حجة الإسلام الغزالي، 306/2.

2 - نفسه: 306/2.

3 - سورة فصلت، الآيتان: 33 و34.

وقبل أن أعرض لتصور متواضع لما ينبغي أن يكون عليه الأداء الدعوي عموماً، أحب أن أنوه بأن المناهج تتنوع والأساليب تتعدّد بتعدّد أضرب الاجتهاد في هذا الباب؛ فالمجال واسع، والمهيع لاحب، والمجتهد فيه مأجور غير مأزور؛ ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾<sup>4</sup>.

ومن المعلوم المقرّر كذلك أنّ الموضوع في الخطاب الدعوي الإسلامي يتميز بالسّعة والشمول بقدر سعة رسالة الإسلام وقيمه ومقاصده، فهو يشمل الإنسان الفرد بجسمه وعقله وروحه ووجدانه وحقوقه الضّرورية، ويشمل الأسرة بعلائقها الزوجية والأبوية والرحّمية، ويشمل المجتمع بطبقاته وظواهره وعلاقاته السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المشتبكة، ويشمل العالم قاطبة باعتباره دار هداية، فهو يتوجه بالدعوة إليه، وينسج متباين العلاقات والصلّات معه، على أساس قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾<sup>5</sup>.

وإذا كان علماؤنا قرّروا في قواعد الفقه أنه لا ينكرُ تغَيّر الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال، فإنّ الأخذ بهذه القاعدة في مجال الدعوة والتبليغ أخرى وأولى:

- فما يقال للمسلمين غير ما يقال لغير المسلمين.
- وما يقال للمواطنين في ديارهم غير ما يقال للأقليات خارج أوطانها.
- وما يقال في الدرس والمحاضرة غير ما يقال في الخطبة.
- وما يقال للشباب غير ما يقال للشيوخ.
- وما يقال للنساء غير ما يقال للرجال.
- وما يقال للأكاديميين والمثقفين غير ما يقال لعموم الناس.
- وما يقال لأهل الحواضر غير ما يقال لأهل البوادي.

والحاصل، أنّ ما يصلح في زمان لا يصلح في آخر، ولذلك فإنّ اعتماد بعض الخطباء على الخطب النّاجزة من الانترنت والمواقع والكتب دون معرفة ملاءمتها لحال المخاطبين واعتبار زمانهم ومكانهم، خطأ شنيعٌ وعيب مشينٌ.

ولا شك أنّ هناك قدراً مشتركاً وصعيداً جامعاً بين الفئات كلّها، ولكن تبقى خصوصية لكل فئة من ذكرنا، توجب على الداعية الفقيه أن يجتهد في صياغة خطاب كل فئة بما يليق بها، وبما يجيب

4 - سورة الإسراء، الآية: 84.

5 - سورة الممتحنة، الآية: 8.

على أسئلتها، ويتجاوب مع همومها ومصالحها، ويدل على هذا أن النبي ﷺ لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...»، قال الحافظ ابن حجر في تعليل البدء بهذه الجملة: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب»، هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجاهل من عبدة الأوثان»<sup>6</sup>.

إن القواعد تقضي بمعرفة أصل المشكلة، ووعي أسبابها وجذورها وموادها، لا الاشتغال بالأعراض والجزئيات الكثيرة، فيخلط الكلام بين ظواهر شتية متناثرة لا يأتي عليها حصر.

وأصل المشكلة في تقديري أنّ أزمة الخطاب الدعوي سواء كان في منبر الجمعة أم في غيره، إنما تعكس أزمة فكرية لدى أصحابه، أو على حدّ عبارة الأستاذ مالك بن نبي "مشكلة الثقافة". ومشكلة الثقافة في العالم الإسلامي هي مشكلة حضارة بكافة أبعادها، لأن الملاحظة تهدي إلى أن حالة الانتكاسة والتخلف التي تعاني منها مجتمعاتنا هي حالة بنيوية لا تمس قطاعا دون غيره، بل تظهر على جميع الصُّعد لدى المثقفين والمتعلمين والسياسيين والخطباء والعمال والفلاحين، وهذا وجه تسمية هذه الحالة مشكلة الثقافة، من حيث إنّ الثقافة لا تعني في مدلولها الأفكار فحسب، وإنما هي أعم من ذلك، تعبّر عن أسلوب الحياة والسلوك الاجتماعي الذي يطبع الفرد في مواقفه وتصرفاته.

فالأعراض السلبية التي باتت ميسما لبعض الأنماط الخطابية مثل سطحية التناول، وتهلhel العرض، والوعظ المباشر، والتحيّز العاطفي المشوب، والركون إلى الرواية والحكي، والعجز عن إعمال طرق الإقناع والاستدلال، والقفز على النتائج بقوة الوشائج الصوتية لا بقوة صحّة النظر في الأدلة، وبناء النتائج على المقدمات... كلّ ذلك ينبئ عن عطالة فكرية عميقة تشخّص في كون العقل المسلم لا يقدر نفسه، ولا يقدر المحيط الذي يعيش فيه، ولا يقدر شرف الرسالة التي يحملها ويشر بها في العالم، وأن الخصائص الذهنية والاجتماعية التي تميز أسلوبنا في التفكير كسمة الشحن من التراث، وطغيان التقليد، و"الحرفية" الناتجة عن عدم تحقيق المناط ومراعاة المآل، والولع بالغرائب والمناقب، تتحمّل غير يسير من المسؤولية عن إنتاج ألوان من الخطب الخرساء التي استعبدتها الألفاظ، فأصبحت لا تلقي بالأل لعنصر الواقع أو اهتماما بالعمل، وإنما تعبّر عن مجرد التشهي للكلام.



ونتيجة لهذه الحال، نلاحظ أن الكلمات في المجال الدعوي الإسلامي قد فرغت من مضامينها التي تكفل لها وظيفة اجتماعية معينة، وأنّ الحقائق الحية التي شكّلت فيما مضى وجه الحضارة الإسلامية وروحها، تحوّلت إلى حقائق خامدة مدفونة في جمل إنشائية وعبارات رائية... وما زالت هذه الحقائق تعرض في لغة بعضهم باختزال في أبعاد فردية وفضائل ذاتية ضيقة، وما زالت الظواهر الاجتماعية تُعالج عند بعضنا في مطلق التجريد، وبمنأى عن ملاحظة أصولها النفسية والاجتماعية والموضوعية التي أنتجتها، فأصبح الحديث مثلاً عن الغش والظلم والرشوة والصدق والأمانة والتقوى حديثاً عن مفاهيم مجرّدة منقطعة عن سَيْرورة الوَعْي، وقوانين التاريخ، وثقافة المجتمع وخصائصه وطبائعه.

بناء على هذه المقدمة، وانطلاقاً من أنّ تحرير المنهج وتصحيح الأسلوب هو المدخل لتقويم الواقع، وتحسين النتائج، يمكننا أن ندرس الموضوع من خلال مداخل ثلاثة:  
أولها المدخل الشرعي؛  
وثانيها المدخل البلاغي؛  
وثالثها المدخل النفسي التربوي.

وفي ضوء المعرفة بهذه المداخل وتحكيم قوانينها ومراعاة مقتضياتها، يكون بناء مفردات "الرسالة" الدعوية، وابتكار الفكرة، واستثارة المعنى، وصياغة المضمون، وانتقاء الأسلوب المؤثر.

أ. المدخل الشرعي: وهذا المدخل يقتضي العلم بحال المدعوّين ومخاطبتهم على قدر عقولهم، فالشرائع كلّها جاءت متّسقةً موافقةً لحال أهلها، وما من نبيّ إلا بعثه الله تعالى بمعجزة تليق بأهل زمانه، كما يدلّ عليه قوله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>7</sup>.

ومن قواعد التشريع وأصوله المعتمدة مراعاة أحوال المكلفين وضعاً وإفهاماً وامثالاً، وبناء عليه وجدنا خطاباً قرآنياً مكثراً يختلف في جوانب منه عن الخطاب القرآني المدني، وكذلك جاء الخطاب التكليفي في بعضه بالتدرّج مراعاةً لأحوال الناس، وكان نزول القرآن منجماً على فترات لحكم بليغة منها: «التمهيد لكمال تخلّهم عن عقائدهم الباطلة وعبادتهم الفاسدة وعاداتهم المردولة، وذلك بأن يُراضوا على هذا التخلّي شيئاً فشيئاً، بسبب نزول القرآن عليهم كذلك شيئاً فشيئاً، فكلما

7 - متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم الحديث 4696، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، رقم الحديث 152.

نجح الإسلام معهم في هدم باطل انتقل بهم إلى هدم آخر، هكذا يبدأ بالأهم ثم المهم حتى انتهى بهم آخر الأمر عن تلك الأرجاس كلها، فطهرهم منها وهم لا يشعرون بعنت ولا حرج، وفطمهم عنها دون أن يرتكسوا في سابق فتنة أو عادة، وكانت هذه سياسة رشيدة لا بد منها في تربية هذه الأمة، لا سيما أنها كانت أبية معاندة تتحسس لموروثاتها، وتستميت في الدفاع عما تعتقده من شرفها، وتتهور في سفك الدماء وشن الغارات لأتفه الأسباب»<sup>8</sup>.

ولأجل هذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، أرشده إلى هذه المعرفة الضرورية بأحوال الناس الذين سيأتيهم وكيف يكون خطابه معهم، «إنك تقدم على قوم أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...»<sup>9</sup>.

فإذا كانت هذه سياسة الشارع مع المكلفين المخاطبين، فإن تحكيم المبدأ نفسه في انتقاء أساليب الخطاب، وبناء مضامينه، وتحرير مقدماته، واختيار وسائله، ينبغي أن يكون تبعاً لذلك.

وللإمام الشاطبي كلام نفيس جامع في هذا الباب، يذكر فيه ضوابط التبليغ عن صاحب الشرع الحكيم حيث يقول: «وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية»<sup>10</sup>.

ومثل هذا روي عن كثير من العلماء، ورسول الله ﷺ أسوة العلماء في ذلك، فإنه كان يجيب كل سائل عن أحب الأعمال أو أفضلها بما يليق بحال السائل ويصلح له.

وهذه الأحاديث والآثار وإن كان بعضها وارداً في عموم الخطاب الشرعي، فإن الخطاب الدعوي من أشدها تعلقاً به، وذلك لأنه من أقوى الخطابات تأثيراً في الناس، ومن أكثر الخطابات انتشاراً وتداولاً، ولأنه خطاب يستقر في الوجدان ويتفاعل معه مختلف شرائح المخاطبين.

ولهذا، فإن اعتبار مستويات الناس في الإدراك والفهم والامتنال، وكذلك مراعاة قرائن الأحوال وظروف الزمان الذي يعيشون فيه، كل أولئك يحتاج إلى دقة في التقدير والتقييم والوعي قبل إرسال الكلام على عواهنه.

8 - مناهل العرفان، الزرقاني، 56/1.

9 - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ رقم الحديث 6848.

10 - الموافقات، 172/5.

## ب. المدخل البلاغي:

وخلاصة القول فيه إنه يتطلب مراعاة مقتضى الحال، وملاكه نباهة المتكلم في ترتيب أداء المعنى بحسب حال المخاطب وعلاقته بالواقع، فإنَّ أضرب التراكيب الممهّدة في علم البلاغة لا ينظر فيها إلاّ إلى حال المخاطب والمتلقّي، كما أن أحوال التقديم والتأخير والحذف والقصر والإيجاز ينظر فيها إلى حال المخاطب مع علاقته بالواقع، ويكاد أن يكون حال المخاطب وارتباطه بالواقع مرجع تنوع أساليب البيان واختلاف مقامات الكلام في هذا العلم؛ فمن مقامات الكلام، مقام تحقيق ومنها مقام مسامحة، ففي الأول يؤتى بالبرهان والحكمة والجدّ، وفي الثاني يؤتى بالخطابة والشعر والمزح. ومن المقامات مقام تبيين ومقام تنميق، ففي الأول الحقيقة والتصريح واللفظ المتعارف، وفي الثاني المجاز والكناية والتعريض. وقد تنوع باعتبار آخر إلى مقام اقتصاد ومقام إفراط، ففي الأول حكاية الواقع، وفي الثاني المبالغة وفروعها، وباعتبار آخر إلى مقام إطناب ومقام إيجاز؛ لضيق المجال أو المبادرة خشية الفوات، أو لقصد التوكيد والتقرير، ولكل مقام مقال يناسبه، ولكل قوم أسلوب يليق بهم بحسب أذهانهم ومداركهم وأذواقهم واستعدادهم وقرائن أحوالهم، وهو المعنى الذي أصّله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا، لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»<sup>11</sup>.

ولذلك جعل الباري جلّ وعلا «مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه، يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، والمعاند الجاحد يجادل بالتّي هي أحسن»<sup>12</sup>.

وبيانا لحقيقة مطابقة الكلام لحال المخاطب يقول بشر بن المعتمر: «ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، وأقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان خطيباً تجنب ألفاظ المتكلمين (علماء الكلام)، وإن كان واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان الأولى به ألفاظ المتكلمين»<sup>13</sup>.

وهذه العلاقة بين الكلام والمقام عُني بدراستها وتحريرها واستجلائها العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في مباحث لطيفة ودقيقة من كتابه "أصول الإنشاء والخطابة"، ولولا مخافة

11 - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب النّهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم الحديث 9.

12 - مفتاح دار السعادة، ابن القيم 153/1.

13 - البيان والتبيين، 131/1.



التطويل والسَّأم على القارئ لأتيت على ذكرها جميعاً لوشيج تعلّقها بما نحن بصددّه، ولكن حسبي أن أقصر على معاهد معانيها، وغرّر فوائدها، وأصول فصولها من خلال الإلماعات الآتية:

#### • الفرق بين مقام الكتابة ومقام الخطابة

اعلم أن مقام الكتابة في فنّ الإنشاء غير مقام القول، فقد يحسن في الكتابة ما لا يحسن في الخطابة أو في المحادثة والعكس، فلا يصحّ أن يكتب المرء كما يقول ولا العكس<sup>14</sup>.

#### • الفرق بين الرسالة والخطبة

لا بد من إيضاح الفرق بين الرسالة والخطبة... وقد حضر لنا من ذلك فروق، أحدها: أن الخطابة يشافه بها جمع من الناس، فهي من هذا الوجه أولى باستعمال الألفاظ السهلة التناول للجمهور مع بساطة المعاني، وقلة تركيبها، والإغراب فيها.

ثانيها: أنها لذلك يجب أن تكون جملها شديدة الارتباط، قريبة التآخي، حيث لا يحسن فيها تطويل الاستطراد، ولا بعد معاد الضمائر والإشارات ونحوها؛ إذ ليس لذهن سامعها من التمكن في الفهم ما لذهن قارئ الرسالة<sup>15</sup>.

#### • سداد المعنى يكون في موافقته للواقع والمقام

للمعنى ثلاث صفات لحسنه، يجب توخيها وهي الوضوح والسّداد والشرف... أما السّداد فهو الموافقة للواقع والمطابقة لمقتضى الحال من غير زيادة، كقول الآخر:

إذا امتحن الدنيا لبّيب تكشفت له عن عدوّ في ثياب صديق<sup>16</sup>

#### • سخافة المعنى الشريف بسبب المقام

وقد يعرض للمعنى الشريف سخافة إذا وقع في غير موقعه كما قال أبو نواس:

ولكنني والحمد لله حازم أعز إذا ذلّت هُن رقاب

فإن ذكر حمد الله على حقيقته في مقام غرام وفخر لا يخلو من سهاجة<sup>17</sup>.

14 - أصول الإنشاء والخطابة، 7.

15 - المصدر نفسه، 50-51.

16 - المصدر نفسه، 17.

17 - المصدر نفسه، 18.

### • اقتضاء المقام للمعنى المشهور المبتذل

طرق أخذ المعنى ثلاثة: الابتكار والبداهة والشهرة... وأما الشهرة فهي عبارة عن شيوع المعنى حتى لا يكاد يتكلف المتكلم في استحضاره شيئاً من عمل الفكر، ويسمى المعنى بالمبتذل، ويدعو البليغ إليه إما تعينه وإما لكون المقام مقامه، كخطاب العوام والصغار، وينبغي أن تجنب عنه مقامات الإبداع والصنعة.<sup>18</sup>

### • مواقع الجزالة والسهولة والركة في المعنى

وأما الجزالة والسهولة والركة فهي مراتب للمعاني المستفادة من الكلام: فالجزالة شدة في المعنى تقرب من حد الإرهاب أو تبلغه بحيث تؤذن بعدم مبالاة المتكلم باستعطاف المخاطب ولا بملايئته، ولها مواقع: الغضب والحماصة والوعظ والعتاب ونحوها. وأما السهولة فهي دونها وهي لين المعنى وتجريده من شوائب الإرهاب، واشتماله على إيضاح بساطة حال المتكلم وملاينة المخاطب، ولها مواقع: الأمور العادية والعلوم والمخاطبات بين الأكفاء. وأما الركة فهي غاية إيضاح لطيف الوجدان من المخاطب أو التلطف مع السامع، ولها مواقع: الشوق والرثاء والاعتذار والتأديب.

### • خطبة الجمعة ليست كسائر الخطب

فلكل غرض لهجة ونسق، فليست خطبة الجمعة كخطبة في حفلة سياسية أو أدبية؛ ولذلك يحسن التأنق في بعضها، والبساطة في بعض، كما أنه يحسن الإرسال في بعضها، ويحسن السجع في بعض. وقد تتبعت ما استطعت مواقع السجع في الخطب النبوية وخطب فصحاء العرب في الجاهلية والإسلام، فرأيت مواقع السجع عندهم في حيث يراد الحفظ للقول، كالوصايا والآداب والخطب الأدبية والعلمية.<sup>19</sup>

فأما شروط الخطيب الراجعة إلى ذهنه فقد أرجعها أرسطو في كتابه في الخطابة إلى ثلاثة أشياء هي كالأصول لها:

أولها: معرفة الأقوال التي يحصل بها الإقناع.

وثانيها: معرفة الأخلاق والفضائل الذاتية.

وثالثها: معرفة الانفعالات ومن أي شيء تكون.

18 - المصدر نفسه، 19.

19 - المصدر نفسه، 69-70.

ونحن نزيدها رابعاً: وهو قوة البدهة في استحضار المعاني...  
وأما معرفة الأخلاق والفضائل فالقصد من ذلك التمييز بين ما هو فضيلة وضده، ومعرفة  
محاسن الأخلاق ومساوئها، فإنّ بمعرفة ذلك تحصيل غرضين مهمين:  
أحدهما: رياضة الخطيب نفسه على التحليّ بتلك الفضائل.  
وثانيهما: معرفة ذلك من حال المخاطبين ليلقي لهم الكلام على قدر احتياجهم، وبقدر ما تهيأت  
له نفوسهم.

وكأنّ هذا الثاني موجب اشتراط الاستيطان في خطيب الجمعة عند من اشترطه... وأما معرفة  
الانفعالات ومنشئها فهي من أكبر ما يعتمد عليه خطيب القوم؛ إذ به يميز بين ما تنفعل به نفوس  
العامة، وما تنفعل به نفوس الخاصة، وما هو مشترك بينهما وبين أنواع الانفعالات، خيرها وشرها،  
وقوتها وضعفها، وما هو مقبول وما هو مردود...<sup>20</sup>

وفي ضوء هذه القواعد الجامعة والتقسيم البديعة، فإنّه يخطئ من يسوّي في أساليب الخطاب  
الدعوي ومضامينه بين خطاب الطلاب في الجامعات والمدارس وبين خطاب المصلّين في الجوامع  
والمساجد، أو بين جمهور المساجد وبين جمهور القنوات الفضائية، أو بين خطاب الرجل وخطاب  
المرأة، وما ينبغي أن يخوض فيه وما يحسن أن يسكت عنه. والحاصل أنّ البلاغة والشرع والطبع كلّها  
تهتف بالمبدأ الشهير المعبر عنه "لكلّ مقام مقال".

### ج. المدخل النفسي التربوي<sup>21</sup>:

وإذا انتقلنا إلى العلوم الحديثة خصوصاً علوم النفس والتربية، فإنّنا سنجد قواعد وتقريرات  
متخصّصة، لاسيما وأنّ علوم التربية عنيت عناية فائقة بمنهج التلقي، وكيفية توصيل المعرفة  
للمتعلمين. ولذلك أكتب على دراسة أحوال المتعلمين النفسية والسيكولوجية، معتمدة في كثير من  
بحوثها على ملاحظة مبدأ الفروق الفردية، وخصائص مراحل النمو والإدراك، وكيفية التعامل  
التربوي والتعليمي مع كل مرحلة.

وحيث إنّ الخطاب الدعوي خطاب جماهيري في المقام الأول، فإن معرفة المتكلم بخصائص  
الجمهور وسماته وطبائعه وكيفية التأثير فيه مما يفيد في "بلاغة" خطابه وقوّته وتأثيره بصورة مقبولة  
غير منفرة.

20 - المصدر نفسه، 54-56.

20 - انظر دراسة نقدية قيمة لهذا المدخل وعلاقته بالموضوع: الخطاب الوعظي؛ مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، عبد الله  
بن رفود السفيني، مركز نهاء للبحوث والدراسات، ط1 بيروت، 2014 م.



وقد تطرق أرسطو في كتابه "الخطابة" إلى أهمية معرفة الانفعالات بما عبّر عنه بإثارة الأهواء، فقال: "إنها انفعالات في النفس، تثير فيها حزناً أو مسرة"، وقال أفلاطون: "لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة، فالتمس من الأمور حقائقها، واجر مع الزمان على طرائقه، وعامل الناس على خلائقهم".

وعلق على ذلك ابن عاشور قائلاً: «فعلى الخطيب ألا يقيس الناس على حذو نفسه؛ فإن منهم من يساويه، ومنهم من يفوقه، ومنهم من دونه، وليس ما يزهّد فيه الفتى مثلاً يزهّد فيه الصبي، ولا ما يخاطب به الجندي في وصف القتال يخاطب به الحكيم، إذ رب محمّدة عند هذا هي مذمة عند الآخر، فنحن ندعو كلا منهما إذا أردنا منه انفعالا بما يناسب اعتقاده»<sup>22</sup>.

وقد يعترض معترض بأن خطاب الدعوة لا يخضع لأهواء الناس فيكون على المقياس الذي تتطلبه الجماهير وعلى النحو الذي تشتهيّه، بل الحق يُصدّع به وافق الجمهور أم خالف. وهذا الاعتراض صحيح في الجملة، فإن المثقف والخطيب والمفكر صاحب رسالة أخلاقية سامية، وهو منقاد لها وليس منقاداً للجماهير، ولكن ليس هذا ما نروم معالجته هنا، بل ما نرومه ونقصد إليه هو كيف تصل الفكرة التي يؤمن بها الخطيب والمفكر والمثقف إلى الجماهير وتقع موقعها دون أن ينفروا منها أو يقفوا أعداء في وجهها؟ وكيف تكون رسالته صحيحة وواضحة وغير مضلّة تسوق الجماهير إلى ما لا يحمد عقباه؟

وإن مراعاة هذا الأمر هو من صميم الحكمة التي تعني أن يؤدّي الخطاب إلى ثمرته بأنجع طريق وأقصره.

ويختلف الخطاب الديني الدعوي عن أضرب الخطاب السائدة في أنّه شديد التعلّق بالدين، بل كثير من الناس لا يكادون يفرقون بين الخطاب البشري المستوحى من الدين وبين الدين نفسه، ولذلك فإنّ أيّ خلل في الخطاب يفضي إلى تنفيرهم من الدين نفسه، كما قال النبي ﷺ: «إنّ منكم منفرّين»<sup>23</sup>.

كما يختلف أيضاً في كونه خطاباً حريصاً على هداية الناس إلى الخير، ودلالتهم على الحق؛ ولذلك فإنّ أيّ خلل يتسلّل إلى الرسالة "المضمونية" أو فحوى الخطاب قد يشوّش على هذا المقصد

22 - أصول الإنشاء والخطابة، الشيخ محمد طاهر ابن عاشور، ص 56.

23 - جزء من حديث أبي مسعود الأنصاري، من رواية البخاري ومسلم.

الأسنى، فينبغي أن يحرص الدعاة أكثر من غيرهم على عدم الوقوع في هذا المطبّ لما يترتب عليه من مفساد وآثار وخيمة<sup>24</sup>.

وبناءً عليه، فإنّ التّفقه في القوانين التي تؤثر في جماهير الناس ومدركاتهم وتصرفاتهم من الأهمية بمكان، ويعتبر كتاب غوستاف لوبون الموسوم بـ "سيكولوجيا الجماهير" نواةً مهمةً في دراسة الطبائع النفسية للجماهير، ثم توالى البحوث النظرية والميدانية تترى في هذا الباب لتشكّل فناً علمياً مستقلاً بذاته بعنوان "علم النفس الاجتماعي".

ومن ألطف وأعمق ما خلص إليه "لوبون" في دراسته أن «الجمهور مجتمع نفسي يذوب فيه الأفراد ضمن أفكار موجهة ويتحولون إلى كينونة واحدة ولا يشترط أن يكونوا على صعيد واحد، فربما باعدت بينهم المسافات ووحدتهم الأفكار، فإنّ شعباً بأكمله يمكنه أن يصبح جمهوراً بتأثير هذا العامل أو ذاك بدون أن يكون هناك تجمع مرئي»<sup>25</sup>.

ولذلك، فإنّ الجماهير التي تجمعها أفكار أو عوامل يتحمّسون لها تذوب شخصياتهم ويتحولون إلى كيان له سمات من أبرزها:

- سرعة الانفعال والنزق والغضب.
- سرعة التأثر وبطريقة ساذجة أحياناً.
- التعصّب والاستبداد والعنف<sup>26</sup>.

إن هذه الخصائص نكاد نلمسها في جمهور خطاب الدعوة بشكل واضح، مما يعني أن المسؤولية كبيرة على عاتق الدعاة تجاه جمهورهم. و"بسبب هذه المسؤولية كان تخوف العلماء قديماً من الوعاظ والقصاص على عموم الناس "العامة"، وهو مصطلح يتكرّر كثيراً في كتاباتهم كما نجده عند ابن قتيبة وابن الجوزي والسيوطي وغيرهم، وهو يشبه مصطلح "الجماهير" إلى حدّ ما، وكأنهم يتخوّفون من التأثير السلبي الذي يحدثه الخطاب الدعوي حين يستميل العوام حسب تعبيرهم بالكذب والقصاص"<sup>27</sup>.

24 - ينظر: الخطاب الوعظي، مرجع سابق، ص: 270-272

25 - سيكولوجيا الجماهير، غوستاف لوبون، ص 54.

26 - المرجع نفسه، ص 60.

27 - الخطاب الوعظي، مرجع سابق، ص 274

وبسبب هذه البساطة التي تتعامل بها الجماهير في تلقيها للأفكار وقوة هذه العواطف التي تذوب فيها، ينشأ التعصّب للمذاهب والطوائف والمشايخ، فهم إما أن يقبلوا الآراء والعقائد دفعة واحدة، أو يرفضوها ويتركوها دفعة واحدة.

وقد يعلّل لنا هذا "شيئاً من الطائفية التي نراها تشتد أحياناً كثيرة، كما يفسر لنا ضرباً من صور التعصّب المذهبي التي نجدتها في كتب التاريخ، ونجدها الآن بين بعض أطراف الجماعات التي يخضع أتباعها لخطاب تعبوي جماهيري إزاء الآخرين"<sup>28</sup>.

ويرى غوستاف لوبون «أن التأكيد المجرد والعاري من كل محاجة عقلانية أو برهانية يشكل الوسيلة الوثقى لإدخال فكرة ما في روح الجماهير، وكلما كان التأكيد قاطعاً وخالياً من كل برهان فرض نفسه بهيبة أكبر، فكل الكتب الدينية فعلت هذا، ورجال الدولة المدعوون للدفاع عن قضية سياسية يعرفون قيمة التوكيد، وكذلك رجال الصناعة الذين ينشرون سلعتهم عن طريق الإعلان»<sup>29</sup>.

وبغض النظر عن التعميم الموجود في حديث "لوبون" خاصة فيما يتعلق بالكتب الدينية، فإننا يمكن أن نقول: إنّ الداعية أو الخطيب يسير في طريق محفوفة بالخطر أمام هذه التكتلات الجماهيرية:

• فهو إما أن يحولها إلى قطيع تتبعه هو ولا تتبع المحجّة البيضاء التي انتدب للدعاء لها أول مرة، وتتأثر به باعتباره السيد القائد، وتتصّص له ولأفكاره وآرائه، وقد يرضي هذا المشهد غرور المغتر وزهو المرائي المتكلف.

• وإما أن يحاول التخلص من سلطة الجماهير وتأثيرها السلبي، مع الاحتراز من مصادمتها خشية غائلتها وتنفيرها عن الرسالة التي يدعو إليها.

وهذه الطريق الشائكة قد تحيل الخطيب من داعية لله إلى داعية لنفسه، فيدخل حينئذ في عموم حديث عوف بن مالك الأشجعي عن النبي ﷺ قال: «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال»<sup>30</sup>.

وثمة جانب آخر له قيمته الجليّة في مشروع إصلاح الخطاب وملاءمته مع مقتضى الحال، وهو لا يقل أهمية عن النقط السابقة؛ إنه مراعاة الزمان والمكان.

28 - الخطاب الوعظي، مرجع سابق، ص 275

29 - سيكولوجيا الجماهير، ص 132.

30 - أخرجه أبو داود وأحمد، وصححه في صحيح الجامع، برقم 7754.



ويمكن النظر إلى هذا الجانب وأهميته في ترشيد الخطاب وتقويمه من الوجوه الآتية:  
أولها- أنّ معارف العصر وعلومه، والتغيرات الاجتماعية والسياسية المحلية والعالمية التي عرفها العالم خلال القرنين الأخيرين جديرة بأن تترك أثراً واضحاً في منطلقات الخطاب ومفاهيمه و"رؤيته الكلية"، فالمسلمون اليوم يعيشون في ظل سياقات ومفاهيم جديدة، ونظم ومؤسسات وقوانين عالمية حاكمة؛ إذ أصبح العالم قرية صغيرة يتواصل سكانها بشكل سريع، ويتلاشى سلطان السيادة، ويشتد التمازج بين الثقافات والأقوام والأمم، وأضحت الأنظمة الدولية والمواثيق العالمية ونظم المبادلات والمعاملات جزءاً لا يتجزأ من القوانين الوطنية. وقد وضعت هذه التغيرات العالمية الجديدة المجتمعات أمام تحديات جسيمة استدعت تدقيقاً وتنقيحاً جذريين على صعيد "رؤية العالم" والمناهج التربوية والفكرية.

وثانيها- أنّ الإنسان يعيش في زمن الحقوق والدستور والمجتمع المدني والدولة الوطنية المستقلة، والمعاهدات الدولية، ويجد نفسه أمام سيل من القوانين المحلية والعالمية، فالعالم اليوم أصبح محكوماً وخاضعاً للمواثيق والمعاهدات الدولية؛ بدءاً بمعاهدة وبروتوكولات جنيف واتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية، إلى قوانين منظمة الأمم المتحدة. والجدير بالملاحظة هنا أن ما يميز هذه القوانين حركيتها الدائبة ومواكبتها المستمرة لمختلف صور النزاعات والحوادث على صعيد المجتمع الدولي، فهي تتساق مع اتجاهات السلم والتنمية والتطور التي يسير نحوها العالم اليوم، وليست من قبيل القوانين المتشوّفة إلى تثبيت النظامين الاجتماعي والسياسي.

وثالثها- أنّ العالم أصبح محكوماً بمبادئ ومفاهيم جديدة؛ فالعدالة مثلاً أصبحت في العرف السياسي الحديث تتضمن معايير جديدة أكثر تعقيداً مما كانت عليه التجربة الإنسانية في الماضي، ولئن كانت الديمقراطية أفضل ما اهتدى إليه الإنسان لتلافي مساوئ الحكم المطلق، فما زالت المقارنة بين نظام الشورى الذي مارسه المسلمون قديماً والنظام الديمقراطي الذي فرض نفسه حديثاً، تحيل على العديد من أوجه التباين والاختلاف.

ورابعها- يضاف إلى ملاحظة هذا الواقع؛ واقع قيم الحريات، وقيم حقوق الإنسان، واقع آخر هو "واقع الأشياء"، ويتعلق بالاكتشافات الطبية والعلمية من جهة، وتطور العلوم الدقيقة وانتشار العلم الطبيعي وتطور مهارات التفكير والنقد من جهة أخرى، وهنا تبرز أهمية مواكبة الدراسات والمعطيات العلمية الحديثة؛ إذ لا ريب أن العلوم الإنسانية والمعرفة الاجتماعية كفيلة بأن تسعف بنظرة أدق وأشمل إلى قضايا المرأة والطفولة والشباب والتعليم والشغل وقضايا التنمية البشرية وغيرها.

وخامسها- ملاحظة تغير أذواق الناس ومسلّماتهم الثقافية، وتغير نظرة الناس لأساليب الخطاب التي ينتهجها بعض الدعاة، واطلاع كثير من الناس على الخلافات والاصطلاحات المذهبية والطائفية والاتجاهات والجماعات، وتعرض الخطاب الإسلامي للتشويه والتبديل، إلى غيرها من المتغيرات التي تحتاج أن يستحضرها الداعية حال تصدره للكلام.

ومن مقتضيات مراعاة المكان: أنّ الخطاب الخاص بالأقليات المسلمة في ديار غير المسلمين يختلف عن خطاب الأغلبية في ديارها، وهو في المدن والحوضر يختلف عنه في القرى والبوادي، فما يصلح في مكان لا يصلح في غيره، ولذلك فإنّ اعتماد بعض الدعاة والخطباء على الخطب الجاهزة من الكتب والانترنت دون ملاءمتها لحال المخاطبين، ومن غير اعتبار زمانهم ومكانهم؛ من الأخطاء الشنيعة التي تجعل الخطاب "خطباً" ثقيل الذيل، باهض التكلفة.

والحاصل، أن عنصر الزمان والمكان لا يمكن حصر وجوهه، وإنما على الخطيب ألا يألو جهداً في استحضاره ومراعاته، خصوصاً حين رسمه مفردات رسالته الدعوية، ووضع قواعد ومبادئ سياستها. والمطلعون على الدراسات الإدارية والاستراتيجية يدركون أهمية عنصري الزمان والمكان في تحقيق أهداف المشاريع الفكرية وفرق العمل.

#### خاتمة:

تلك إذاً نظراتٌ رمنا بها الإسهام في إعادة وظيفة الخطبة إلى مكانتها الاجتماعية اللائقة بها، لكي تنتقل من مجرد عادة أو عبادة غايته أن تؤدّي في ظرفها الزمني الموقوف لها، مبتورة عن واقع الناس وعن الظروف المحيطة بهم، إلى وظيفة تُستحضر في أدائها مقتضيات الزمان والمكان وحال المتلقي، ومعالجة هموم الناس وحاجياتهم ومشاكلهم حسب ميزان الأولويات، لتصبح كلّ وقفة خطبة منار اهتداء، ومعلم اقتداء، ينير سبل الاستقامة في المعاش، ويوصل للسعادة في المعاد

# ديوان العدد





## وتزدهي إفريقيا...

ذ. محمد خالد

رئيس المجلس العلمي المحلي بسطات

- 1 فلو تباهى الشعراء بمدحكم ❁ ما قدروا أن يصفوا مصلحا مفلقا
- 2 من حلمكم تستهدي العرب والعجم ❁ تهتف ثناء جـاوز آفاقا
- 3 أصل سبيل الاستقرار ورسخ ❁ شعب بولائه لا يفتر نطقا
- 4 صان الحمى هائبا محصنا باذخا ❁ والثغر محروسا فالأمن مطوقا
- 5 لله درك من مستمسك ورع ❁ وسمت يما حدبا منبعا رفقا
- 6 من منة عقلكم تفيض معرفة ❁ تبني المعاهد فاح علمها عبقا
- 7 شمائل المخلصين تدرك منكم ❁ تسفر في الخافقين المحتذى منطقا
- 8 فكر تضوع حكمة وسدادا ❁ وموردا عذبا وموئلا رائقا
- 9 قد زانه من سجايا المظفر حلا ❁ ودا تشع وعطفا سابغا دافقا
- 10 من نور مشكاة طه يستقي دررا ❁ كم صان عقيدة ومذهبا صادقا
- 11 تربية تزخر روحا وطنية ❁ جاش الفؤاد بها لطالما خفقا
- 12 بشراك يابن الكرام عهدكم زاهيا ❁ فلن يضاهى جـدة ولا فارقا
- 13 حزم وعزم صار اديدنا راسخ ❁ ومنجزات تعن معلما ناطقا
- 14 تدوم نبراس أمن تسطع هاديا ❁ تنضو سجفا إذا ضال غوى مارقا
- 15 يضيفي سنى الأصل على الجمع مهابة ❁ تزداد يا غرة الأفذاذ تألقا
- 16 تشيد مفاخر جلى ومآثر ❁ تذود عن الحمى أضحى بك واثقا
- 17 أنت المفدى تصون المجد أثيلا ❁ مقامكم في القلوب يسكن حدقا

- 18 يا رائد تنمية تسعد بشرا  
19 تدعو لكرامة الإنسان في شمم  
20 تهفو المهج لكم حبا وإخلاصا  
21 قد حار نهى وتصادت دنى عجبا  
22 هو المجدد دينا وكذا فقها  
23 وتزدهي إفريقيا زارها عاهل  
24 توهج غربها وشرقها وجدا  
25 فترتجي المغرب عوده محمودا  
26 أصابه وصب تماسكا ابتغى  
27 أناخ بين جفاء حل عقودا  
28 سمراء نلت المنى فهللي سعدا  
29 تصدح بالثناء الجم شعوبها  
30 مواكب الترحاب انبجست نغما  
31 هي المفازة لاحت تكتسي خصبا  
32 كواعب تتباهى تبدع رقصا  
33 إذا ظفرت أوطان بطلعتكم  
34 القدوة الاسمى نبلا وأخلاقا  
35 كرامة ويراعا عبر حرا  
36 يخسأ جار على البغضاء قد مرد  
37 لم يرع عقيدة تهدي ولا مذهبا  
38 لكم تحرى المكر في غيه سرد  
39 حاضرة ملتقى البحرين طوبى لها  
40 يخطر طيف ابن زياد أتى شاهدا  
41 يرنو لذي صفح بالعفو تالاً  
42 فمالك والجنيد باحة ولجا  
43 يدبج من نظم العارف مدحة  
44 يمتح من سقيا الولاية وردا
- رمزا لحلم حفيف مبدع حقا  
تجلو عن المعوز هما كذا ضيقا  
فنبع أفضالكم تفجر مغدقا  
في أمة تصدق من جلال أنقا  
أسمى الدساتير لا ضرب له سابقا  
مجلل سؤددا رصع توفيقا  
والروح عرفانا تباع الصدقا  
يرص منتظما متحدا واثقا  
تآزرا كم يلغي الخلف وماحقا  
حب أتى ظافرا أبدا مختلفا  
لطالما عانى الفؤاد فراقا  
تنثر عرف مودة لكم ودقا  
ينساب شجيا يطرب رقرقا  
حواضر تحتفي دجى وإشراقا  
تذكر وفاء لوهاهب غدقا  
تهتز أهازيج تغمر أفقا  
نافح يحمي انسانا وحقوقا  
كذا لسانا بالمشاعر انطلقا  
يعشى عن الحق الابلج ألقا  
أضرم لظى الجفا وإلفك اختلقا  
هيهات يجس طود حف وفاقا  
وبورك المسجد محرابه ألقا  
يصغي إلى المنبر سماحة نطقا  
في المحفل الابهى تخشعا أشرقا  
كذا أبو الحسن بلحظه أطرقا  
إشادة حرفها ينمق الورقا  
تأسيا يتلى فردا كذا عنقا



- 45 تزكو الرحاب الفواحة تبتلا ❀ تجلت ذكرا نورانيا باثقا  
46 ترفع للخالق الأكف ضراعة ❀ ينصر عدلا ومنهلا ندى طبقا  
47 موحد الأمة مناط رجائها ❀ تزهبه هيبة تشرف تعلقا  
48 تونس تغبطك المدائن حظوة ❀ إذأقبل القائد كل به أنقا  
49 إتشح البلد الدثار قشيبا ❀ وازدهر بهجة زين خوافقا  
50 ينثال كالشلال الملاء هاتفا ❀ محييا موكبا يبهز تناسقا  
51 يحول بين الخلق يأسر الناظرا ❀ تواضعا باهرا أصدق لا رهقا  
52 وكم يد شغفًا تمجد تلاقيا ❀ تبركا أسعد القلوب وأغذقا  
53 للمغرب العربي المرتجى باعثا ❀ وحدة أقطاره ونابذا رنقا  
54 هي العيون تضوعت شذى وسنى ❀ كأن رحابها ضاءت دجى أشرقا  
55 إذ احتفت بالمفدى من به يقتدى ❀ حتى تصادى في الكون متألقا  
56 فأربعون سنة مترعة تترى ❀ بمنجزات نماء طفحت دفقا  
57 مفازة تسكن الوجدان والقلب ❀ بالمهج تفتدى شعب بها علقا  
58 حصن حصين والمراتع أمن ❀ ويسحر الإبريز زائرا عاشقا  
59 خزيا لئيم جنى ومفتـر كذبا ❀ فغيه سدر والباطل امتشقا  
60 من جشع واد الحيات منحاز ❀ ذل أناخ وصغار به أحدقا  
61 لم يرعو جمع جهل به وهوى ❀ يهرف هراء ما كان مرتفقا  
62 قد استفز المأفون مشاعرنا ❀ أيفلح من ركب الوهم وسمقا  
63 عجت منددة روعت العدا ❀ ومن صدف عن الحق فما نطقا  
64 زحف توهج حماسا وتآزرا ❀ يتيه وئاما يفخر توافقا  
65 رقراق رهوا يصيح السمع إعجابا ❀ بمن أدان الذي إفكا قد اختلقا  
66 وشع أكبارا لجينـه وهفا ❀ لهيضل بالسلم دجج مطلقا  
67 أعظم بكم من حكيم مستنير نهى ❀ أيدا من الواهب نلتـم وتوفيقا  
68 شتى مناقب أعيت ناظما عدا ❀ إذكلف بهذا الموطن حقيقا المستنير  
69 فليكلا الرحمان القائد الملهم ❀ حجى المائـر عتقا  
70 السادس الأجد الاشرف محتدا ❀ سبط الرسول رقى ملكا سما خلقا  
71 ويكنف النجل صالحا ومباركا ❀ يرعاه وليا للعهد موفقا

- 72 وليسق قبر المثنى وابل نوره ❁ كان الفقيد الذي بالشعب قد علقا
- 73 وليحرس العرش حامي الدين والبلد ❁ في ظله كل أمسى له وامقا
- 74 والمغرب في ذرى عزبدا رافلا ❁ مغنى سخا سكنا للوافد شائقا
- 75 أصل الشهامة مهذا باذخا أمنا ❁ مازال حصنا للإسلام مصدقا
- 76 نور الهداية كم يتلى به مغربا ❁ بالليل يصدق تجويدا وإشراقا
- 77 توجت تسامحا للزائغ ناصحا ❁ واحة من سنا الفردوس تفلقا
- 78 إني أكاد أرى في غيرك بلقعا ❁ إذبت متيما بالموطن عاشقا
- 79 كأن أنهارك تروي الربى كوثرًا ❁ أثباج ذاك المحيط تزين شفقا
- 80 والأبيض الهادر أخاله ساردا ❁ ملاحم أعجزت عن وصفها حاذقا
- 81 فالأطلس الخالد يحكي بطولاتك ❁ فاقت حسابا ويرعى أرضك حالقا
- 82 بوركت يا وطني كللت أمجادا ❁ حصنت إباء تميزا فائقا

## فهرس العدد:

افتتاحية ..... 7

### مقالات العدد

فلسفة الاحتفال بذكرى ثورة الملك والشعب من أجل تجديد الاحتفالية في حياة الأمة بما يقتضيه مقام الذكرى

ذ. عبد العزيز انميرات ..... 11

آراء ومواقف ضد انقلاب الحكومة الفرنسية على السيادة المغربية (1952-1953)

ذ. سمير بوزوينة ..... 19

محمد الخامس رائد التحرير والوحدة في إفريقيا

ذ. أحمد بلخيري ..... 33

محمد الخامس طيب الله ثراه ومسجد أنتسيرا بي أيام المنفى: ربط الحاضر بالماضي

ذ. مولاي الحسن بلباكري ..... 45

هيبة الملك من بواعث نجاح ثورة "الملك والشعب"

ذ. عبد الرحمن بو علي ..... 55

الشيخ ماء العينين حلقة وصل بين شمال المغرب وجنوبه

ذ. سعيد مغناوي ..... 63

النقد الأدبي في ركاب شعر العرشيات في عهد محمد الخامس

ذ. آمنة الراضي ..... 85



## مقالات داعمة:

ورقة عن إصلاح التعليم الديني بالمدرسة المغربية

ذ. مصطفى بنحمزة ..... 107

مؤسسة محمد الخامس للتضامن: دراسة قانونية في البنية والوظائف

ذ. صليحة بوعكاكة ..... 127

خطبة الجمعة ومراعاة مقتضى الحال

ذ. عبد الحميد عشاق ..... 137

## ديوان العدد:

وتزدهي إفريقيا...

ذ. محمد خالد ..... 153

## شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم: A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو : [alamihamid49@gmail.com](mailto:alamihamid49@gmail.com)
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

## محاوَر الأعداد المقبلة:

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاورين الآتيين:

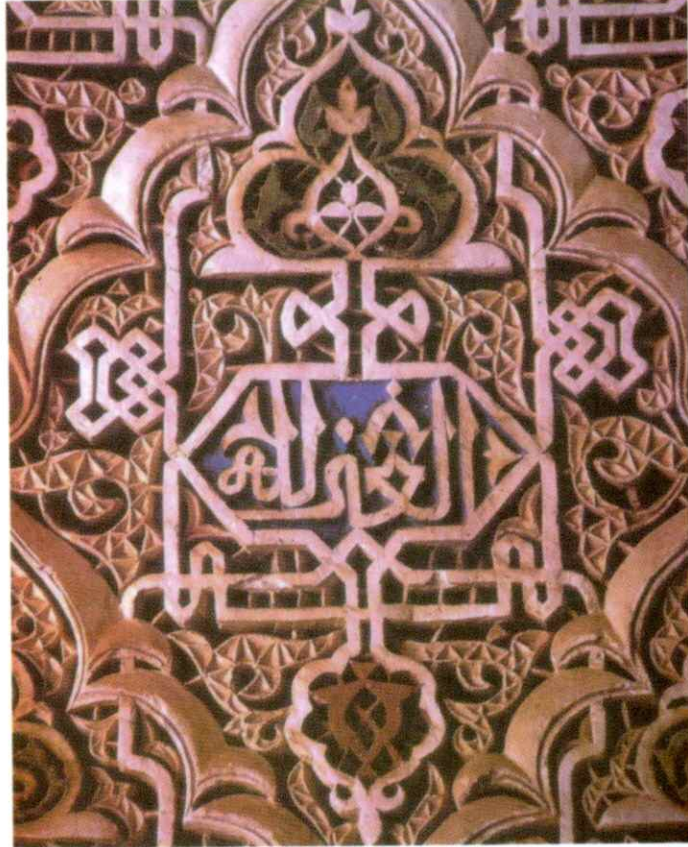
1. أبعاد الحضور الإفريقي في الأدب المغربي
2. المولد النبوي الشريف بالمغرب وإفريقيا جنوب الصحراء











## دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الشفاعة والعكر  
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
بالمملكة المغربية